عاشوراء

منبع الفضائل

محاضرات فكرية وعقدية من واقعة الطف

لسماحة العلامة السيد أحمد الصافي دام عزه

الجزء الأول

تقرير

صباح الصافي

١٤٤٥هـ ٢٠٢٣م

الصافي، احمد جواد نور، ١٩٦٤- مؤلف.

عاشوراء منبع الفضائل محاضرات فكرية وعقدية من واقعة الطف لسماحة العلامة السيد احمد الصافي.- الطبعة الاولى.-كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، دار الكفيل للطباعة والنشر، ١٤٤٥ هـ = ٢٠٢٤.

مجلد ؛ ٢٤ سم

يتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
ردمك : ٩٧٨٩٩٢٢٦٨٠٥٧٦

١. الحسين بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)، الامام، ٤-٦١ هجري. ٢.عاشوراء (شيعة). ٣. معركة كربلاء، ٦١ هـ.--اسباب ونتائج. أ. العنوان.

LCC : BP193.13 .S34 2024
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة
الفهرسة اثناء النشر

الترقيم الدولي المعياري للكتاب
ISBN: 978-9922-680-57-6

حقوق النشر والتوزيع محفوظة للعتبة العباسة المقدسة – مركز الفكر والإبداع.
رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية (١٢) لسنة ٢٠٢٤م.

الطبعة الأولى
جمادى الأولى/ ١٤٤٥هـ

عاشوراء الشرفاوي

منبع الفضائل

أحمد الصافي

النَّاشر

العتبة العبَّاسية المقدَّسة

دار الكفيل للطباعة والنشر

الإشراف والمتابعة: رضوان عبدالهادي السلامي

تقرير وتحقيق: صباح نعيم الصافي

التدقيق اللغوي: محمد رضا الأسدي

التدوين: حيدر محمد الدفاعي

التَّصميم و الإخراج

علي عبد الحليم المظفر

كرار عامر الصـــافي

عدد النّسخ

٥٠٠

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الفكر والإبداع

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي

إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي

عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيمْ

الفجر: ٢٧

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على الرَّسول الأعظم محمّد وآله الطَّيّبين الطَّاهرين، واللعنة الدَّائمة على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدّين.

ممّا لا يختلف فيه اثنان أنَّ أهمّ ركنٍ في بناء النّفس والأسرة والمجتمع سيادة الفضائل الإنسانيّة؛ والفضائل يمكن أن تُطرح تارة على شكل أفكارٍ نظريّةٍ مجرّدة، وتارةً أخرى تُطرح على شكل نماذجَ تُجسّد تلك الفضائل، وإذا أردنا من هذه الفضائل أن تكون مؤثّرة وفاعلة في الواقع الذي نعيشه فلا بُدَّ من نقلها من مجال النَّظر والتَّفكير إلى مجال العمل والتَّغيير؛ فالفضائل التي محلّها العقل فقط قليلة الفاعلية والتَّأثير، أمّا النَّماذج التي تكون مرآة لعكس تلك الفضائل يكون تأثيرها أكبر وأكثر؛ وعلى سبيل المثال لو قرأنا حول السَّخاء وآثاره فإنَّ لهذا الاطّلاع تأثيرًا ولو بمقدارٍ قليل، ولكن حينما نعيش مع مجموعة ديدنها السَّخاء فإنَّ ذلك سيؤثِّر فينا ويدفعنا إلى البذل والعطاء؛ والسَّبب في ذلك؛ لأنَّ لغة الأفعال أقوى من لغة المقال، والفضيلة المجسّدة أقوى من الفضيلة المجرَّدة، ومن هنا نعرف بعض علل إرسال الأنبياء وتنصيب الأوصياء من النّاس وإلى النّاس، وأنَّ الله تعالى جعلهم من البشر وليس من صنفٍ آخر حتّى يكونوا أسوة وقدوة لهم في التَّحلّي بالفضائل والتّخلّي عن الرّذائل؛ ومن هذا المنطلق نعرف بعض أسرار التّركيز على نهضة الإمام الحسين عليه السلام، فقد تجسَّدت كلُّ الفضائل التي من شأنها بناء الإنسان بل تجسَّد الإسلام بكلِّ مضامينه في نهضة الإمام الحسين عليه السلام حتّى أصبحت مثالاً ونوراً تهتدي بها كلّ الثّورات التي تريد النَّصر والفتح المبين.

إنَّ جعل واقعة عاشوراء مصباحًا يهتدي بنورها كلّ الخلق لم يكن صدفة أو دون إنذار، وإنّما تظافرت مجموعة من العوامل صيّرتها منبعًا للفضائل، فالفضائل والقيم لم تقتصر على فئة دون فئة، أو صنف دون صنف، وإنَّما كانت شاملة لكلّ الأصناف

والفئات؛ فالطّفل كان موجودًا، والصَّبيّ كان موجوداً، وهكذا الشَّباب والفتيات والنِّساء والرِّجال والكهول والشّيوخ؛ إضافة إلى ذلك فقد كان موجوداً الأسود والأبيض والعربي والأعجمي، بل وحتّى أتباع الدِّيانات الأخرى؛ ولذلك أصبحت كلُّ فئات المجتمع تنهل من هذا الفرات بمقدار استطاعته؛ إذ الجميع أمامهم نماذج قد جسّدت قيم الحق، ولا عذر للجميع إذا ما تمسّكت بتلك الفضائل.

لقد استطاع الإمامُ الحسين عليه السلام أن ينظم تنوّعًا إنسانيًّا في واقعة عاشوراء ليس له مثيل، وأكثر أهل زمانه لم يعرفوا سِرَّ ذلك التّنوّع إلّا بعد مئات السّنين، وأنَّ الإمام الحسين عليه السلام أراد للفضائل أن تتجسَّد في كلِّ طبقات وأصناف وفئات البشرية بشكلٍ لم يشهد التّاريخ له مثيل بذلك التَّنوّع.

ثمّ إنَّ هذه الفضائل والدّروس والعِبر والقِيم التي سطَّرها أبطال واقعة كربلاء لم تقتصر على فضائل معيّنة وإنَّما أصول الفضائل التي نحتاجها في كلِّ حال قد ظهرت بأجلى صورها في ذلك اليوم، وبعد ذلك اقترنت بالشَّعائر التي من شأنها المساهمة في خلود هذه الواقعة؛ لما تحمل من مُثل وأَخلاق؛ لذلك فإنَّ تغيير الواقع الذي نعيشه بكلِّ ما فيه يحتاج منَّا أن نربط كلَّ فئات المجتمع بهذه النَّماذج التي حملت الفضائل يوم عاشوراء فكرًا وعملًا.

لقد حاول الطّغاة والظّالمون وبكلِّ ما يملكون من قوَّة أن يستأصلوا الشَّجرة النَّبويّة، وكانت هذه المحاولات في كلِّ عصرٍ تأخذ طابعًا ذات شكلٍ خاصٍّ؛ فتارة تكون الحرب فكريَّةً، وتارة أخرى تكون عسكريّةً، وفي بعض الأحيان تأخذ طابع الإبادةِ كما حصل في يوم عاشوراء لمّا رفعوا شعار: أَحْرِقوا بيوت الظّالمين، ولكن جميع تلك الهجمات باءت بالفشل، والأعجب من ذلك أنَّ أمره يزداد ظهورًا كُلَّما تَعالت الأصوات وازدادت الأعمال التي تُريد محو ذكره صلوات الله عليه؛ لأنَّ حبَّهم للدنيا قد أعمى أبصارهم وبصيرتهم عن حقيقة أنَّ الإمام الحسين عليه السلام نور الله تعالى في الأرض، ورحمته الواسعة، ووارث النّبيّين، وامتداد الرّسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله، ووالد الإمام المهدي -عجّل الله فرجه الشَّريف- الذي سيملأ

الأرض قسطاً وعدلًا كما مُلِئت ظُلمًا وجورًا؛ ومن كان يتّصف بهذه الصّفات لو تكالبت عليه كلُّ قوى العالم وكان بعضهم لبعض ظهيرًا ما استطاعوا إطفاء ذلك النُّور الإلهيّ.

إنَّ الله سبحانه وتعالى لم يترك البشرية بلا موازين يقيسون ويعرفون ويميزون بها الحقَّ عن الباطل؛ فالإمام علي عليه السلام ميزان للحقِّ، والسّيّدة الزّهراء عليها السلام ميزان للحقِّ، وهكذا بقيّة الأئمّة المعصومين عليهم السلام، إلّا أنَّ الإمام الحسين عليه السلام أصبح وبتضحياته الاستثنائية أجلى شخصيّة للتفريق بين الحقّ والباطل؛ فقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يكشف حجم المؤامرات التي تُريد أن تُرجِع النّاس إلى عبوديّة الأصنام والجاهلية، والعبث بالإسلام حتّى أوصلوه إلى مرحلة الاحتضار ولفظ الأنفاس الأخيرة، إلّا أنَّ دم الإمام الحسين عليه السلام ودماء أهل بيته وأنصاره عليهم السلام أعاد للدّين شموخه، وفضح في كلِّ زمان ومكان كلَّ من يُريد التَّلاعب برسالات الله تبارك وتعالى، والإطاحة به ولو بعد حين، وهكذا استطاعت نهضة عاشوراء تحقيق كلِّ الأهداف التي رسمها الإمام الحسين عليه السلام في كلّ مجالات الحياة؛ فهنيئًا لمن يرتبط بعاشوراء، وهنيئًا لمن يعمل لعاشوراء، وهنيئًا لمن يُفكِّر ويتأمَّل ويتدبَّر في فضائل وقيم عاشوراء.

إنَّ الكتاب الماثل بين يديك عزيزي القارئ لمؤلِّفه سماحة العلّامة السَّيّد أحمد الصّافي -دام عزّه- هو تقريرُ مجموعةٍ من المحاضرات التي ألقاها في سنواتٍ مختلفةٍ بيَّن فيها أهداف هذه النّهضة الحسينية المباركة ونتائِجها وسبيل نُصرتِها، والكون معها بأسلوبٍ علميٍّ اعتمد في أطروحاته على القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام، كما تضمّن العديد من المواقف التي تحتاج إلى البحث والدّراسة والاهتمام، ولم يبحث المؤلِّف الواقعة ضمن الفترة الزمنية التي حدثت وإنَّما أوضح ماضي وحاضر ومستقبل واقعة الطَّف بعبارة واضحة بعيدة عن التّعقيد، داعيًا إلى التَّمسّك بفكر وأخلاق الإمام الحسين عليه السلام والفضائل التي تجسَّدت في يوم عاشوراء.

يقع الكتابُ في مجلَّدَيْنِ: تضمَّن المجلّد الأوّل:

الفصل الأول: مِن أهدافِ الشَّعائرِ الحُسينيّة

وقد تضمن:

المبحث الأول: إعلانُ الحُزْنِ

المبحث الثاني: تأمُّلاتٌ جديدةٌ في مَشْهَدِ البُكاء.

المبحث الثالث: قَتِيْلُ العَبْرَة .

المبحث الرابع: عَاشُوْرَاءُ وَ كَشْفُ الزَّيـْفِ.

المبحث الخامس: سِرّ التَّركيزِ على النَّهضةِ الحُسينيّة.

الفصل الثاني: أَساليبُ النَّصرِ الحُسينيّ

وقد تضمن:

المبحث الأول: عَوامِلُ نُصرةِ الإمامِ الحُسين عليه السلام.

المبحث الثاني: الإمامُ السَّجّادُ عليه السلام والمنظومةُ العاشورائيّة.

المبحث الثالث: أَنصارُ الحقِّ.

المبحث الرابع: حقيقةُ النَّصرِ الإلهيّ.

المبحث الخامس: تجدُّدُ عَاشوراء.

المبحث السادس: قِراءَةُ الأَحدَاث.

الفصل الثالث: من نَتَائِجِ النَّهضةِ الحسينيّة

وقد تضمن:

المبحث الأول: قضايا تَتعلّقُ بالأَهْدَافِ.

المبحث الثاني: إِحياءُ الدِّيـْنِ.

المبحث الثالث: مِن أَسْرارِ عظمةِ سيِّدِ الشُّهداءِ عليه السلام.

المبحث الرابع: العِبرُ بين دعاة الخيرِ ودعاةِ الشَّر.

المبحث الخامس: النَّهضةُ الحسينيّةُ بَين الوسائِلِ و الأهدافِ.

المبحث السادس: إضاءاتٌ حولَ النَّهضةِ الخالِدَةِ.

المبحث السابع: وحدةُ الأهدافِ بينَ سيّدِ الشُّهداءِ و مهديّ آلِ مُحَمَّد عليهم السلام.

أما المجلد الثاني فقد تضمن:

الفصل الرابع: أضواءٌ على زيارةِ عاشوراء

وقد تضمن:

المبحث الأول: مِن علومِ نصوصِ الزّيارة.

المبحث الثاني: ظلمُ المراتبِ والدَّرجات الإلهيّة.

المبحث الثالث: حقائقُ حولَ اللّعن.

المبحث الرابع: التَّبرّي والمعارفُ الحسينيّة.

المبحث الخامس: ثمنُ الولايةِ لآلِ محمَّدٍ عليهم السلام.

المبحث السادس: ميزانُ السّلمِ والحرب.

المبحث السابع: التَّوفيقُ لمحيا ومَماتِ المعصومينَ عليهم السلام.

المبحث الثامن: عِلَّةُ فَرَحِ الظَّالمينَ.

الفصل الخامس: مِن أَهدافِ زِيارَةِ الأَربعين

وقد تضمن:

المبحث الأول: العطاءُ الاستثنائيّ.

المبحث الثاني: مِن خصائِصِ الإمامِ الحُسين عليه السلام

المبحث الثالث: آدابُ الزِّيارَةِ.

المبحث الرابع: الميثاقُ الخالِدُ.

المبحث الخامس: مِن دلالاتِ زِيارَةِ الأَرْبَعين.

نسـألُ الله تعـالى أن يُسـاهم الكتـاب في زيـادة الوعـي والمعرفـة بعاشـوراء وأبطـال عاشـوراء، وأن ينفـع بـه المؤمنـين والمؤمنـات، وأن يكـون ذخـيرة لمؤلِّفـه والعاملـين عـلى إخراجـه ﴿يَـوْمَ لَا يَنفَـعُ مَـالٌ وَلَا بَنُـونَ. إِلَّا مَنْ أَتَـى اللهَ بِقَلْـبٍ سَـلِيمٍ﴾

سورة الشعراء/ الآيتان: ٨٨-٨٩.

والحمـد لله رب العالمـين، والصَّـلاة والسَّـلام عـلى الحبيـب المصطفـى محمـد وآلـه الطَّيبـين الميامـين.

صباح الصافي

قسم الدراسات والبحوث؛ مركز الفكر والابداع

الفصل الأول

مِن أَهدافِ الشَّعائِرِ الحُسينيّة

المبحث الأول

إِعلانُ الحُزْنِ

عندما تصفحنا التّاريخ لم نجد أيّ مشروع انتسب إلى الإمام الحسين عليه السلام، وكُتب له الفشل؛ فكلّ المشاريع التي كانت، ولا زالت منتسبة للإمام الحسين عليه السلام حالفها الحظ، وكُتب لها النجاح؛ فضلاً عن الكم الهائل من الروايات الشّريفة لأهل بيت العصمة عليهم السلام من إحياء أمر الإمام الحسين عليه السلام، وأصحابه سواء في زيارته، أو في تشييد قبورهم عليهم السلام.

وما هذه الشعيرة المباركة التي ابتدأها المؤمنون - أعزَّهم الله تعالى -، وما هذا الاصرار إلَّا دليل واضح على تحقيق هدفنا؛ وهو أن نكون مع سيد الشهداء الحسين عليه السلام دائماً وأبداً في الدّنيا والآخرة.

إنَّ المؤمنين الذين تحمّلوا ما تحمّلوا من أجل الوصول إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ خصوصاً في تلك الظروف العصيبة التي ذهبت من غير عودة - إن شاء الله تعالى - كان يحدوهم الأمل، وكان يحدوهم الإصرار على أنهم تحمّلوا ويتحمّلون كلَّ شيء من أجل الوصول إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إنَّ هذه الثمار التي نقتطفها اليوم ما هي إلَّا أثر من آثار الإخلاص والموالاة للإخوة الأعزاء الذين جاهدوا حقاً بأنفسهم وبأموالهم من أجل أن لا ينسوا الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام حظي من الله تعالى وكتب له مقاماً عالياً، وتكفّل الله تعالى بقضيته كما جاء على لسان الحوراء زينب عليها السلام عندما خاطبت الإمام السجاد عليه السلام: **((وَلَيَجْتَهِدَنَّ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَأَشْيَاعُ الضَّلَالَةِ فِي مَحْوِهِ وَتَطْمِيسِهِ فَلَا يَزْدَادُ أَثَرُهُ إِلَّا ظُهُوراً وَ أَمْرُهُ إِلَّا عُلُوّا))**[1]. إنَّ رمزية الرّاية هي رمزية أبعد من أن تكون راية معركة؛ خصوصاً عند العبّاس عليه السلام فهي راية الشرف وراية الغيرة وراية النّاموس؛ تلك الراية التي رفرفت على العقيلة عليها السلام يوم الطف، وأنا اعتقد والله يشهد الألم الذي أصاب السيدة زينب عليها السلام لم يكن له مثيل حين سقطت الراية؛ فقد شعرت بالانكسار مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ الراية التي سقطت لم تسقط إلى الأرض؛ فهناك أكف حملتها، وبقيت هذه الراية

١ - كامل الزيارات، ابن قولويه، جعفر بن محمد(ت:٣٦٧هـ)، دار المرتضوية، النجف١٣٩٧هـ، الأولى: ٢٦٢.

خفّاقة إلى يومنا هذا وستبقى – إن شاء الله تبارك وتعالى –؛ فراية الحق لا تهزم أبداً، وراية الفكر والعقيدة لا تهزم؛ ولذلك نجد أن الله تعالى عندما عوّض العبّاس عليه السلام كما ورد بجناحين يطير بهما مع الملائكة[1] فهذه الراية هي صورة تلك الراية التي حملتها تلك الأكف؛ والتي بدورها ستبرزها مولاتنا الزهراء عليها السلام، وتسأل عن سبب قطع هاتين الكفين كما ورد عن بعض الأكابر؛ لذا من هنا سنعلم ونعرف مدى أهمية هاتين الكفين، الكف التي حملت راية الحق، وحملت راية النّبي الأعظم صلى الله عليه وآله، وحملت راية أمير المؤمنين عليه السلام، وحملت راية الإمام الحسن عليه السلام، وحملت راية الإمام الحسين عليه السلام يوم الطف؛ إنّها الراية التي ما زالت خفّاقة شامخة على مرّ العصور والأيام.

نحن اليوم عندما نستبدل هذه الرّاية الحمراء بالرّاية السّوداء؛ فهذا الاستبدال فيه عهد للعبّاس عليه السلام أن نكون بمستوى تلك التّضحية التي واسى بها الإمام الحسين عليه السلام؛ وبمستوى ذلك الخلق والشّجاعة والقمّة في الشهامة التي كانت تظلل على أبي الفضل عليه السلام.

إنّ الأعاظم من العلماء يقبّلون عتبة أبي الفضل عليه السلام، ويستأذنون ثمَّ يذهبون إلى الإمام الحسين عليه السلام والله تبارك وتعالى عندما أعطى هذه الكرامات في الدنيا سنرى –إن شاء الله تعالى– ما هو الميزان، وما هو المقام وليس هذا في الدنيا وإنّما في الآخرة؛ ذلك هو الفوز الأكبر والمقام الأكبر الذي ينتظر الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته؛ فلقد أوضح لنا الإمام الحسين عليه السلام بعض مقاماته حينما قال لقمر بني هاشم العباس عليه السلام: ((**ارْكَبْ بِنَفْسِي أَنْتَ يَا أَخِي حَتَّى تَلْقَاهُمْ وَتَقُولَ لَهُمْ مَا لَكُمْ وَمَا بَدَا لَكُمْ وَتَسْأَلَهُمْ عَمَّا جَاءَ بِهِم**))[2] فهذا مقام لا يتلفظ به الإمام الحسين عليه السلام جزافاً؛ ومن أجل هذا جاء المؤمنون ليصافحوا العبّاس عليه السلام، وإن كان العباس عليه السلام بلا كفين؛

١ – قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام: (رَحِمَ اللهُ الْعَبَّاسَ يَعْنِي ابْنَ عَلِيٍّ فَلَقَدْ آثَرَ وَأَبْلَى وَفَدَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ فَأَبْدَلَهُ اللهُ بِهِمَا جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا مَعَ الْمَلَائِكَةِ فِي الْجَنَّةِ كَمَا جَعَلَ لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَإِنَّ لِلْعَبَّاسِ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْزِلَةً يَغْبِطُهُ بِهَا جَمِيعُ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). الخصال، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، جماعة المدرسين، قم١٤٠٣هـ، الطبعة: الأولى: ١/ ٦٨.

٢ – وقعة الطفّ، أبو مخنف الكوفي، لوط بن يحيى(ت: ١٥٨هـ)، جماعة المدرسين، إيران؛ قم١٤١٧هـ، الطبعة الثالثة: ١٩٣.

ولكنهم يصافحون العبّاس عليه السلام والعبّاس يرد التّحية بألف وسيلة ووسيلة.

إنّها راية حق؛ إنّها راية هدى نستبدلها برايةِ حزن عاشورائية؛ راية ثورة وراية حق وراية صدق وراية وفاء؛ وراية تثبت الحق، وراية نكون نحن وأنتم أيّها الإخوة ساعين جادّين من أجل إبقاء هذه الراية، ولو قطّعنا؛ فإنَّ الله سبحانه وتعالى يتولّى هذه الأعمال المباركة التي تتصف بنيّات صادقة من الجميع، ويرفع شأنكم جميعاً كما رفعتم شأن هذه الشعائر.

وصيتي لكم تمسّكوا بالإمام الحسين عليه السلام ما استطعتم إلى ذلك سبيلاً، ولا تجعلوا الدنيا تذهب منكم وأنتم لم تعطوا شيئاً للإمام الحسين عليه السلام؛ فنحن إذا أعطينا شيئاً للإمام الحسين عليه السلام بنية خالصة لله سبحانه وتعالى؛ فجزاء ذلك العمل أن يتولانا الله تعالى برحمته، ويتولانا بعطفه، فكل ما لدينا من خير ببركات سيد الشهداء عليه السلام، وهناك أكثر من (٥٠٠) رواية حشّدها الأئمة عليهم السلام من أجل الإكثار والتّشجيع على زياره الإمام الحسين عليه السلام؛ حتّى في وقت الخوف[1]، وكثير من الذين أمامي عندما كانوا يمشون الى أبي عبدالله الحسين عليه السلام من مناطق متعددة وكانوا يختارون الطّرقات المتعرّجة خوفاً من السلطات، لكن الآن انظروا إلى مصير هؤلاء يجلسون بأمان عند سيد الشهداء عليه السلام وأبي الفضل عليه السلام، والذين حاربوهم إلى جهنم وبئس المصير.

إنَّ تجديد الحزن لسيد الشهداء عليه السلام؛ يعني تجديد الذكرى، وتجديد الذكرى يعني تجديد رفض الظلم والعدوان والاستبداد؛ فتلك الصرخة التي أطلقها أبو عبد الله عليه السلام على عرصات كربلاء قبل أكثر من ألف ومئة وخمسين عاماً ولا زالت هذه الصرخة مدوية فينا، وما زلنا نحيي هذه الصّرخة بشعائرنا المقدَّسة التي نحييها، ونؤكِّدها كما ورد في كثير من الروايات الشريفة.

---

١ – عن زرارة:" قُلتُ لِأَبي جَعفَرٍ عليه السلام: ما تَقولُ فيمَن زارَ أباكَ عليه السلام عَلى خَوفٍ؟
قالَ : يُؤمِنُهُ اللهُ يَومَ الفَزَعِ الأَكبَرِ، وتَلَقّاهُ المَلائِكَةُ بِالبِشارَةِ ، ويُقالُ لَهُ: لا تَخَف ولا تَحزَن، هذا يَومُكَ الَّذي فيهِ فَوزُكَ".
كامل الزيارات:٢٤٢.

أنا لا أغالي إذا قلت: إنَّ عاشوراء هي الحرارة المتوقدة في قلوبنا، والتي تعيننا على فهم الحياة بالشكل الذي أرادها الله سبحانه وتعالى لنا، لقد صنع الإمام الحسين عليه السلام أبطالاً في يوم الطّف لكن شخصية سيد الشهداء الحسين عليه السلام غطّت الآخرين كما أن الشمس المنيرة هي التي غطّت على هذه الأقمار؛ فهذا السيف المدافع عن الإمامة كما كان أبوه ووالده المعظّم الإمام علي عليه السلام السيف المدافع عن النبوة، وفي كربلاء فإنّ العبّاس عليه السلام هو السيف المدافع عن الإمامة، ولم يعهد لنا التّاريخ بطلاً بقوّة أبي الفضل العبّاس عليه السلام مدافعاً عن إمامه وزعيمه وقائده، وهو يعلم أن المصير هو القتل والمنية.

عندما نكون في هذا المكان؛ فهذا المكان لا يُحدّد بهذه المساحة الصغيرة؛ فواقعة الطف أصبحت اليوم واقعة الدنيا وشغلها الشَّاغل؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يكن بطل كربلاء فحسب؛ بل الإمام الحسين الآن بطل الدّنيا، ومن أدلّة ذلك الآن دخل شهر محرم الحرام، وتوشحت مدن العالم بالسواد؛ فما أعظم الحسين عليه السلام؛ وما أعظم هذا الفكر وهذه الإمامة وهذا البر الذي خطف الأبصار، وجعل العظماء تطأطئ، وتنحني، وتفتخر إنّها قد تعرف بعض ما كان عند الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ تجديدنا لهذه المراسيم ليس تجديداً لمراسيم الحزن ومراسيم السّواد فقط؛ وإنّما هو عبارة عن ولاء للإمام الحسين عليه السلام وما أعظمه من ولاء؛ خاصة إذا عرف من يوالي؛ فالمعرفة هي من تحدد مقدار البعد والقرب من المعصوم[1]؛ لذلك ينبغي للمؤمن عندما يأتي إلى الإمام الحسين عليه السلام أن يعرف أنَّ أبا عبدالله الحسين عليه السلام ينفع في الدنيا وينفع في الآخرة، وأن يعرف أن هذا العقل الذي وهبه الله تعالى له كيف ولمن يعطيه؛ هل نعطيه لأي شخص؟ أم نعطيه لمن يستطيع يوم القيامة أن يَشفع فينا فيُشفّعه الله تبارك وتعالى.

أيّها الإخوة ونحن نستقبل عاشوراء علّموا أولادكم حبَّ الإمام الحسين عليه السلام.

---

١ - عَنْ هِنْدٍ الْخَنَّاطِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُول: (مَنْ زَارَ الْحُسَيْنَ عليه السلام عَارِفاً بِحَقِّهِ يَأْتَمُّ بِهِ غَفَرَ [اللهُ] لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ). كامل الزيارات: ١٣٩.

علّموا أولادكم أن لا ينسوا الإمام الحسين عليه السلام؛ فإنَّ هذه البركة لا تعود للإمام الحسين عليه السلام وإنَّما تعود لنا ولأولادنا ولعوائلنا؛ فالإمام الحسين عليه السلام الآن معلّم بلا مُنافس؛ يستفيد منه المسلم وغير المسلم، وعندما نقول: إنّ الإمام الحسين عليه السلام مدرسة؛ فنحن نعني ما نقول.

أيّها المؤمنون الأحرار في كلّ العالم، أيّها الحسينيّون، أيّها المسنّون الذين قضيتم عمركم في خدمة الإمام الحسين عليه السلام وإحياء أمره، أيّتها الشّبيبةُ الواعية التي جعلت من أهدافها نصرة قضيّة الإمام الحسين من خلال المآتم والعزاء، أيّتها الأُسَر الكريمة التي ربّت أبناءها على الولاء للنبيّ الأكرم وآله الطاهرين، وعلى إحياء يوم عاشوراء وإظهار التوجّع والحزن على سيّد شباب أهل الجنّة؛ في تبديل راية الحزن نجدّد المأتمَ على سيّد الشهداء عليه السلام، وإن كنّا لا بُدّ أن نحيا طِوال السنة في ذكرِه؛ لأنَّ الأمّة التي تمتلك الإمام الحسين عليه السلام هي أمّةٌ عزيزة، هي أمّةٌ لا تُذلّ، هي أمّةٌ لا تَضعف، ما دام الإمام الحسين عليه السلام عندنا فلا خوف علينا ولا نحزن.

نحن في كلّ عامٍ نرى أنّ قراءتنا لحادثة الطفّ تتجدّد، ونستفيد منها بركات تلوَ البركات، وما زلنا في كلّ عامٍ تترقّبُ أعينُنا وتهفو قلوبُنا لذلك الشخص الذي أعدّه الله تعالى وادّخره لطلب الثأر لجدِّه أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

لعلّ من الأسرار التي أبقت هذا الوجود المبارك هو منهج الحقّ الذي سلكه أبو عبد الله عليه السلام؛ فالصراع بين الحقّ والباطل يبقى مستمرّاً ويأبى المصالَحة، والمنهج الذي اختطّه النبيُّ الأعظم وأميرُ المؤمنين والزهراء والحسن والحسين صلوات الله عليهم يُباينُ المنهج الذي اختطّه أعداؤهم؛ هذا المنهج يأبى إلّا أن يكون دائماً في خانة الحقّ مفهوماً وأسلوباً ورجالاً، وإذا أردنا أن تتوضّح لنا الأمور لابُدّ أن نرى قرب المنهج مع منهج سيّد الشهداء عليه السلام؛ فهذا أميرُ المؤمنين قدّم الماء لأعدائه وهو في معركة، وأعداؤه منعوا الماءَ عنه، لكن الإمام الحسين عليه السلام سقى أعداءه الماءَ وهو يعلم أنّ هؤلاء سيكونون من المحارِبين له بعد أيّام، والأعداء منعوا الماء؛ لا عن الإمام الحسين عليه السلام فقط وإنّما حتّى عن الرضيع، فباؤوا

بغضبٍ من الله تعالى ورسولِه ﷺ والملائكةِ والناس أجمعين، وهذا المنهج يتكرّر في كلّ زمان ومكان؛ ولأجل الوقوف على هذه الحقيقة أعرض روايةً؛ حتّى نعلم -وأنتم بلا شكٍّ عالمون بذلك- ما هي المرتبة التي كرّم اللهُ تعالى الإمامَ الحسين ﷺ بها.

الرواية تتحدّث عن شخصٍ اسمُهُ الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي، وهو شخص كما تعرفون مقرَّبٌ من الإمام السجّاد ﷺ، ولاحظ ماذا يقول؟ خرجتُ في آخر زمانِ بني مروان لزيارة قبر الحسين ﷺ مستخفياً، حتّى انتهيتُ إلى كربلاء فاختفيتُ في ناحية القرية، حتّى إذا ذهبَ من الليلِ نصفُهُ أقبلتُ نحو القبر، فلمّا دنوتُ منه أقبَلَ نحوي رجلٌ فقالَ لي: انصرِفْ مأجوراً فإنّك لا تصل إلى القبر، يقول فرجعتُ فَزِعاً حتّى إذا كاد يطلع الفجر أقبلتُ نحوه، حتّى إذا دنوت منه خرَجَ إليّ الرجل فقال لي: يا هذا إنّك لا تصل إليه، فقلت له: عافاك الله ولِمَ لا أصلُ إليه وقد أقبلتُ من الكوفة أريدُ زيارته، فلا تَحُلْ بيني وبينه وإني أخافُ أن أصبِحَ فيقتلوني إن أدركوني ها هنا، قال لي: اصبِرْ قليلاً فإنّ موسى بن عمران سألَ الله أن يأذنَ له بزيارة قبر الحسين بن علي، فأذِنَ له فهبط من السماء بـ(٧٠) ألف ملك، فهم بحضرته من أوّل الليل ينتظرون طلوع الفجر ثمّ يعرجون إلى السماء، قال فقلت له: فمَنْ أنت عافاك الله؟! فقال: أنا من الملائكة الذين أُمِروا بحَرس قبر الحسين والاستغفار لزوّاره، فانصرَفتُ وكاد أن يطيرَ عقلي لِما سمعتُ منه، فأقبلتُ لمّا طلع الفجرُ نحوه فلم يحُلْ بيني وبينه أحد، فدنوتُ من القبر وسلّمتُ عليه ودعوتُ على قتَلَتِه وصلّيتُ الصبح، وأقبلتُ مسرِعاً مخافةَ العدوّ، اللهمّ العَنْ قَتلَةَ سيّد الشهداء، اللهمّ العَنْ أوّل ظالمٍ ظَلَم وأسّس لذلك[1].

لعلّ بيننا وبين القصّة أكثر من (١٣٠٠) سنة، وكان هناك مَنْ يترصّد زوّار قبر الحسين ﷺ، ويبقى هنا سؤالٌ لا بُدّ أن يجيبَ عنه الطواغيت، لماذا تخافون

١ - ينظر: كامل الزيارات: ٢٢١.

من الحسين عليه السلام؟! بعد ٢٠٠٣م رأينا وثيقةً كنّا سَمِعنا بها قبل ٢٠٠٣م، بعد ذلك رأيناها بأمّ العين وقرأناها، أنا أخاطب الشباب الذين لم يمرّوا -وإن شاء الله- لن يمرّوا بعوائق لزيارة سيّد الشهداء عليه السلام، ماذا كان في هذه الوثيقة؟

كانت هناك مجموعةٌ من أعوان النّظام جرحوا أياديهم، وأخذوا من دمائهم، وكتبوا عهداً لرئيسهم، أتعلمون أيّها الشباب الأحبّة ماذا كان في هذا العهد؟ كان عهداً بالدمّ أنّنا سنمنع زوّار الحسين عليه السلام، وهذا العهد قريب قبيل ٢٠٠٣م، وبيننا وبين قصّة ابن بنت أبي حمزة أكثر من (١٣٠٠) سنة، وما دام الحسين عليه السلام باقياً وما دمتم أنتم بولائكم لسيّد الشهداء عليه السلام، لا بُدّ أن يبقى في كلّ زمانٍ ومكانٍ يزيدُ وأتباع يزيد، ولكلّ موسى فرعون؛ ولكن لن ندع زيارة الإمام الحسين عليه السلام؛ فعن الإمام الصادق عليه السلام:« ... **فلا تدعْ زيارتَه يمدّ الله في أعمارِكم ويزيد في أرزاقكم، وإذا تركتم زيارته نقّص الله من أعماركم وأرزاقكم، فتنافسوا في زيارته ولا تدعوا ذلك، فإنّ الحسين شاهدٌ لكم في ذلك عند الله ورسوله وعند فاطمة وأمير المؤمنين**»[1]، ولاحظوا أنّ الإمام الحسين عليه السلام يشهد والإمام الحسين عليه السلام لا تُردُّ شهادتُه، فهنيئاً لمحبّي سيّد الشهداء عليه السلام والذين يُحيون أمر سيّد الشهداء، هنيئاً لهم بالإمام الحسين عليه السلام.

أيّها الأحبّة ونحن نقف الآن أمام هذه الرياض الطاهرة النقيّة، التي يتنافس فيها الملائكةُ، قطعاً لو كُشف الغطاءُ عن أبصارنا لرأينا أشياء عجباً في هذه البقعة الطاهرة، وسيد الشهداء الحسين عليه السلام ما زال مُعلِّماً ومُرشِداً ومُلهِماً وقائداً.

أيّها الإخوة فلْتنتشر المجالسُ الحسينيّة بمقدار ما استطعتم، واحرصوا على أن يحضر الأطفال في هذه المجالس حتّى الرُّضّع، وبالأمس رأينا أبطالاً وقفوا أمام أعتى عصابةٍ مجرمة، لا ترقبُ فينا إلًّا ولا ذمّة، الذين ردّوها هم أبطالٌ تربّوا في مجالس سيّد الشهداء عليه السلام، أولئك لبِسوا القلوبَ على الدروع، وكانت جميع المعادلات تراهن على أنّ المسألة ستبقى إلى (٣٠) سنة، ولكنّ شيبة النّجف

١ - كامل الزيارات:٨٥٢.

- أبقاها الله تعالى- قالت؛ وإذا قالت المرجعيّةُ كلمةً لبّى هؤلاء الفتية الأبطال، وأوقعوا في هؤلاء جريمةً نكراء لن ينسوها هم وأسيادهم.

أسأل العالَم، ما الذي جاء بهؤلاء الإخوة إلى هذا المكان؟ تعرفون مَنْ؟

هو الإمام الحسين ﷺ؛ فهو قويٌّ ويبقى قويّاً، اليوم هو أقوى شخصٍ في الدنيا لا في كربلاء فقط، تبدّلت الرايات، كلّ العالم الآن مشدودٌ إلى كربلاء، كربلاء ليست هذه البقعة الجغرافيّة وإنّما امتدّت قضيّةُ أبي عبدالله الحسين ﷺ إلى العالم.

إنَّ جمرة ومحبّة الإمام الحسين ﷺ لا تنطفئ من قلوب المحبّين؛ ولذلك حاول من حاول أن يتصدى لشيعة أهل البيت ومحبّي الإمام الحسين ﷺ في سالف الزّمان وأن يُوجِد حاجزاً بينهم وبين أئمّتهم الأطهار سلام الله عليهم بالخوف والقتل والتّشريد والتّنكيل والإعدام، ولكن لاتزال جذوة ومحبّة المؤمنين هي الأقوى، وهي الأبقى؛ لأنَّها ارتبطت بسيّد الشّهداء ﷺ، وأنا في حقيقة الأمر لا أعلم على وجه التّحديد من ذلك الشخص الذي نادى، وأوجد شعاراً، ولا زلنا نُردّده دائماً؛ لأنَّ فيه دلالة واضحة على التحدي مهما كانت الظّروف والعصور والشّعار هو: «**أبد والله لن ننسى حسينا**».

إنَّ الإمام الحسين ﷺ يعني لنا الحياة في الدنيا والحياة في الآخرة؛ وبيان ذلك؛ وهذا مما يحتاج إلى الانتباه والالتفات إليه؛ إنّ أحد أصحاب الإمام الصادق ﷺ يُدعى معاوية بن وهب[1] قال: استأذنت على أبي عبد الله فقيل لي: ادخل، فدخلت فوجدته في مصلاّه، فجلست حتَّى قضى صلاته فسمعته وهو يُناجي ربّه وهو يقول: «**يَا مَنْ خَصَّنَا بِالْكَرَامَةِ، وَوَعَدَنَا الشَّفَاعَةَ، وَحَمَّلَنَا الرِّسَالَةَ، وَجَعَلَنَا وَرَثَةَ الأَنْبِيَاءِ، وَخَتَمَ بِنَا الأُمَمَ السَّالِفَةَ، وَخَصَّنَا بِالْوَصِيَّةِ، وَأَعْطَانَا عِلْمَ مَا مَضَى وَعِلْمَ مَا بَقِيَ، وَجَعَلَ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْنَا، اغْفِرْ لِي وَلِإِخْوَانِي وَزُوَّارِ قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ، الَّذِينَ أَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ، وَأَشْخَصُوا**

---

١ - معاوية بن وهب البجلي، أبو الحسن: عربي، صميم، ثقة، حسن الطريقة، روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن ﷺ. له كتب منها، كتاب فضائل الحج. (معجم رجال الحديث/ السيد الخوئي/ الناشر: مؤسسة الخوئي الإسلامية: ١٩/ ٢٤٤).

أَبْدَانَهُمْ رَغْبَةً فِي بِرِّنَا، وَرَجَاءً لِمَا عِنْدَكَ فِي صِلَتِنَا، وَسُرُوراً أَدْخَلُوهُ عَلَى نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِجَابَةً مِنْهُمْ لأَمْرِنَا، وَغَيْظاً أَدْخَلُوهُ عَلَى عَدُوِّنَا، أَرَادُوا بِذَلِكَ رِضْوَانَكَ، فَكَافِهِمْ عَنَّا بِالرِّضْوَانِ، وَاكْلأهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَاخْلُفْ عَلَى أَهَالِيهِمْ وَأَوْلادِهِمُ الَّذِينَ خُلِّفُوا بِأَحْسَنِ الْخَلَفِ، وَاصْحَبْهُمْ وَاكْفِهِمْ شَرَّ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَكُلِّ ضَعِيفٍ مِنْ خَلْقِكَ وَشَدِيدٍ، وَشَرَّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَأَعْطِهِمْ أَفْضَلَ مَا أَمَّلُوا مِنْكَ فِي غُرْبَتِهِمْ عَنْ أَوْطَانِهِمْ، وَمَا آثَرُوا عَلَى أَبْنَائِهِمْ وَأَبْدَانِهِمْ وَأَهَالِيهِمْ وَقَرَابَاتِهِمْ. اللهُمَّ إِنَّ أَعْدَاءَنَا أَعَابُوا عَلَيْهِمْ خُرُوجَهُمْ، فَلَمْ يَنْهَهُمْ ذَلِكَ عَنِ النُّهُوضِ وَالشُّخُوصِ إِلَيْنَا خِلَافاً عَلَيْهِمْ، فَارْحَمْ تِلْكَ الْوُجُوهَ الَّتِي غَيَّرَتْهَا الشَّمْسُ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْخُدُودَ الَّتِي تَقَلَّبَتْ عَلَى قَبْرِ أَبِي عَبْدِ اللهِ الْحُسَيْنِ ﷺ، وَارْحَمْ تِلْكَ الْعُيُونَ الَّتِي جَرَتْ دُمُوعُهَا رَحْمَةً لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الْقُلُوبَ الَّتِي جَزِعَتْ وَاحْتَرَقَتْ لَنَا، وَارْحَمْ تِلْكَ الصَّرْخَةَ الَّتِي كَانَتْ لَنَا، اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ تِلْكَ الأَنْفُسَ وَتِلْكَ الأَبْدَانَ، حَتَّى تُرَوِّيَهُمْ مِنَ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ»[1].

وهنا مجموعة من النّقاط التي لا بُدَّ من الإشارة لها:

النّقطة الأولى: إنّ ناقل هذا الحديث شخصية معظمة، لها وزن علميّ يدخل على الإمام الصّادق ﷺ، ويجده في مصلّاه؛ والظّاهر أنّه كان ساجداً كما في بعض الروايات، فيسمع من الإمام ﷺ كلاماً للإمام الصادق ﷺ طويلاً لعلّ أكثركم يحفظه، وفيه جمل مهمّة لي ولكم.

النّقطة الثانية: أقرب ما يكون العبد إلى ربّه تعالى في سجوده[2]، فكيف إذا كان السّاجد هو الإمام ﷺ؛ وهو يدعو لي ولك قائلاً: «**اللهُمَّ إِنِّي أَسْتَوْدِعُكَ تِلْكَ الأَنْفُسَ وَتِلْكَ الأَبْدَانَ، حَتَّى تُرَوِّيَهُمْ مِنَ الْحَوْضِ يَوْمَ الْعَطَشِ**» فالإمام الصادق ﷺ يدعو الله تعالى ويطلب منه أن تكون هذه الأنفس وهذه الأبدان مستودعة وأمانة عنده تعالى، فزائر الإمام الحسين ﷺ له

---

١ – كامل الزيارات: ١١٦.

٢ – عن الإمام الرضا ﷺ:" أقرب ما يكون العبد من الله عز وجل وهو ساجد، وذلك قوله تبارك وتعالى: (واسجد واقترب)" (عيون أخبار الرضا ﷺ، ابن بابويه، محمد بن علي (ت: ٣٨١هـ)، نشر جهان، طهران ١٤٢٠هـ، الطبعة الأولى: ٢/ ٧.

مقام كريم، وقد روي عن أبي بصير[١]، عن أبي جعفر عليه السلام: «**أنَّ مَن أحبَّ أن يكون مسكنه الجنّة ومأواه الجنّة فلا يَدعَ زيارة المظلوم، قلت: مَن هو؟ قال: الحسين بن علي صاحب كربلاء، مَن أتاه شَوقاً إليه وحُبّاً لرسول الله وحبّاً لأمير المؤمنين وحُبّاً لفاطمة عليها السلام أقعده الله على موائد الجنّة، يأكل معهم والنّاس في الحساب**»[٢]. فنجد في هذه الرواية ضمان لكم؛ ومعنى الضّمانة أنّ الإمام الصادق عليه السلام دعا لكم، وبيّن لأبي بصير منزله الزّائر يوم القيامة، وأنّهم في حال وغيرهم في حال آخر.

لذلك لنحرص أن نكون مع الإمام الحسين عليه السلام دائماً؛ لنحرص على التّمسك بهذه الشّعائر؛ لنحرص على ذرف الدّموع والبكاء؛ فهذا البكاء مما يرتجف منه العدو؛ لأنَّها دمعة فيها حرارة تنطلق من جمرة موجودة في قلب فيه الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ هذا الشّهر الشّريف بحزنه قد هلَّ، ومع هلاله يختلج سؤال في أذهاننا ماذا فعل وقدّم أبو عبد الله الحسين عليه السلام حتّى نرى أنّ الدّنيا اليوم كلّها تدور حول الإمام الحسين عليه السلام؟ وتعيش في فناء الإمام الحسين عليه السلام؟

إنَّنا نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «**السّلامُ عليك وعلى الأرواح التي حلَّت بفنائك**»[٣]. فقد ورد أنَّها تُشير إلى أصحاب وأنصار الإمام الحسين عليه السلام؛ لكن الزيارة عبّرت أنَّهم حلّوا بفنائه؛ والفناء خارج الشيء[٤] وبعبارة أخرى إنهّم لم يعرفوا الحسين عليه السلام معرفة حقيقية؛ فالإمام عليه السلام يحيط بالدنيا وما فيها ويُعطي لمن يتمسّك به ويدعو له، وكلّ الناس إذا مروا بالإمام الحسين عليه السلام ينتصرون، وكلّ الناس إذا مروا بالإمام الحسين يأخذون منه القوّة والعزم والثّبات، وإذا كان هذا حال من مرّ بالإمام الحسين عليه السلام فما بالنا نحن؟

---

١ - أبو بصير يحيى بن أبي القاسم الكوفي الأسدي من رواة الحديث عند الشيعة في القرن الثّاني الهجريّ، ومن أصحاب الإمام الباقر، الإمام الصادق والإمام الكاظم عليهم السلام، وهو من أصحاب الإجماع.(معجم رجال الحديث ٢١ : ٣١)

٢ - كامل الزيارات:١٤٨.

٣ -كامل الزيارات: ٣٣٢.

٤ - السَّاحةُ في الدَّارِ أو بجانبها. والجمع: أَفْنِيَةٌ.

نحن في أرض تعطّرت بدماء الإمام الحسين ﷺ، وبدماء أهل بيته ﷺ، وبدماء الخيرة الصّالحة من صحبه ﷺ؛ لذلك هذا يتطلب منّا أن نتمسّك بسيّد الشّهداء الحسين ﷺ أكثر وأكثر، وأن نتمسّك بشعائر الإمام الحسين ﷺ أكثر وأكثر؛ فهذه الشّعائر وهذا الإمام ﷺ هما من أبقانا أحياء؛ فقد تعلّمنا من الإمام الحسين ﷺ كيف نحيا، وكيف نعيش بكرامة، وكيف نستلهم القوّة والشّجاعة.

إنَّ الامام الحسين ﷺ حاضر فينا في كلّ حين فهو رُبَّان سفينتنا، وهو دليلنا الذي نستهدي بنوره في ظُلمات هذه الدّنيا، وفي مثل هذا الشهر الحرام حاول الظالمون إطفاء هذا النور، واتبعوا الشيطان الذي أوحى لهم فقتلوا ريحانة رسول الله ﷺ، وقتلوا أهل بيته وأصحابه ﷺ، ونهبوا رحله، وسبوا عياله، ونكّلوا بهم أشدّ التّنكيل، وحاولوا بكلّ تلك الأفعال أن يُطفئوا نور الإمام الحسين ﷺ، لكن دمه الطّاهر الذي سال على هذه الأرض المقدَّسة أحيا النّاس من بعده فكان استشهاده ﷺ حياة أمّة النّبي ﷺ وحياة الناس أجمعين، وإنَّ حرارة قتله ستبقى في قلوب المؤمنين مقياساً ومناراً على الصّراط المستقيم إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

ثم إنَّ لشهر محرّم الحرام خصوصية كبرى في حياة المؤمنين؛ لأنَّهم يحيون أيّامه ولياليه بشتَّى أصول العزاء والشّعائر المختلفة، ويمتثلون بذلك أمر أئمّتهم ﷺ في إحياء أمرهم والتذكير بأنّ الإمام الحسين ﷺ خرج لطلب الإصلاح في أمّة جدّه[1] وإنّ الحقَّ من هنا ليحيا من حيّ عن بيّنة، ويهلك من هلك عن بيّنة، وإنَّ تجمُّعَنا هذا لممارسة هذه الشعيرة المباركة؛ شعيرة تبديل راية العتبة الشريفة للمولى أبي الفضل ﷺ هي البداية لهذه المراسم، فمن هذه اللحظة نُعلن بداية شهر سيد الشهداء الحسين ﷺ وأن تكون بدايتنا بأن نُردّد بأعلى أصواتنا شعار المؤمنين الخالد **(لبّيك يا حسين)**.

---

١ - قال الإمام الحسين ﷺ:" ... وأني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي صلى الله عليه وآله...". بحار الأنوار، الشيخ محمّد باقر بن محمّد تقي المجلسي(ت: ١١١١ هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء، الطبعة: الثانية، تاريخ النشر : ١٤٠٣هـ.ق: ٤٤ / ٣٢٩.

لنحرص كلّ الحرص بأن نتقرّب إلى الله عز وجل في مراسم العزاء هذه بكلِّ ما يُرضيه، وأن نتجنّب ما يمكن أن يخدش أو يوهن هذه الشعائر العظيمة التي أمرنا الله عزّ وجلّ بتعظيمها؛ لأنَّ هذه الشّعائر كانت واحدة من أهم العوامل التي وفقت جموع المؤمنين ودفعت المؤمنين للتوجه لساحات القتال فإنّ كلّ المؤمنين المجاهدين يستمدون حماستهم من الإمام الحسين عليه السلام، ويحاولون بكلّ وسيلة التّشبّه بأصحاب الإمام الحسين عليه السلام فالسلام على الحسين، وعلى علي بن الحسين، وعلى أولاد الحسين، وعلى أصحاب الحسين.

أبقاكم اللهُ إخوتي أعزّةً وحُضّاراً لمجالس سيّد الشهداء، بل وصنّاعاً للمجالس لا حضّاراً فقط، لا توجد مدرسةٌ غير مدرسة سيّد الشهداء، والذي يتمسّك به هو الفائز، وأسوأ شيءٍ أن يبيع الإنسانُ آخرتَه بدنياه، وأسوأُ منه مَنْ يبيع آخرتَه بدنيا غيره، والإمام الحسين عليه السلام هو الدنيا والآخرة ولا يعوَّضُ بثمن، وشعارنا هو شعارُ الطفّ (**ما دمنا على الحقّ لا نبالي وقعنا على الموت أو وقع الموتُ علينا**).

طهَّر الله تعالى قلوبكم من الدَّنس، وطهّر الله قلوبكم من كلِّ زيفٍ، وحفظ أجسادَكم، وسلّم هذه الأجساد التي تلطم حزناً على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، وفرّح قلوبكم وعيونكم يومَ القيامة؛ فهذه العين التي تدمع على الإمام الحسين عليه السلام نسأل الله تعالى بحق من نحن بجواره أن تفرح هذه العيون يوم القيامة، وتكتحل بالنَّظر الى ذلك النَّعيم الأبدي الذي ادّخره الله تبارك وتعالى لأوليائه.

نسأل الله تعالى أن يكحّل أبصارنا وأبصاركم بتلك الطّلعة البهيّة، التي سيكون من أهدافها النّصرة لجدّه الحسين عليه السلام.

أبقى الله تعالى هذه الحناجر صادحةً، وأبقى الله تلك الأيادي التي تقبض على سلاح الحقّ؛ حمايةً لهذا البلد العزيز ومقدّساته وأرضه وأعراضه، ومتّعنا الله تعالى ببلدٍ آمن.

المبحث الثاني

تأمُّلاتٌ جديدةٌ في مَشْهَدِ البُكاء

من القضايا الواضحة للعيان أنَّ شهرَ محرّم الحرام هو شهر الإمام الحسين ﷺ، والإمام الحسين ﷺ أصبح عنواناً مهمّاً في حياة المسلمين؛ بل في حياة جميع الأحرار في العالم؛ حتَّى من غير المسلمين، وحقيقة هذا العنوان هو عنوان ضخمٌ، وعنوانٌ واسعٌ وكبير.

إنَّ الإمام الحسين ﷺ كان ولا يزال الرّائد في مجالات الكمال الإنساني؛ وقد أفرزت واقعة الطَّف نُبلاً خاصّاً في ساحات الوغا، وقد كان له انعكاسات في غاية الأهمّيّة يوم الطّف على شخصيات برزت في الواقعة؛ ونبدأ بأهم شخصية بعد انتهاء الواقعة؛ ألا وهي شخصية الإمام زين العابدين ﷺ؛ فقد كانت حياة الإمام السّجّاد ﷺ حياة حافلة بالعطاء، والتّراث الذي تركه ﷺ قد كان تراثاً واسعاً وكبيراً، ولعلَّ من جملته عندما يُذكر الإمام السّجاد ﷺ يُذكر معه تراثه المتمثّل بالصّحيفة السّجّاديّة؛ فهو تراثٌ ضخمٌ في أدب أهل البيت ﷺ وفي معارفهم؛ ويتّصف هذا التراث بأنّ الجميع يستفيد منه؛ فكلّ واحد عندما يأتي للصحيفة، ويقرأها بتأمّل سيخرج بمجموعة كبيرة من المعارف المبثوثة من خلال الأدعية الشّريفة؛ ومن القضايا الظّاهرة والبارزة في حياة الإمام ﷺ استذكار واقعة الطَّف بشكلٍ مستمر؛ فالمؤرّخون عندما يترجمون لحياة الإمام السجاد ﷺ تستوقفهم مسألة استذكاره لواقعة الطَّف؛ ويذكرون أنّه ما عرض عليه الماء إلَّا ومزجه بدموع عينيه؛ حتَّى وصل الحال أنَّ أهل بيته كانوا يرقّون لحاله من شدّة تعلّقه بالإمام الحسين ﷺ؛ وهذا يجرّنا إلى الكلام عن أدب البكاء أو أدب التّباكي؛ ومسألة البكاء مسألة عاطفية لها علاقة برقّة قلب الإنسان؛ فالله تبارك وتعالى جعل خلقة هذا الإنسان وفق (أحسن تقويم)؛ وجعل فيه هذه الرّقّة والعاطفة والشّفقة منبعاً لرحمة منها يعطف الصّغير على الكبير، والغني على الفقير؛ وبها يتحنّن القوي على الضّعيف، فهي منبع لكثير من الأمور والقضايا الإيجابية الواسعة؛ ومن أدوارها المهمّة أنَّ هذه العاطفة في بعض الحالات تتحول إلى بكاء؛ ومن دلالات البكاء أنّه يدل على الضّعف أحيانًا؛ إذ الإنسان يبكي حين

يشعر بأنّه لا حيلة له، وأنّه عاجز وضعيف؛ ولذلك نرى بعض الرجال يرفضون هذا النّوع من انعكاس العاطفة؛ بل ويصفون من يبكي بصفات غير مناسبة؛ مع أنه هناك نوع من البكاء ناشئ من الرّقّة والتّفاعل مع المناظر التي تُثير الحزن؛ مثل بكاء محبّة الأم حينما تبديه لطفلها، أو الأب يبكي لطفله؛ والأقوى من هذا البكاء والأكثر تأثيراً حينما ينشأ ذلك البكاء في جوف الليل أثناء ارتباط الإنسان بمصدر العطاء والرّحمة؛ دون أن يسمع ذلك البكاء أحد أو يعلم به.

البُكاءُ وكشفُ الحقائقِ

لقد كان الأنبياء، والرّسل، والأوصياء عليهم السلام يبكون بكاءً مرًّا؛ وكان بعضهم من البكّائين وكان النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله يبكي؛ كما كان أمير المؤمنين علي عليه السلام يبكي؛ مع أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام من أشجع النّاس؛ فدلالة البكاء الأهم أنَّه علامة مهمّة تدل على خشية الله تعالى والخضوع له تبارك وتعالى؛ وهناك مقولة للإمام الصادق عليه السلام تُبيّن فلسفة اجتماع البكاء مع الشّجاعة والقوّة؛ فيقول عليه السلام: « **إنّ المؤمن يخشع له كلّ شئ، ويهابه كلّ شيء، ثمّ قال: إذا كان مخلصاً لله أخاف الله منه كلّ شيء حتّى هوام الأرض وسباعها، وطير السّماء وحيتان البحر** »[1].

ومن هنا نعرف أهمّيّة البكاء؛ وتأثير بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام في زعزعة عروش الظّالمين؛ لأنَّه نابع من خوف وخشية لله تعالى؛ ولذا نرى أكثر من كتب أو بحث في سيرة الإمام زين العابدين عليه السلام ركّز على جانب البكاء؛ مع الإشارة إلى فلسفة هذا العمل.

إنّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام له دلالة خاصّة؛ وهذه حقيقة يمكن أن نستنبطها من أحاديث المعصومين عليهم السلام؛ فمثلاً يقول الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله: «**إِنَّ**

١ - بحار الأنوار: ٦٩/ ٢٨٥.

لِقَتْلِ الحُسَيْنِ عليه السلام حَرَارَةً فِي قُلُوبِ المُؤْمِنِينَ لَا تَبْرُدُ أَبَداً»[1].

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «**قال الحسين بن علي عليهما السلام: أنا قتيل العبرة، قُتلتُ مكروباً وحقيقٌ على الله أن لا يأتيني مكروبٌ إلّا أردّه وأقلبه الى أهله مسروراً**»[2].

فنجد من الروايات أن قضيّة الإمام الحسين عليه السلام لها نحو خاصّ من ذلك؛ لأنَّ التّعامل مع مشهدٍ كبير ومشهدٍ مهمّ بحيث هذا المشهد المهمّ والكبير جزءٌ من بقائه سواء في الذّاكرة أو بقائه حياتيّاً يحتاج دائماً الى مذكِّر، والعاطفة والبكاء والحزن من أوسع وأكبر الأشياء التي تكون مذكِّرة ومحفّزة لبيان المشهد.

إنَّ هذا الحزن هو أمر عاطفيّ يشمل جميع الطبقات العالمة وغير العالمة، فهو ليس أمراً فكريّاً دقيقاً لا يقوى عليه إلّا الأوحدون من النّاس، وإنّما هو جانب عاطفيّ مركوز في حياة الجميع، ولا يحتاج إلّا إلى نوعٍ من الإثارة والتّحفيز، فكان دور الأئمّة عليهم السلام إبقاءً لقضيّة الإمام الحسين عليه السلام أن يذكروا هذا الكمّ الهائل من الروايات لعموم من يعتقد بهم ويواليهم، ولذلك بقيت هذه المسألة بحيث أنّ الإمام الحسين عليه السلام والأئمّة عليهم السلام يعبّرون عنه بـ(قتيل العبرة)، ويعنون بذلك الطريقة التي استُهدِفَ بها الإمام الحسين عليه السلام بحيث لا يذكره مؤمن إلّا استعبر في جميع ما جرى، وإن كانت بعض صور واقعة الطفّ لم تصل إلينا، وفي واقعة الطفّ الحالات الإبكائية هي أكثر ما وصلنا من هذا الكمّ الذي حفّز فينا هذا الأمر.

هل البكاءُ يمثّلُ حالةَ الضَّعف؟!

بعض الذين لا يقرأون المشهد العاشورائي بشكلٍ دقيق يحاولون أن يُضيفوا من عندهم أشياء بعيدة عن المشهد، ولا يقتربون من المشهد أصلاً، فهل البكاء حالة ضعف؟!

الجواب: كلّا.. عمليّة البكاء للّذي يقرأ النّصوص ليست عمليّة ضعف، وإنّما

---

١ – مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، النوري، حسين بن محمد تقي(ت: ١٣٢٠هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم١٤٠٨هـ، الطبعة الأولى: ١٠ / ٣١٨.

٢ – كامل الزيارات: ٢١٦.

عملية البكاء هي عمليّة رفض وعمليّة حزن على شيءٍ كبير سواء كان الإمام الحسين عليه السلام أو أهل بيته عليهم السلام أو شيءٍ أكثر من ذلك؛ وربَّ سائل يسأل ما هو؟

نعم؛ هو الموقع والمنصب، فهذا الموقع والمنصب الذي تأتي بعض الروايات تعبّر: «بقتلك قُتِل التكبيرُ والتّهليلُ»[١]، عندما يتصوّر الإنسان هذا الموقع -موقع الإمامة- وكيف تُستباح الإمامة بهذه الطريقة؛ والإمامة هي حقّ من حقوق الله تعالى، فالإمامة كالنبوّة، والقرآن الكريم يقول لإبراهيم عليه السلام: ﴿**قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا**﴾[٢] مع أنّ إبراهيم عليه السلام كان نبيّاً، وهذا حقٌّ من حقوق الله تعالى، فالاعتداء على سيّد الشهداء عليه السلام يعبُرُ عن كونه اعتداءً على شخصه هو الحسين بن علي عليه السلام، وكفى به اعتداءً، لكنه يتجاوز الى مرحلة الاعتداء على حرمةٍ من حرمات الله تعالى ألا وهي الإمامة، ولا شكّ أنّ الإنسان عندما يتأمّل، ويجرّد نفسه من كلّ ثقافة أخرى يجد أنّ هذا الحقّ من حقوق الله تبارك وتعالى قد انتُهِك بطريقة يدّعي بها المنتهك أنّه مسلم، ولذلك السيدة زينب عليها السلام عندما تقول: (**بدينِ الله ودينِ أبي ودينِ جدّي اهتديتَ أنت وجدُّكَ وأبوكَ إنْ كنت مسلماً!**)[٣]؛ فالمسألة ليست خاضعةً لشخصٍ عاديّ وإنّما فيها حالة من الإمامة؛ وأكثر من ذلك ما رَبْطُ قضيّة الضعف بسكّان السماوات؟!! والآن لو فرضنا أنّ قائلاً يقول: أنّ قضيّة البكاء قضيّة ضعف وقضيّة مظلوميّة مجرّدة، ما علاقة هذا بأهل السماء؟!! وسأقرأ النصّ التالي في الزيارة الشريفة وأذكر قول المعصوم عليه السلام: (**لقد عَظُمت المصيبةُ وجلّت الرزيّة بك علينا وعلى جميع المسلمين..**)[٤] إذن الدائرة توسّعت -علينا وعلى جميع المسلمين- ولاحظوا النصّ الآخر قال: (**لقد عظمت الرزيّة وجلّت المصيبة بك علينا وعلى**

١ - ينظر: بحار الأنوار: ٨٩ / ١٤٢.

٢ - سورة البقرة الآية: ٤٢١ .

٣ - الأمالي(للصدوق)، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، طهران١٤١٨هـ، الطبعة السادسة:١٣٢ .

٤ - كامل الزيارات: ٨٢٣.

جميع أهل السماوات والأرض)[1]؛ إذن المسألة تحتاج إلى تأمّل، وهناك نصّ آخر: **(مصيبةٌ ما أعظمها وأعظم رزيّتها في الإسلام وفي جميع السماوات والأرض)**[2].

إذن نحن أمام مصيبةٍ هي بنفسها عظيمة، وهذه المصيبة العظيمة تحتاج الى من يُلفت نظرنا الى أنّها هي فعلاً عظيمة، ولو لم نكن مع هذا الكمّ الهائل من الروايات ومن طريقة الزيارات لضاعت علينا مصيبةُ أبي عبدالله الحسين عليه السلام بشكلٍ قد لا نتعامل معها إلّا بقضيّة تاريخيّة مجرّدة عن كلّ ما رافقها من هذه المشاهد المؤلمة، فالتعاطي مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام بالغ الإهمية، ولكن السؤال هنا ما هي المشاهد التي لابُدّ أن نتفاعل معها؟

وما هي الحالة التي لابُدّ أن نبقيها على مرّ الأجيال؟

حقيقة الحالة التي حفظت هذه العلقة ما بيننا وبين الإمام الحسين عليه السلام هو إصرار المؤمنين -أعلى الله تعالى شأنهم- على أن يتفاعلوا مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام مثلما جاء في الروايات، وهذه نقطة غاية الأهمّية في التعامل مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ الرّوايات الشَّريفة للأئمّة الأطهار عليهم السلام على مدى أكثر من مئتي سنة من زمن النبيّ صلى الله عليه وآله إلى سنة (٢٥٥هـ)، يعني منذ قرنين ونصف الأئمّة الأطهار عليهم السلام ذكروا هذا الكمّ الهائل من الرّوايات بحيث أصبحت قضيّة الإمام الحسين عليه السلام عصيّة، حتّى حالة الإبكاء عصيّة على أن يقف أحد بوجهها، وهذا جهد بذله الأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ -لأنّها قضيّتهم- في التفاعل مع قضيّة الإمام الحسين عليه السلام، لذا فإنّ الإنسان الذي يتعامل معها وفق هذا المشهد وإلّا هناك مشاهد أخرى، وأنا فقط أحببتُ أن أركّز على المشهد الإبكائي؛ المشهد الذي فيه حالة من الاستعداد النفسي لرفض الظلم، المشهد الذي يُبيّن عظم الموقع والمصيبة التي مرّت على آل النبيّ صلى الله عليه وآله في قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام، وإنّما المشاهد كثيرة في واقعة الطفّ قد نعرّج على بعضها في وقتٍ آخر؛ لكن هذا المشهد لأنّه تعرّض الى كثيرٍ من اللّغط لمن لا يقرأ ولمن

١ - بحار الأنوار: ٨٩ / ٤٩٢.
٢ - م.ن: ٨٩ / ٤٩٢.

أعمَتْه الحالة من أن يرى واقع الحال، وإنّما هذا المشهد هو مشهدٌ إبقائيّ لقضيّة سيد الشهداء(عليه السلام)، فالإمام الحسين(عليه السلام) عندما يقول: (**أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا بكى**)[1] لا يتحدّث عن مؤمنين في عصره وإنّما هي حالةٌ عامّة، وهذه الحالة العامّة تشمل المؤمنين في زمنه والمؤمنين اللاحقين، وكلّ من يسمع ويعلم ويرى هذا المشهد العاشورائيّ عليه أن يتفاعل، ومن مصادق التّفاعل المواكب الحسينيّة التي لا نقوى على عدّها، وهذا المشهد الإبكائي بالطَّريقة التي تُستدرّ فيها الدّمعة ويظهر أنّ للإمام الحسين(عليه السلام) هذا الكيان، ومع ذلك تجرّأ عليه من يدّعي الإسلام وقتله؛ فهذه وغيرها لها هذا الأثر الطّيّب في إبقاء هذه الحالة العاطفيّة التي تتكرّر مع مشهد سيد الشهداء(عليه السلام) في كلّ عام، وأين عَمَّم هذا المشهد؟

عمَّمَه على بقيّة الأئمّة(عليهم السلام) بحيث هناك روايات تقول: (**يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا**)[2]، بحيث أصبح الآن الشّابّ والطّفل يعرِفُ مَنْ هم أئمّته(عليهم السلام) من خلال إحياء المؤمنين لهذه المراسيم على طول السّنة، وأصبح من السّهل الآن على أيّ شابّ أن يعدّد أسماء الأئمّة الأطهار(عليهم السلام)، والجزء الباقي مِن هذا هو هذه الممارسات الحزينة التي أكّدتها الرّوايات الشريفة، وإلّا أهلُ السماء مَنْ هم؟!

من هم سكّان السّماء؟!

بشر؟!! ملائكة؟!! أيّ حالةٍ من الضعف تمرّ بهم وهم يحزنون في السّماء؟!

إنَّ هذا المشهد الى الآن لم نقرأه بطريقةٍ مثل ما أراد الأئمّة(عليهم السلام)، وقد يكون عندنا قصور في هذه المصيبة التي يتفاعل معها سكّان السماوات ويتفاعل معها سكّان الأرضين، وقرأنا

---

١ - كامل الزيارات: ٦١٢.

٢ - عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): "... إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى اطَّلَعَ إِلَى الْأَرْضِ فَاخْتَارَنَا وَ اخْتَارَ لَنَا شِيعَةً يَنْصُرُونَنَا، وَ يَفْرَحُونَ لِفَرَحِنَا، وَ يَحْزَنُونَ لِحُزْنِنَا، وَ يَبْذُلُونَ أَمْوَالَهُمْ وَ أَنْفُسَهُمْ فِينَا، أُولَئِكَ مِنَّا وَ إِلَيْنَا.
مَا مِنَ الشِّيعَةِ عَبْدٌ يُقَارِفُ أَمْراً نَهَيْنَا عَنْهُ فَيَمُوتُ حَتَّى يُبْتَلَى بِبَلِيَّةٍ تُمَحَّصُ بِهَا ذُنُوبُهُ، إِمَّا فِي مَالِهِ، وَ إِمَّا فِي وُلْدِهِ، وَ إِمَّا فِي نَفْسِهِ حَتَّى يَلْقَى اللهَ عَزَّ وَ جَلَّ وَ مَا لَهُ ذَنْبٌ، وَ إِنَّهُ لَيَبْقَى عَلَيْهِ الشَّيْءُ مِنْ ذُنُوبِهِ فَيُشَدَّدُ بِهِ عَلَيْهِ عِنْدَ مَوْتِهِ...". الخصال: ٢ / ٦٣٦.

سابقاً روايات مفصّلة كثيرة أنَّ الله تعالى أوكل بهذا القبر الشّريف وبأصحابه أيضاً الملائكة تنزل غبراً شعثاً يبكون الإمام الحسين عليه السلام، فإذن ما حدث في يوم عاشوراء شيءٌ مهول، وعندما تقول السّيّدة زينب عليها السلام: **(ليت السماء انطبقت على الأرض)**[1]؛ لأنّ مولاتنا زينب عليها السلام عالمة تعرف هول المُصاب الذي حدث، ولولا أنّ أمّة النبيّ صلى الله عليه وآله أمّة مرحومة لوقع فيها ما وقع، نعم يكفي الأمّة أن يقع بعض منها في ضلال باستهدافهم سيّد الشّهداء الإمام الحسين عليه السلام، والنّقطة التي أحببت أن أبيّنها أنّ قضيّة الحزن والإبكاء والبكاء ليست مسألة طارئة على عاشوراء، بل هي مسألة أساسيّة وجزء مهم من قضيّة عاشوراء، وهذه الرّوايات الصَّريحة في ذلك تؤكّد، بل هذا البقاء للإمام الحسين عليه السلام جزءٌ منه هو هذه المجالس التي تستدرّ الدّمعة على سيّد الشهداء عليه السلام.

الجهلُ بِفلسفةِ البُكاء

إنَّ البكاء العاشورائي له رونق خاصّ، ولكن المؤسف أنَّ البعض لا يرى عاشوراء بمنظار دقيق جدًّا؛ فيأتي ويفلسف الأمور وفق ما يرى؛ ويرى أنَّ البكاء العاشورائي لا محل له، وأن هذا خلل في المنهج وخلل في الرؤية؛ مع أن البكاء العاشورائي جزء من فهم عاشوراء؛ ولذلك لاحظوا أنّ أوّل من أسّس البكاء العاشورائي قبل عاشوراء هو النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله؛ فالبكاء هو دالّة، وهو علامة وإشعار وإعلام؛ ومن هنا فإنَّ البكاء العاشورائي أعطيت له منهجية خاصة عند الأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ ومن خلالها يتبيّن عظم ما جرى في واقعة كربلاء؛ ومن طريقه أيضاً نُعلن الاعتراض على ما جرى في واقعة الطف؛ وبكاءٌ مثل هذا ليس بكاءً ناشئاً عن عجز؛ وإنّما هو بكاء ناشئ عن حرارة تدل على إنَّك أيُّها الجبّار العتيد الذي قتلت الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كنت ظالماً وإن تعنونت بألف عنوان؛ فأنت ظالم؛ وأنا أبكي الحسين عليه السلام لمظلوميته كإمام، ولجرأتكم عليه وعلى أولاده

١- بحار الأنوار: ٤٥: ٥٤.

وعلى عياله، وأن يُقتل بهذه القتلة المرة؛ ولذلك البكاء العاشورائي تأريخ للمسلمين ولا يختص بشيعة أهل البيت ﷺ، وهناك كثير من الصحابة بكوا الإمام الحسين ﷺ، وكذلك كيف أنَّ العديد من الصحابة اعترضوا على عاشوراء وكثير من الصحابة اعترضوا على هذا القتل غير المبرر؛ نعم الناس كانت تخاف الناس، وكانت تخشى السلطة كما في أيّامنا، فكثيرٌ من الناس تُبتلى بظالم وتحاول السكوت، وعدم المواجهة؛ لكن لاحظوا هذا البكاء العاشورائي كيف أوصل لنا قضية الإمام الحسين ﷺ.

إنَّ الجانب العاطفي جانب غير منفكّ عن قضية الإمام الحسين ﷺ؛ وإن كان الإنسان يستفيد من الإمام الحسين ﷺ أشياء وأشياء؛ وهو مدرسة لا تنضب، وكلّ من يُريد من الإمام الحسين ﷺ فاليذهب ليستفيد؛ أمَّا أن نلغي الجانب العاطفي البكائي العاشورائي فهذا من أكبر الأخطاء في فهم عاشوراء.

إنَّ الدمعة العاشورائية هي بركان أزاء الظالمين، ورفض أمام الظالمين، وثورة ضد الظالمين؛ ولذلك كان الظالمون يتحسَّسون من هذه المسألة؛ وإلَّا أسألك ما ذنب شجرة سدر توضع عند قبر الإمام الحسين ﷺ يجتمع عندها عدد من محبّي الإمام الحسين ﷺ فتصدر أوامر من الجهات العليا في ذلك الوقت بقلع هذه الشّجرة؟

فإذا كان البكاء بكاء عاطفة فلماذا المنع؟

وإذا كان البكاء بكاء عاطفة فلماذا يصدر القرار بمنع الزهراء ﷺ؟

أنا أسأل كمسلم؟

وأنت تسأل كمسلم لماذا تبكي الزهراء ﷺ؟

لماذا يتأذى المسلمون عندما تبكي؟

أليست هذه بضعة رسول الله ﷺ؟

لماذا يقول البعض إنها آذتنا؟

إنَّ العلّة في كلّ ذلك أنَّ هذا البكاء إشارة لشيء عرفه الظالمون، وغفل عنه كثير.

البكاءُ يحتاجُ إلى مَعْرِفَةٍ

إنّ من نِعم الله تعالى علينا أن جعل سبحانه نماذج تعلّمنا كيف نتعامل مع قضية الإمام الحسين عليه السلام؛ ومن هذه النَّماذج الإمام السجاد عليه السلام؛ فقد نقلت عنه روايات عجيبة في هذا الشَّأن:

روى المحدِّثون أنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام بكى على أبيه الحسين عليه السلام عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلاَّ بكى، حتّى قال له مولى له: يا ابن رسول الله، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: ويحك؟ إن يعقوب النبي عليه السلام كان له إثنا عشر ابناً، فغيَّب الله عنه واحداً منهم فابيضَّت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن، واحدودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حيًّا في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟!(١).

وروي عن الإمام الصَّادق عليه السلام قال: "بكى علي بن الحسين عليه السلام عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتى قال له مولى له: جُعِلت فداك يا ابن رسول الله، إنّي أخاف أن تكون من الهالكين، قال: إنَّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنِّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّاخنقتني العَبْرة.

وقيل: إنَّه بكى حتى خيف على عينيه، وكان عليه السلام إذا أخذ إناء يشرب ماء بكى حتى يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك فقال: وكيف لا أبكي وقد مُنع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش؟ وقيل له: إنَّك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا ..."(٢).

وعن محمد بن سهل البحراني رفعه إلى أبي عبدالله عليه السلام قال:" البكّاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت محمد، وعلي بن الحسين عليه السلام فأمّا آدم: فبكى على الجنَّة حتى صار في خدّيه أمثال الأودية، وأمّا يعقوب: فبكى على يوسف حتى

١ - بحار الأنوار: ٤٦ / ١٠٨.
٢ -م.ن: ٤٦/ ١٠٩.

ذهب بصره، وحتّى قِيل له: ﴿تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنْ الْهَالِكِينَ﴾[1] .وأمَّا يوسف : فبكى على يعقوب حتى تأذَّى به أهل السّجن فقالوا: إمّا أن تبكي بالنّهار وتسكت بالليل، وإمّا أن تبكي بالليل وتسكت بالنّهار، فصالحهم على واحد منهما، وأمَّا فاطمة بنت محمد ﷺ: فبكت على رسول الله ﷺ حتى تأذَّى بها أهل المدينة، وقالوا لها: قد آذيتنا بكثرة بكائك، فكانت تخرج إلى مقابر الشّهداء فتبكي حتَّى تقضي حاجتها ثم تنصرف، وأمَّا علي بن الحسين عليه السلام فبكى على الحسين عشرين سنة أو أربعين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلاَّ بكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك يا ابن رسول الله، إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين، قال : إنَّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاَّ خنقتني لذلك عبرة"[2].

إنَّ من يتأمل في بكاء الإمام زين العابدين عليه السلام يجد أنَّ الإمام السجاد عليه السلام تعامل مع قضية كربلاء كصانع حدث؛ فكما أنَّ الإمام الحسين عليه السلام صنع تأريخاً في يوم عاشوراء وهذا التاريخ يحتاج من يستفيد منه، ويحتاج من يجعله تاريخاً مستمرًّا؛ ومن أولى من الإمام السجاد عليه السلام والسيدة زينب والمعصومين عليهم السلام بذلك.

لقد أسّس الإمام السّجّاد عليه السلام لنا مدرسة كريمة وكبيرة في تنظيم هذه الأمور التي لها علاقة بعاشوراء؛ فالذي حصل في حقيقة الأمرِ أمرٌ غريب لم يحدث في تاريخ المسلمين، بل حتّى في الجاهلية لم يحدث؛ أنَّ عائلة فيها نساء وفيها أطفال وفيها مرضى يحاول هؤلاء بعد أن قُتِل عميدُهم أن يطوفوا بهم في البلدان، وطبعاً الدّعاية الأموية كانت أمامهم، وأنَّ هؤلاء خرجوا على الخليفة، وخرجوا على الأمير، وتُحمَل الرّؤوس بهذه الطَّريقة التي لا يحدّثنا التاريخ بنظير لها.

إنَّ واقعة الطَّف جرأت من كان على شاكلة المُعسكر المقابل أن يعمل هذه

١ -سورة يوسف/ الآية: ٨٥.

٢ - بحار الأنوار: ٤٦/ ١٠٩.

الأعمال، فقتلوا، وذبحوا وبالنّتيجة هذه الواقعة فتحت نافذة لم تكن.

لقد كانت هناك تقاليد حتّى عند الجاهلية أنَّ المرأة تحترم، وإذا ضُرِبت من قبل أحد كان يعير؛ كذلك من عادات العرب إذا قَتَل أحدٌ شخصاً لا يسلبه، ولو فعل فذلك عار عند العرب؛ ولكن كلّ هذه الأمور ضُرِبت عرض الحائط؛ لأنَّ خصمهم كان هو الإمام الحسين عليه السلام.

على كلّ حال قضيّة الإمام الحسين عليه السلام تحتاج إلى رجال، وواقعة الطَّف تحتاج الى دراية، وتحتاج إلى فهم، وتحتاج من الإنسان عندما يقرأ النَّص أن يُفكّر.

واقعة الطّفّ تحتاج قادة تحمل هذه الواقعة حتّى تبقى مدرسة نستفيد منها الشّجاعة والهمّة وعدم اليأس والالتذاذ بالموت إذا كان في طاعة الله عزّ وجل، وترك الأهل والأقرباء والمال إذا كان في طاعة الله تعالى.

هذه عاشوراء مدرسة -كما قلنا- غير عقيم، مدرسة وَلُوْد دائماً؛ هي ترفدنا بنماذج، وتعزّز فينا المواقف العاشورائية؛ ولذلك العالم الآن بأسره عاشورائيّ، واقرأوا الآن الصّحف، ولاحظوا الآن مدارس العزاء في كلّ بقاع الأرض، والقلوب تهفو نحو قبر سيِّد الشّهداء عليه السلام.

إنَّ هذا البكاء العاشورائي له دورٌ مهمٌّ وفعّال في إيصال هذه الحرارة إلى جميع الأجيال، ولا بُدّ أن نبقى على البكاء العاشورائي، ولا يمكن أن نتخلّى عن هذا البكاء؛ لأنّه غير ناشئ عن ضعف، ولا ناشئ عن عجز؛ وإنَّما هو قرين الى البكاء في الله تعالى، يجعل الإنسان قويًّا لا يلين، ولا يخشى من أحدٍ.

المبحث الثالث

قَتِيْلُ العَبْرَةِ

مشهدُ عاشوراء مشهدٌ تتكرّرت فيه مجموعةٌ كبيرةٌ وهائلةٌ من الصُّور، وتكمن قدرتنا في كيفيّة الاستفادة من المشهد العاشورائي، وهذا الموضوع -موضوع سيّد الشهداء عليه السلام- هو موضوعٌ أساسيٌّ وحيويّ، وعندما نقف معه، ونحاول أن نبذل جهداً كبيراً من أجل الاستفادة منه، ونحاول أن نقرأ الروايات بهذا الشّأن بطريقةٍ موضوعيّة، وكيف تعاملت هذه الروايات مع سيّد الشهداء عليه السلام.

نحن نعتقد أنَّ مسألة الإمام الحسين عليه السلام كانت قد أخذت مساحة واسعة وكبيرة من حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام سواء أكان قبل الإمام الحسين عليه السلام أم بعده عليه السلام، وهذه نقطةٌ مهمّة أنه عليه السلام شغل مساحةً كبيرة لدى الأئمّة من قَبْله سواء مع جدّه النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله أو الأئمّة من بعده، وهذا التّركيز على سيّد الشهداء عليه السلام فيه مسألة تقفز الى السطح بشكلٍ واضحٍ ولائح، وهي أنَّ عاشوراء قُرِنت بقضيّة الحزن والإبكاء، وعندنا مجموعةٌ من الروايات من المُمكن أن تزوّدنا بها المدرسة العاشورائية، لكن ما يعنينا الآن هو هذا الحديث الذي سأعرضه، وسأقف عند موضوع الحزن وموضوع الدَّمعة والبكاء، وكيف تعامل الأئمّة الهداة عليهم السلام مع المشهد العاشورائي من جهة البكاء؟

ولِمَاذا؟

أنتم تعرفون أنَّ الإمام الحسين عليه السلام قمّةٌ هائلة وكبيرة، وله من الفضائل الكثيرة، لكنّ الأئمّة عليهم السلام ركّزوا الحديث على تفاعل النبيّ صلى الله عليه وآله مع ولادة الحسين عليه السلام بطريقةٍ تُلفت النّظر، ثم جاء أمير المؤمنين عليه السلام، ثم جاء الإمام الحسن عليه السلام وذكر هذا الكلام الذي سار مع الدهر وهو: ((**لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله**))[1]، ثم جاء من بعده الحسين عليه السلام والأئمّة جميعاً الى الإمام العسكري عليه السلام، ثمّ أخذت قضيّة عاشوراء مساحةً خاصّة من وظيفة الإمام المهدي عليه السلام أيضاً، فإذن نحن مع قضيّة مهمّة، وهي غير مختصّة بشيعة أهل البيت فقط، وإنّما قضيّة مهمّة تخصّ جميع المسلمين؛ لأنّ الحدث كان حدثاً في صلب ما يتعلّق بالمسلمين، وهذه

١- الأمالي للصدوق: ١١٦.

المسيرة التي انطلق بها الحسين عليه السلام، ركّز عليها الأئمّة عليهم السلام في المشهد الحزني، ولاحظوا الرّواية الشَّريفة التي نطق بها الإمام الحسين عليه السلام وينقلها أبو بصير عن الإمام الصّادق عليه السلام، والإمام الصادق ينقلها عن آبائه قال: ((**قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمنٌ إلّا استعبر**))[1] ولاحظوا كم عند الإمام الحسين عليه السلام من الفضائل في يوم عاشوراء؛ فقد أعطى -مثلاً- الماء الى الحُرّ، والحُرّ في ألف فارس[2]، لكن لم يركّز الأئمّة الأطهار عليهم السلام على هذه الواقعة مع أنّها واقعة تدلّ على عظمة سيّد الشهداء عليه السلام وعلى طريقة تعامله مع أعدائه، قد نقرأها تاريخاً لكنّها لم تأخذ مساحةً واسعةً من الحديث عن الإمام بحيث كلّ إمام يقول جدّي الحسين عليه السلام صنع مع الحُرّ هكذا، لكن عندما نأتي الى قضية البكاء والحزن تأخذ محلًّا آخر، فكلّ إمامٍ من الأئمّة عليهم السلام يفرد مساحة واسعة سواء كانت في الكلام أم في سيرته السنويّة عندما يدخل شهر محرّم الحرام، وكأنّ هذا الزّخّ الرّوائيّ في التّفاعل مع قضيّة سيد الشهداء عليه السلام يقول لنا: إيّاكم يا معاشر المؤمنين أن تُفْرِغوا ثورة الحسين عليه السلام من محتواها، وإذا ابتعدتم عن قضيّة الإبكاء والإمام الحسين عليه السلام، فهذا لا يُعطينا فهماً لقضية أبي عبدالله الحسين عليه السلام بشكلٍ حقيقيّ، وهذا ما ذكرته الرّواية الأولى، ولاحظوا الرّواية الثانية أيضاً عن الإمام الحسين عليه السلام لكن من طريقٍ آخر، ولاحظوا الإمام الحسين عليه السلام هو الذي يتكلّم، وهذا الكلام وصَلَنا عن أبنائه يعني الإمام الصادق عليه السلام ينقل، ويقول: قال جدّي الحسين بن علي، وهذه الرواية عن ابن خارجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ((**قال الحسين بن علي عليهما السلام: أنا قتيل العبرة، قُتلتُ مكروباً وحقيقٌ على الله أن لا يأتيني مكروبٌ إلّا أردّه وأقلبه الى أهله مسروراً**))[3] إلى أن وصلت النّوبة إلى الإمام الرضا عليه السلام ففتح المطلب -كما نقول- بطريقةٍ أكثر إيقادًا لمسألة الحزن، وله رواية طويلة، ومن جملة ما قال الإمام الرضا عليه السلام: ((**إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا، وَ أَسْبَلَ دُمُوعَنَا، وَأَذَلَّ عَزِيزَنَا بِأَرْضِ كَرْبٍ وَ بَلَاءٍ، أَوْرَثَتْنَا**

١ - كامل الزيارات:١ / ٢١٦.
٢ - بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٧٥.
٣ - كامل الزيارات:١ / ٢١٦.

الْكَرْبَ وَ الْبَلَاءَ إِلَى يَوْمِ الِانْقِضَاءِ. فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ ...))[1]، والآن عندما نأتي إلى هذا المشهد، ماذا أراد الأئمّةعليهم السلام –حسب فهمنا القاصر طبعاً– من هذا التّركيز على قضية الإمامعليه السلام حتى أنَّ الإمام الصادقعليه السلام بنفسه الشريفة يعقد مجلساً على الإمام الحسين عليه السلام ويُوصي أصحابه بعقد المجالس، وبعض الأئمّةعليهم السلام كان إذا دخل شهر المحرّم يرون أنَّ الحزن قد طغى عليه[2]، ويكون أشدّ حزنه يوم العاشر من المحرّم، فأصبحت قضيّة الحزن قرينة ومهمّة، بل نجد في الرّوايات أنَّ الحزن والتّفاعل والتّباكي مع قضيّة الحسين عليه السلام أصبحت جزءاً لا يتجزّأ منها.

إنَّ قضيّة الحزن وإيقادها لا تكون على شيءٍ عاديّ؛ إذ النّاس تعيب على الإنسان إذا حزن على أمرٍ عاديّ يتكرّر، حتى عندما نفقد عزيزاً –أجاركم الله تعالى– إذا بدأ الإنسان يبكي ليلاً ونهاراً تصفه الناس بالجزع، وأنّ هذا إنسان ضعيف لا يرضى بقضاء الله تعالى، والأمر عادي، فكلّ إنسان يموت، والدّنيا فيها موت وحياة، لكن قضيّة الإمام الحسينعليه السلام لها نحوٌ خاصّ من ذلك.

إنَّ التّعامل مع مشهدٍ كبير ومهمّ ليكون باقياً في الذّاكرة أو جزءاً من حياتنا يحتاج الى مذكِّر دائماً، والعاطفة والبكاء والحزن من أوسع وأكبر الأشياء التي تكون مذكِّرة ومحفّزة لبيان المشهد، وهذا الحزن هو أمر عاطفيّ يشمل جميع الطبقات العالمة وغير العالمة، فهو ليس أمراً فكريّاً دقيقاً لا يقوى عليه إلّا الأوحدون من النّاس، وإنّما هو جانبٍ عاطفيّ مركوز في حياة الجميع يحتاج الى نوعٍ من الإثارة والتحفيز فقط، فكان دور الأئمّةعليهم السلام إبقاءً لقضيّة الإمام الحسينعليه السلام أن يدفعوا بهذا الكمّ الهائل من الرّوايات لعموم من يعتقد بهم ويواليهم، ولذلك بقيت هذه المسألة حتَّى إنّ الإمام الحسين والأئمّة يعبّرون عنه بـ**(قتيل العبرة)**، يعني الطَّريقة التي استُهدِفَ بها الإمام الحسينعليه السلام جعلت المؤمن لا يذكره إلّا

١ – بحار الأنوار : ٤٤ / ٣٨٢.

٢ – ينظر: الأمالي، الشيخ الصدوق: ١٩١.

مستعبرًا لجميع ما جرى، وهذا فيما وَصَلنا من واقعة الطّفّ، وهناك بعض الصور في واقعة الطّفّ لم تصل إلينا، وكأنّها الحالات الإبكائية في الواقعة هي أكثر ممّا وصلَنا من هذا الكمّ الذي حفّز فينا هذا الأمر!! وهنا السّؤال؛ هل البُكاء يُمثّل حالة الضَّعف؟!

إحياءُ الأمْرِ الحُسينيّ

الحديث عن عاشوراء والإمام الحسين عليه السلام هو حديث عن الرّسالة السَّماويّة بل عن جميع الرّسالات الإلهيّة؛ لأنَّنا عندما نقرأ في زيارة الإمام الحسين عليه السلام نصفه بقول الإمام الصادق عليه السلام: « **السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ الله، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ نُوحٍ نَبِيِّ الله، السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ الله...** »[1] إلى آخر فقرات الزّيارة؛ وممّا لا شكّ فيه أنَّ هذه الرّفعة التي اكتسبها الإمام الحسين عليه السلام هي رفعة باستحقاق؛ والحديث عن عاشوراء حديث يبدأ، وقد لا ينتهي؛ والحمد لله تعالى على كلِّ نعمة.

إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كان مُوجعاً لقلوب المسلمين، وما زلنا نستشعر حرارة هذه المصيبة، واللوعة في قلوبنا؛ على الرّغم من المدَّة المديدة التي استشهد فيها الإمام الحسين عليه السلام.

من القضايا التي لا بُدَّ من التّركيز عليها أنَّ الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام لا بُدَّ أن يكون ارتباطًا مبنيًّا على أُسس متينة؛ فقد كان الإمام الحسين عليه السلام صاحب مشروع؛ وكونه صاحب مشروع اختار بدقّة الأنصار والأتباع والعائلة وأهل بيته عليهم السلام الذين كانوا معه؛ وجعلهم يشتركون سويّة في مشروعٍ إصلاحيٍّ؛ وهذا المشروع الإصلاحي لا بُدَّ أن ينجح؛ أي أنَّ الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الظَّرف ليست له خيارات أخرى تنتج الإصلاح غير الشّهادة؛ فالظّرف الذي مرَّ بالأمّة الإسلامية لمن يقرأ التاريخ بدقَّة يستنتج أنَّ الإمام الحسين عليه السلام ليست له خيارات متعدّدة؛ حتَّى تتم عملية الإصلاح

١ – مستدرك وسائل الشيعة: ١٠ / ٢٩٩.

أمام زيف وانحراف وجهالة وموروث لا يرتبط بسنّة النبي الأكرم ﷺ؛ وأمام آيات من القرآن الكريم تقرأ حسب المشتهيات، وحسب الأهواء، وأمام سلطان حاول أن يُغيّر أشياء كثيرة، وأمام دولة أسست لمعنى وراثيّ قَبليّ وعشائريّ، وكلّه باسم الدِّين؛ وهذا ما شكّل مسألة في غاية التّعقيد والأمة قد تصل إلى حالة من التَّحريف لمعالم قد تزيف، ومع ذلك يعتقد بها الآخرون.

وهنا لا بُدَّ من إشارة مختصرة أنَّ الأمَّة بما هي أمة منتمية إلى دينٍ ونبيّ، مسؤولة بصورة مباشرة عن الانحراف الذي حدث، وعن القيم التي زوّرت وطرحت قبل عاشوراء؛ فالأمّة عندما تكون أفضل الأمم، وعندما تفتخر بأنَّها أمّة نبيّ خاتم الأنبياء، وأفضل الأنبياء ﷺ؛ فهذا يحتم أن تكون هناك مسؤوليّة ملقاة على عاتقها؛ وفي هذا الشَّأن لا أتحدَّث عن أشخاص؛ بل أتحدَّث عن أمّة تتكوّن من قادة جيش، ومن جند، ومن زعماء قبائل، ومن وجهاء، وشخصيّات؛ فهذا الكيان، وحتَّى عامّة الناس من التّجّار، ومن المتمولين من الكسبة؛ كلُّهم لا بُدّ أن يتحمّلوا الحدث الذي حصل والمحاولة التّحريفية التي حصلت، والنتيجة التي تأسّست على كلّ ذلك؛ فقد تأسّس شيء جديد يحتاج إلى إصلاح مع بُعد المسافة المكانيّة ما بين مصدر القرار الرّسمي وما بين العاصمة الرّوحية للمسلمين مكة والمدينة؛ ومع هذا البُعد الجغرافي ستزداد المسألة أكثر فأكثر، ومع قلّة الوسائط، وصعوبة الوسائط؛ فهذه المسألة تحتاج قدرة في إدراك الانحراف والمشاكل التي حصلت.

مِن صُورِ خُذلانِ الأمَّةِ

إنَّ عموم الناس في بعض الحالات يُساعدون على الخذلان عندما لا يفتحون أعينهم بشكلٍ جيّد، وعندما لا يعطون لمسامعهم المساحة الواسعة، وعندما تسمع هذه المجموعة من الناس الحقّ ولا تنصره ستُساعد في الخذلان؛ بل ستكون هي عناصر مضعّفة ومثبّطة لأهل الحق؛ وناصرة لأهل الباطل؛ فقد كان هناك مستوى من الوعي والإدراك في ذلك الوقت

وصل إلى حدٍّ أن يصف واقعة الطَّف أنَّها مسألة بين جهتين، وبين عشيرتين، أو بين الهاشميّين والأمويّين؛ وحصيلة ذلك أن لا يكترث بها حصل أو يحصل، ويجعل نفسه بعيداً عن السّاحة؛ مع أنَّ هذه النّظريّة خاطئة، وليس لها علاقة بوضعنا الدّيني؛ فأصل المسألة ليست صراعًا بين الإمام الحسين عليه السلام كشخص وزعيم لبني هاشم، وبين آخر هو زعيم لبني أميّة؛ وإنَّما المسألة بين رسالة سماويّة حقيقيّة وإلهيّة، وبين انحراف يريد لرسالات الأنبياء أن تموت وتفنى؛ وهكذا كلّ صراع كان مع الأنبياء عليهم السلام؛ فصراع النّبي إبراهيم ونوح عليهما السلام؛ مع الأمّة في ذلك العصر ليست هناك منازعة بين نوح بوصفه زعيماً لقبيلة أو عشيرة، وبين الآخرين؛ وبالتالي يعتقد البعض ما دام أنَّ المسألة شخصية فلا أتدخل فيها، وأكون عنصراً تابعًا لجهة ومناصر لها على الجهة الثانية؛ وهكذا أيضاً عندما أعلن إبراهيم الخليل عليه السلام صرخة الحقّ بوجه النّمرود؛ والأمر نفسه بين موسى الكليم عليه السلام؛ فالمسألة ليست شخصية محدّدة بإطار ضيّق؛ وإنَّما المسألة عامّة تتحدّث عن صراعٍ بين رسالة سماويّة يُمثّلها الإمام الحسين عليه السلام، وبين انحراف واضحٍ يُمثّله شخص يُسمّى يزيد؛ وعلى الأمَّة مهمّة الفرز بين الحقّ والباطل؛ وليس أن تبقى متفرّجة؛ وإلَّا ستُساعد على بقاء الباطل، وخذلان الحق، بل وقتل للحق.

إنَّ الإنسان، وإن لم يكن موجوداً في زمن الإمام الحسين عليه السلام؛ إلَّا أنَّه مسؤول عن القضية؛ لأنَّها تُمثّل بيان طريق الحقّ والباطل، وقد أُسّس على ذلك تيارات فكرية منحرفة كلّها تَدَّعي أنَّها تصل إلى الله تعالى؛ لذا يلزم على كلّ شخصٍ مِنَّا أن يستنتج ماذا فعل الإمام الحسين عليه السلام، وماذا صنع الإمام الحسين عليه السلام، وأن لا أبقى متفرّجاً على حدثٍ تاريخيّ مرَّ في سنة ٦١ هـ؛ في أرض تُسمّى كربلاء؛ بين شخص جاء من المدينة ومن مكّة حاملاً عياله وأطفاله ونساءه وصحبه؛ يريد أن يقارع قوى من الناحية الظّاهرية والطّبيعيّة لا يستطيع أن يصمد أمامها طويلاً؛ ثم نمرّ عليها، وبعد ذلك نأتي على أحداث ٦٢ هـ، وهكذا أحداث ٦٣ هـ؛ فنقرأ التاريخ قراءة لا فائدة فيها، فلا نستنتج المواقف، ولا نعرف من يُمثّل الحق، ومن يُمثّل الباطل.

إنَّ قراءة التأريخ دون تحليل مِن أضرّ القضايا على الفرد والأمّة، وخاصّة تاريخ كربلاء وتاريخ الإمام الحسين عليه السلام؛ والحقّ وما يجب أن نفعله أن نقرأ التاريخ قراءةً متأنّية، وأن نتوقف عند المواقف المصيرية التي تحدّد الحقّ والباطل، ومَن يُمثّل الحقّ ومَن يُمثّل الباطل؛ فالأحداث بعد الرّسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وخاصّة في عصر الإمام الحسين عليه السلام وما بعده عليه السلام أفرزت العديد من النّتائج؛ وقد تأسّست مدارس ومذاهب غير مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وتبنّت عقائد وأحكام وتشريعات سوف يُسأل عنها العباد يوم القيامة؛ وخاصَّة من تمسَّك وعمل وفْقها؛ والحاصل أنَّنا جميعاً سوف نقف بين يدي الله تعالى، وسنُسأل عن عقائدنا وأحكامنا وأخلاقنا، وعن سبب سلوكنا لهذا الطَّريق دون الطَّريق الآخر.

إنَّ الاطلاع على تاريخ كربلاء وتاريخ الإمام الحسين عليه السلام كفيل بأن يوضّح معالم الحقّ وأركانه، وقراءة كربلاء ليس خاصاً بيوم عاشوراء وإنَّما هناك تمهيد حتَّى قبل الواقعة من الرّسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله؛ فقد عُرّف الإمام الحسين عليه السلام بتعاريف واضحة لا لبس فيها ولا شك، ولا تحتمل أيّ معنى آخر.

اتخاذُ الموقِف

إنَّ قراءة واقعة كربلاء دون اتخاذ موقف مع جبهة الحقّ أو جبهة الباطل لا فائدة فيها، بل ستكون حجّة على من قرأها؛ ثم إنَّ بعض القضايا التي كان يفهمها المسلمون في زمن النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله غير الفهم الموجود الآن؛ فاليوم نُشاهد بعض الناس يحاول أن يُبعِد النَّص عن معناه الحقيقي، ويُحاول أن يزيف الحقائق لغاية في نفسه؛ أمّا في زمن النّبي المصطفى صلى الله عليه وآله فقد كان يتكلّم مع ناس يفهمون اللغة العربية؛ ويفهمون، ويعرفون الفصاحة والبلاغة، فيعرفون هدف الرّسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله حينما يقول عن الحسن والحسين: «**هَذَانِ سَيِّدَا**

شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»[1] حقَّ المعرفة، وماذا يعني هذا الكلام، وعندما يبكي النبي ﷺ في ولادة الإمام الحسين عليه السلام فالغاية معروفة، وإنَّه تأكيد على أحقّيّة الإمام الحسين عليه السلام، وأنَّ الأمَّة التي ستجتمع على قتاله هي أمّة منحرفة ستُحاول أن تسحق كلَّ من يكون أمامها بشتَّى الوسائل؛ حتَّى وإن كان المقتول هو ريحانة الرَّسول الأعظم محمد ﷺ؛ من هنا نعرف سرَّ تأكيد الأئمّة الأطهار عليهم السلام على القضايا المتعلّقة بالإمام الحسين عليه السلام؛ وخاصّة مجالسه وزياته عليه السلام، وما له علاقة بتعريفه عليه السلام؛ فمن ذلك نفهم المسألة لا تتعلّق بالعواطف؛ وأنَّ جدَّ الأئمة عليهم السلام قُتِل عطشاناً؛ فهناك كثير ممن قُتل عطشاناً، ولكن لا نجد التَّأكيد على معرفتهم؛ وإنَّما المسألة؛ لأنَّ الإمامة والنّبوّة كان لهما مشروع، وحاول الظّالمون اجتثاث ذلك المشروع في كربلاء؛ وبفعل هذا لم تقتصر كلمة كربلاء في أنّها مدينة جغرافية؛ وإنَّما تحوَّلت كربلاء إلى عنوان يُجسّد الحقَّ بكلِّ أركانه؛ عن طريق حامل رايته الإمام الحسين عليه السلام؛ وما الرّوايات الكثيرة التي تحثّ على زيارة الإمام الحسين عليه السلام إلَّا لأجل تثبيت هذا الحق؛ فالإمام الحسين عليه السلام يُمثّل الرسول الأعظم محمدًا ﷺ، ويمثل أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام، ويمثل جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ فهو يمثل آدمَ ونوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى وكل الأنبياء عليهم السلام؛ ولذا نلاحظ أنَّ استعمال واختيار الألفاظ من قِبل الأئمة الأطهار عليهم السلام فيها دلالات ليست خاصة فقط بالإمام الحسين عليه السلام؛ وإنَّما لها علاقة بالخالق تبارك وتعالى، وبجميع الأنبياء والرسل والأوصياء عليهم السلام وبكلّ القضايا المصيرية التي حدثت في التاريخ؛ ومنها أنَّ الإمام الحسين عليه السلام ثأر الله وابن ثاره؛ ولو فكّرتم معي على سبيل المثال الثأر وقد أضيفت الى الله تعالى؛ وذلك يعني إضافتها إلى المطلق الذي ليس كمثله شيء؛ فلا يحد؛ فتأمَّل كيف سيكون الثأر من الله تعالى للإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ ثأر الإمام الحسين عليه السلام ثأر خاصّ بالله تعالى؛ وكلّ الدّعوات التي خرجت تُطالب

---

١ - الإرشاد في معرفة حُجَج الله على العباد، للشيخ محمد بن محمد النُعمان المُلقَّب بالشيخ المُفيد، المولود سنة: ٣٣٦ هجرية ببغداد، و المتوفى بها سنة: ٤١٣ هجرية، طبعة سنة: ١٤١٣ هجرية، قم/ إيران: ٢/ ٩٧.

بدم الإمام الحسين عليه السلام لم تأخذ بثأره؛ سواء كان المختار أو غير المختار، حتّى وإن قاتل وقَتَلَ مِن قَتَلَةِ الإمام الحسين عليه السلام؛ وإن كانت النّيّة ليس لها علاقة بقضايا شخصية؛ فالمختار رجلٌ ثار من أجل الإمام الحسين عليه السلام، وتأذّى من الأمّة التي نكلت بالإمام الحسين عليه السلام، وفعل صواباً أمّا أنَّ القضية تنتهي؛ فهذا لا يمكن؛ لأنَّ ثأر الإمام الحسين عليه السلام هو ثأر الله تعالى؛ ولا يمكن لأيّ شخصية أن تستطيع أخذ هذا الثّأر؛ إلَّا أن تكون منتمية ومضافة إلى الله تعالى؛ وليس لنا شخصيّة مرتبطة بالله تعالى إلَّا النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام بحيث نلاحظ العديد من الرّوايات أنَّ المعصوم عليه السلام يسند حديثه مباشر لله تعالى؛ فعن الإمام الباقر عليه السلام أنَّه سُئِل عن الحديث يرسله ولا يسنده -:

«إذا حدّثت الحديث فلم أسنده فسندي فيه أبي عن جدّي عن أبيه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عن الله عز وجل»[1]، وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدّي، وحديث جدّي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحديث الحسن حديث أمير المؤمنين عليه السلام، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»**[2].

طبيعةُ التّعامُلِ مَع عَاشوراء

عندما نتعامَل مع عاشوراء؛ فهذا التّعامل ليس تعاملًا بالشّكل فقط؛ وإنَّما هو تعاملٌ مع جميع الأنبياء عليهم السلام، وليس الأمر مرتبطًا بحدث وقع في بقعة أو على شخصيّة؛ وإنَّما لعاشوراء، وما جرى في عاشوراء أبعاد أوسع من الأبعاد العاطفية؛ وإن كان البُعد العاطفي مهمّ في هذه القضية؛ إلَّا أنَّ هناك بعداً أهم وأوسع ألا وهو البُعد الفكري المتمثّل بارتباط الإمام الحسين عليه السلام بالله تعالى.

١ - الإرشاد: ٢ / ١٦٧.

٢ - الكافي، للشيخ أبي جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكُليني، المُلَقَّب بثقة الإسلام، المتوفى سنة: ٣٢٩ هجرية، طبعة دار الكتب الإسلامية، سنة: ١٣١٥ هجرية/ شمسية، طهران/ إيران: ١ / ٣٥.

ولذلك أوصي الزَّائرين الكرام بقضية واحدة أنَّ الإنسان حينما يأتي من بيته إلى أن يصل إلى كربلاء فليُحاول أن لا يشغل نفسه إلَّا بالإمام الحسين ﷺ، وما يتعلّق بشؤون الإمام الحسين ﷺ؛ ومثل هكذا زيارة ستولّد الأثر البالغ عند هذا الزَّائر؛ فالإنسان عندما يَقْدِمُ سواء كان في داخل المدينة أو خارجها، أو من داخل العراق وخارجه، ويوفّق للحضور عند الإمام الحسين ﷺ؛ فليحاول قدر الممكن أن يُجاهد نفسه، ويعمل على تهذيبها، وأن يفرغ ذهنه من المشاغل الدّنيوية الكثيرة، وأن يكون شغله الوحيد التّفكير بالإمام الحسين ﷺ والوقوف عند كلمات الزّيارة، وهذا من شأنه أن يؤثّر في السلوك والأخلاق؛ فالقراءة عن الإمام الحسين ﷺ تصنع فرداً يختلف في سلوكه وأخلاقه، ويختلف حتَّى في مدى ارتباطه بالإمام الحسين ﷺ عن الآخرين؛ وأصحاب الشّعائر الحسينية والمواكب الكرام أولى من غيرهم بهذه الوظيفة فإنّهم قد أدخلوا أنفسهم في مدخل خير؛ بالإضافة إلى تعظيمكم الشَّعائر التي ندب إليها الأئمّة الأطهار ﷺ، كما أنّ العمل الذي تعملونه؛ عمل مبارك وموفق؛ يبقى علينا وعليكم عدم الغفلة عن جعل هذه الشعيرة شعيرة لها تأثير حقيقي على سلوكياتنا، ولها تأثير على مجمل حياتنا؛ فالتّسمية بالحسيني ليس بالأمر الهيّن؛ والكل منّا يتمنّى إحراز هذا الوسام؛ ولكن إحرازه لا يتحقّق بالتسمية فقط، بل لا بُدَّ من الانتماء، وصدق الانتماء يحدّده العمل الهادف إلى تثبيت قضيّة الإمام الحسين ﷺ في داخل النّفس وانعكاس هذا المحتوى على الجوانح والجوارح.

إنَّ إحياء الأمر الذي نادى به الأئمّة ﷺ؛ منسوب إلى الأئمة أنفسهم ﷺ؛ أي إحياء ما هو متعلّق بهم ﷺ، وهكذا يكون الإحياء حينما يكون متعلّقًا بالإمام الحسين ﷺ؛ فالورع والتّقوى والصّلاة والصّيام والأخلاق وأمثال ذلك من المعارف؛ فهذا كلّه إحياء للأمر.

المبحث الرابع

عَاشُوْرَاءُ وَكَشْفُ الزَّيْفِ

مما لاشك أنَّ واقعة الطّف قد أفرزت حالتين؛ حالة حقٍّ، وحالة باطلٍ، والمهم في المسألة أنَّ الباطل الذي كشفه الإمام الحسين عليه السلام لم يكن باطلاً ظاهراً أمام الملأ، وإنَّما كان يتدرّع ويلبس لباس الدّين، وقد رفع الإمام الحسين عليه السلام هذا القناع عن المدَّعين والمنافقين والفاجرين في سنة ٦١هـ ابتداءً من أعلى السّلطة إلى أدنى شخص.

كان هؤلاء مجموعة من المنافقين من الذين وثبوا على حقٍّ ليس لهم، فكشفهم الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطَّفّ التي كانت لها القدرة على هذا الفرز بين الحقّ والباطل، ثم بعد ذلك أتمّت العائلة الكريمة هذا الفرز، وهي في أعلى حالة من رباطة الجأش والقوّة، عندما مرّت على قصور الطّغاة سواء كان في الكوفة أم في الشّام، فقد كشف هذا الزّيف بوضوح بما أبداه الإمام الحسين وأصحابه في قتال الأعداء وفي التّعامل معهم، وكذلك خطب الإمام الحسين عليه السلام، وخطب الحوراء زينب عليها السلام وفاطمة الصّغرى عليها السلام، وخطب الإمام السّجّاد عليه السلام إلى أن رجعت العائلة الكريمة بعد هذه الجولة الّتي بدأت في كربلاء، وانتهت في المدينة.

إنّ هذه القدرة على فرز الحقائق تحتاج لشخصيّة عظيمة، وإن أدّى ذلك إلى إزهاق حياتها وشهادتها؛ لأنَّ الوضع كان خطرًا جدًّا تُزيّف فيه الحقائق، فكان لها أبو عبدالله الإمام الحسين عليه السلام؛ إذ سلخ هذا الثّوب المزيّف الذي لبسه طغاة الشام.

إنَّ العصبية القبليّة والطَّائفية والقوميّة قد تحجز الإنسان عن فهم الحق، وقد أرتنا واقعة الطَّفّ مشاهد كثيرة من العنصرية البغيضة ومن القومية ومن الطَّائفيّة، ومن الرّكون إلى الدّنيا وحُبِّها، وكان حظّها الخسران في واقعة الطَّف، -كما تقول زينب عليها السلام- ((**فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَ شَنَارِهَا**))[1]، فقد ركنوا إلى الدّنيا فسقطوا في مورد الاختبار.

---

١ -اللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس، علي بن موسى(ت: ٦٦٤هـ)، ترجمة: الفهري الزنجاني، جهان، طهران٩٨٣١هـ، الطبعة الأولى: ١٤٧.

الامتحانُ الحقيقيّ

لقد كانت واقعة الطَّف محلًّا حقيقيًّا للاختبار، وهناك عنوانات قد تبدو أمام الملأ كبيرة لكنّها سقطت باختبارٍ بسيط، وشخصيات لم تكن لها عنوانات ولكنّها كانت مملوءة بالإيمان والصّدق مع الإمام الحسين عليه السلام بحيث هو قال عليه السلام: ((**فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي**))[1]، ولاحظوا عبارة الإمام عليه السلام (**لاَ أَعْلَمُ أَصْحَاباً**..) أي إنّه ذهب إلى كلّيّة هذه الدّعوى من الأنبياء إلى أصحاب الإمام القائم عليه السلام، وكلمة الإمام الحسين عليه السلام في حقّ هؤلاء النّخبة الخيّرة الذين خُلّدوا تدل على عظم شأنهم بحيث أنَّ الإمام الصادق عليه السلام عندما يُعلِّمنا كيف نزور الإمام الحسين عليه السلام لا يترك الشّهداء بمعزلٍ، وإنّما يوجّهنا أيضاً أن نزور الشّهداء بكلّ اعتزاز بهم، وهم فعلاً قد رفعوا راية الإسلام خفّاقة عالية، وتجرّدوا من هذه القيود التي حاولت أن تبقيهم على الأرض، ضحّوا بأنفسهم الزَّكيّة، وحصلوا على هذا الخلود في الدّنيا فضلاً عن خلود الآخرة.

نحن نصرّ وكثير من الّذين يفهمون عاشوراء على أنَّنا نُمارس عقيدتنا، ونُمارس شعائرنا بهذه الطَّريقة التي عُجنت فيها دماؤنا مع الولاء للأئمّة الأطهار عليهم السلام، والتّنبّؤ الذي ذكرته الحوراء من طريق الإمام عليه السلام أنَّ الله تعالى سيُهيّئ أُناسًا يقومون بمداراة قبر الإمام الحسين عليه السلام[2]، زوّاراً يَفِدُون على ضريح أبي عبدالله عليه السلام، هذا هو الفتح الذي تنبّأ به الإمام الحسين عليه السلام عندما كاتب بني هاشم، وبيّن لهم حقيقة ما سيجري: ((**مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اسْتُشْهِدَ وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ**

---

١ -الإرشاد: ٢/ ٩١.

٢ - قالت مولاتنا زينب عليها السلام:" لا يجز عنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سيد الشهداء (عليه السلام) لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام و ليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهورا وأمره إلا علوا.(بحار الأنوار: ٨٢/ ٧٥).

وَالسَّلَام))[1]، فهناك فتحٌ حصل بشهادة الإمام الحسين عليه السلام، ولذا -وهذا الكلام لِمَن يقرأ عاشوراء، ولِمَن يفهمها، ولِمَن يتحسّسها- إنَّنا نصبر على هذه العقيدة إلى الممات، فقد فهمنا ما أراد الإمام الحسين عليه السلام، وفهمنا ما أراد الإمام السّجّاد عليه السلام، وفهمنا تلك الدّموع التي سقطت من عيني أكرم مخلوق على الله -تعالى- وهو النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في يوم ولادة الإمام الحسين عليه السلام، فالذي يقرأ عاشوراء يكون قد عرف النبي صلى الله عليه وآله وعرف أمير المؤمنين عليه السلام.

الشَّعائرُ ووضوحُ الحقّ

هذه الشَّعائرُ عندما أفرزتها واقعة عاشوراء، وميّزت بين الحقِّ والباطل لابُدَّ أن نكون مع جهة الحقّ، فإذا لم نكن بمستوى شخصيّة أصحاب الإمام الحسين عليه السلام فعلى الأقل ألّا نكون بمستوى حثالة كانت مقابل الإمام الحسين عليه السلام كأمثال عمر بن سعد، وشمر بن ذي الجوشن، والحصين بن نمير.

إنَّ مشهد الحزن في عاشوراء إلى الآن لم يُكشف النّقاب عن كلِّ ما فيه، وإنَّما نحن نتعامل معه وفق مبانٍ ومبادئ بَيَّنَ بعضها أئمَّة الهدى عليهم السلام، وإذا جئنا إلى تراث الأئمّة عليهم السلام الذي يتعلّق بالحسين عليه السلام؛ هذا التراث الضَّخم الذي يمتدّ إلى ٢٥٥ عام بالمقدار العلني من النبي صلى الله عليه وآله إلى آخر يوم في حياة الإمام العسكري عليه السلام ثم هناك عشرات السنين ابتدأها الإمام المهدي عليه السلام بالواسطة عن طريق هؤلاء

١ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، لابن شهرآشوب، محمد بن علي(ت:٥٨٨هـ)، علامة، قم١٤٢١هـ، الطبعة: الأولى): ٤/ ٧٦.

السفراء[1]، نقف الآن عند سنة ٢٥٥هـ، وهناك تراث ضخم للأئمة الأطهار عليهم السلام في الأخلاق والسلوك وفي كلّ ما يتعلّق بشؤون الحياة، وقد أفرد الأئمّة الأطهار عليهم السلام كمّيّة كبيرة من التراث يتعلّق بسيد الشهداء عليه السلام وبالتحديد بما يتعلّق بقضيّة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام، ولاشكّ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام عنده تراث ضخم في الفقه والعقائد وفي الأخلاق، وتمثّلت في شخصيته بكلّ معاني الحكمة.

لكن مع هذا الكمّ الهائل هناك مساحة خصَّصها الأئمّة عليهم السلام للحثّ والتَّأكيد على مسألة مهمّة ألا وهي مسألة شهادة ومظلومية الإمام الحسين عليه السلام، فكأنَّ واقعة الطَّف أراد الأئمّة لها أن تُقرأ طولاً من جهة ما قبل الإمام، وفي امتداد التاريخ إلى ما بعد الإمام، ولذا هناك حالة غير دخيلة وإنَّما هي أصيلة نستطيع أن نُعبِّر عنها بـ(مشهد الحزن العاشورائي) و(مشهد الحزن الحسيني) الذي اهتمّ به الأئمة عليهم السلام ومن قبلهم النبي صلى الله عليه وآله عندما أخبره جبرائيل عليه السلام بمكان

---

١ – السّفراء أربعة: أوّلهم: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري(رضي الله عنه و أرضاه)، و كان أسديّا، وكان يتّجر في السّمن، ومن أجل ذلك قيل له السّمّان، وكان قدس سره بابا وثقة لأبيه وجدّه عليّ بن محمّد عليه السلام من قبل، ثمّ تولّى البابيّة من قبل صاحب الأمر عليه السلام، وظهرت المعجزات الكثيرة على يديه من قبله عليه السلام وعلى أيدي الباقين من السّفراء قدس سرهم بعدد السّيل واللّيل، وكذلك يخرج على أيديهم التّوقيعات وجوابات مسائل الشّيعة، وتصل على أيديهم أيضا الأخماس والصّدقات إلى صاحب الأمر عليه السلام ليفرّقها في أهلها ويضعها في مواضعها على هذا، مضى لسبيله أبو عمر وعثمان بن سعيد قدس سره ثمّ قام ابنه أبو جعفر محمّد بن عثمان مقامه بنصّ أبي محمّد عليه السلام، ونصّ أبيه عثمان عليه بأمر صاحب الزّمان عليه السلام وسدّ مسدّه في جميع ما نيط به وفوّض إليه القيام بذلك، ثمّ مضى على منهاج أبيه(رضي الله عنهما) في جمادى الأخرى سنة خمس وثلاثمائة، ويقال سنة أربع وثلاثمائة.

ثم قام مقامه أبو القاسم الحسين بن روح من بني نوبخت بنصّ أبي جعفر محمّد بن عثمان عليه، وأقامه مقام نفسه بأمر الإمام عليه السلام، وعاش قدس سره سفيرا كما قد ذكرناه إحدى وعشرين سنة، ومات قدس سره في شعبان سنة ستّ وعشرين وثلاثمائة.

وقام مقامه أبو الحسن عليّ بن محمّد السّمري بنصّ أبي القاسم الحسين بن روح عليه ووصيّه إليه قدس سره وقام بالأمر على منهاج من مضى وتقدّم عليه من الأبواب الثلاثة، وعلى ذلك أربع سنين، فلمّا استكمل أيامه وقرب أجله أخرج إلى النّاس توقيعا نسخة: ((بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ* يا عليّ بن محمّد السّمري، أعظم الله أجر أخوانك فيك، فإنّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيّام، فاجمع أمرك ولا توصِ على أحد يقوم مقامك بعد وفاتك، فقد وقعت الغيبة التّامّة))، تاج المواليد: ١١١-١١٣.

وزمان استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وهذا في حضور أمّ سلمة (رضوان الله عليها)[1] وبعض أصحابه كابن عبّاس، وعندما جاء أمير المؤمنين[2] عليه السلام إلى العراق في صِفِّين مرَّ على هذه المناطق، التي ستبرز فيها فئة ظالمة باغية ستقتل الإمام الحسين عليه السلام.

والمدّة بين كلام النبي صلى الله عليه وآله في حياة الإمام الحسين عليه السلام ومجيء أمير المؤمنين عليه السلام إلى صِفِّين تكون أكثر من ٢٠ سنة، فالنّبي الأكرم صلى الله عليه وآله وبما حباه الله من منزلة واصطفاه خاتمًا للأنبياء، وارتقى مقامات هائلة، حزن عند ذكر مصيبة الإمام الحسين عليه السلام حزنًا شديداً، وأمير المؤمنين الذي تُضرب بصبره الأمثال بيَّن هذا الحزن، وظهر على وجهه المبارك وعينيه الشَّريفتين، بحيث دمعتا[3]، وكذلك إلى الإمام الحسن عليه السلام والمحنة التي استُشهد فيها معروفة، لكنّه كان يقول: ((**لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ**))[4].

ثقافةُ الحُزْنِ

هناك ثقافة عندنا نحن شيعة أهل البيت عليهم السلام أذكاها النبي وأمير المؤمنين والإمام الحسن والإمام زين العابدين الى الإمام المهدي عليهم السلام ألا وهي ثقافة الحزن والبكاء على سيّد الشهداء عليه السلام، هل هذه الثّقافة وهل هذا البكاء بكاء عفوي ناشئ من قضية حادثة وقعت وانتهى الأمر؟ أم هل أنَّ هناك نكتة وقضيّة جوهريّة؟، لابُدّ من وجود سرّ في هذا المشهد

---

١ – وعن أنس بن مالك قال: (استأذن ملك المطر أن يأتي رسول الله فأذن له، فقال لأمّ سلمة: احفظي علينا الباب لا يدخل أحد، فجاء الحسين بن عليّ عليه السلام فوثب حتى دخل فجعل يقع على منكب النبيّ صلى الله عليه وآله فقال الملك: أ تحبّه؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: نعم. قال: أمّتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه. قال: فضرب يده فأراه ترابا أحمر، فأخذته أمّ سلمة فصرّته في طرف ثوبها، فكنّا نسمع أن يقتل بكربلاء)، إعلام الورى بأعلام الهدى: ٣٣.

٢ – عن عبد الله بن نجي الكندي عن أبيه، قال: ((كنّا مع علي بن أبي طالب، فرجعنا من صفّين، فلمّا حاذى نينوى نادى علي: اصبر أبا عبد الله بشط الفرات فالتفت إليه الحسين، فقال: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال عليّ: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وعيناه تدمعان، فقلت: ما بال عينيك تدمعان بأبي وامّي، فقال: قام من عندي جبرئيل قبيل ساعة فحدّثني أنّ الحسين يقتل بشط الفرات، ثم قال: هل لك أن أشمّك من تربته؟ قلت: نعم، فمدّ يده فقبض قبضة من تراب ثم ناولنيها، فلم أملك عينيّ أن فاضتا))، التشريف بالمنن في التعريف بالفتن: ٢٣٧.

٣ – (فلم أملك عينيّ أن فاضتا).

٤ – الأمالي، للصدوق: ١١٦.

العاشورائي الذي ما زلنا الآن بعد أكثر من أربعة عشر قرناً نرى تتجدّد هذه الذّكرى العاشورائية، ويزداد أعداد من يُمارس البكاء على الإمام الحسين عليه السلام بشكلٍ كبيرٍ في كلّ عام.

لا شكّ أنَّ كلّ فعل يقابله ردُّ فعل وهذا ردُّ الفعل قد يكون في العلوم الطّبيعية معتاد ومعلوم، أي لو قام الإنسان بوضع يده على حائط وقام بدفعه بمقدارٍ معيّنٍ فيتولّد ردّ فعل يمكن احتسابه، فأهل الفيزياء والرّياضيّات يحسبونها حتى أسّسوا قاعدة تقول: إنّ هذا الفعل له ردّ فعل يساويه في المقدار لا يزيد ولا ينقص، نعم، الاتجاه يكون متعاكسًا، وكذلك في حياتنا الاجتماعية فهناك أفعال تقابل بردّ فعل، لكن بعض الأفعال ردّ فعلها يكون مجهولاً ويحتاج إلى مقياسٍ ليحدّده، فجاء الشَّارع المقدَّس وحدّد ردود الأفعال كـ(جزاءات القضايا الجنائية) في قوانين ثابتة، فالذي يكسر يد أحد في المقابل هناك جزاء، عُبّر عنه ردّ فعل تماشياً مع الاصطلاح، وقد قال الشارع المقدّس كسر هذه اليد يقابلها مثلاً نصف الدّيّة، ومثال آخر أنَّ الإنسان إذا أتلف مال غيره يقول له الشارع: عليك تعويضه، وإذا زاد ردّ الفعل عن الفعل يكون الإنسان فيه متعدّيًا في الوقت الذي كان هو المظلوم، ومثال آخر الإنسان الذي يضرب سيّارة أحد فماذا يكون بذمّته شرعاً؟ عليه أن يتدارك الضّرر الذي سبّبه، وعليه إعطاء مال بمقدار الضّرر، فإذا نزل صاحب السيارة منها وشتمه وتجاوز عليه سيكون ظالمًا؛ لأنَّ هذه الرّدود زائدة من السّائق، وتجعله في خانة الظّالمين، ويكون مأثومًا.

جَزاءُ جريمةِ عاشوراء

لِنسأل أنفسنا سؤالاً، هذه الجريمة التي حدثت في يوم الطَّف، ما هو جزاؤها؟ هل هناك جزاء، ويغلق الملف العاشورائي؟ أو ليس هناك جزاء محدّد؟ فالسؤال واضح فهو في قضية مرتبطة دينيًا؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام له منصب وموقع الإمامة؛ فهو ابن علي بن أبي طالب وابن فاطمة الزهراء، وهو ما أجمله وأفضله من نسب، وهذا الموقع

والمنصب ليس ملك الإمام بحيث يستطيع أن يتنازل عنه، وإنّما هذا الموقع هو ذلك المقام والرّتبة التي رتّبها الله تبارك وتعالى له ولأبيه ولأخيه ولأولاده، فهذا المقام غير مرتبط في عالم الأرض فحسب فهو مرتبط بعالم الآخرة على أنَّ الموقع هو موقع امتداد للنّبوة عبر سفارة آلهية، وليست سفارة بين شخص وآخر، كالإمامة، فقد قال الله تعالى لإبراهيم: ﴿**قالَ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾[1].

فنعود ونتساءل: ماذا سيرتّب الشارع المقدس من ردود فعل على جريمة عاشوراء؟

نحن لا نستطيع إدراك ردّ فعل الشارع على ما حدث في يوم كربلاء إلّا أنَّ الشارع هو مَن بيَّن وأوضح أنَّ قضية عاشوراء لها خصوصيّة لا تتكرّر في التاريخ، لا قبلًا ولا بعدًا، ولذلك فالنّبي ﷺ والأئمّة المعصومون عليهم السلام من بعده قد اهتمّوا بهذه الفاجعة، ولذلك لاحظوا مقولة وحكمة أنَّ: ((**الحسن والحسين سبطاي من هذه الأمّة، إمامان إن قاما أو قعدا**))[2] فهذا غير مرتبط بقضيّة الخلافة الظاهرية، والإمامة غير قابلة للتنازل، فمسؤوليتنا اتجاهها هي أن نحفظ وندافع، وأن ننصرها لو كانت الإمامة بحاجة لذلك؛ لذا عندما نأتي إلى الزيارات نرى هناك فقرات غير مرتبطة بالعالم الأرضي وإنّما مرتبطة بعالم الملكوت.

الآن نحن للأسف لكثرة ما يُصيبنا من ذنوب تُحجب الحقائق عنَّا، فأكثر من أربعة آلاف ملك شعث غبر يندبون الحسين عليه السلام كما نُقل في الرّواية الشّريفة[3]، بل الرواية تقول: بأنَّ جميع الأنبياء يستأذنون الله تعالى لأن يزوروا الحسين عليه السلام، فالمشهد العاشورائي مُحزنٌ، فلا تقول الرّواية أنَّ الملائكة شداد غلاظ بل

---

١ - البقرة: ١٢٤.

٢ -فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ابن عقدة الكوفي، أحمد بن محمد(ت: ٣٣٢ هـ) ،دليل ما ،إيران؛ قم ١٤٢١هـ ، الطبعة الأولى: ١٦٨.

٣ - روي عن عالم اهل البيت عليهم السلام: (**ان الله تعالى اهبط إلى الحسين اربعة آلاف ملك، هم الذين هبطوا على رسول الله ﷺ يوم بدر، وخير بين النصر على اعدائه ولقاء جده فاختار لقاه، فامر الله تعالى الملائكة بالمقام عند قبره، فهم شعث غبر ينتظرون قيام القائم من ولده صاحب الزمان عليه السلام**)، ينظر: عيون المعجزات، حسين بن عبد الوهاب: ٧٠.

قالت: شعث غبر يندبون الحسين، ويبكون؛ وهو ضحيّة أبشع جريمة حدثت في التاريخ، وأكبر تعدٍّ على مقام الله تعالى، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ**﴾[1] فكيف لنا أن ننصر الله تعالى؟ وهل هو ذات تحتاج إلى نصرة؟ وإنّما ننصر دين الله تعالى والنبي ﷺ والأئمة الهداة هم المشخّصون لبيان الدّين.

لذلك مسألة الحزن مسألة قرينة للمؤمن، ولا خير في مؤمن لا يحزن على الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّها سنّةُ النبي والأئمّة عليهم السلام إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها تحت مقام الإمام المهدي(عجل الله فرجه الشريف)، ومن أهدافه الأساسية جعل واقعة الطَّف في مشروعه، ولا يمر على واقعة الطَّفّ مرور الكرام أبداً، فواقعة الطَّفّ مشروع مهم عند الإمام المهدي عليه السلام، ففي زيارة عاشوراء ومن جملة ما يقرأ تطلب النّصرة مع أمام منصور من أهل بيت محمد ﷺ قال: ((**وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثَارِكُمْ مَعَ إِمَامٍ هُدًى ظَاهِرٍ نَاطِقٍ بِالْحَقِّ مِنْكُمْ وَأَسْأَلُ اللهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ، أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصَابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي مُصَاباً بِمُصِيبَتِهِ، مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الْإِسْلَامِ وَفِي جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**))[2].

إنَّ الحزن العاشورائي هذا لابُدّ أن يكون في دمنا يجري، وهذا الحزن العاشورائي الذي له قدرة على أن يميّز الحقّ من الباطل، وهذه المجالس التي تُعقدُ لإثارة الشّجى والحزن كان يطلبها الإمام الصّادق عليه السلام ويريدها[3]، ونحن لسنا بصدد ذكر ما للدمعة التي تُسكب على أبي عبدالله الحسين عليه السلام من أثر، فالمهم هنا أن نُبيّن أنَّ الحزن العاشورائي سنّة الأنبياء والحزن العاشورائي فعل النبي ﷺ، والحزن العاشورائي أفضل من حزن يعقوب على يوسف عليه السلام الذي

---

١ – محمد: ٧.

٢ – المزار الكبير، ابن مشهدي، محمد بن جعفر(ت: ٦١٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،قم ١٤١٩هـ، الأولى: ٤٨٣.

٣ – عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا أبا هارون أنشدني في الحسين (عليه السلام)، قال: فأنشدته، فبكى، فقال: أنشدني كما تنشدون – يعني بالرقة..." كامل الزيارات: ٢٠٨.

ابيضّت عيناه وعميت[1]، فالإمام السّجّاد عليه السلام بهذه المصيبة حاله حال آخر وأعظم فهو رأى المشهد بأمّ عينيه.

أصالة الحزن العاشورائي

فإذا جاء أحدٌ أو سمعت بأحد يريد إفراغ واقعة الطَّف من الحزن العاشورائي فهذا لا يفهم شيئاً، وليس له ارتباط لا من قريب ولا من بعيد بواقعة الطَّفّ؛ لأنَّ الحزن العاشورائي ليس فيه ضعف، والحزن العاشورائي هو ثورة، والحزن العاشورائي يترجم قول (**لَا إِلَهَ إِلَّا الله**)، فنحن لا نُريد إلّا هذا الوجود المبارك وامتداده؛ ولذلك الذين جلسوا تحت منابر سيّد الشّهداء عليه السلام الآن -ما شاء الله تعالى- كلّ منهم يُريد أن يتشبّه ببعض أصحاب الحسين عليه السلام، وهاهم حفظوا البلاد والعباد، فهؤلاء كانوا في هذه الأيام يمارسون الشَّعائر، وكانوا يركضون بهذه الرَّكضة الخالدة، وكانوا يلطمون، وكانوا يبكون ما إن شعروا بأن المسألة أصبحت خطرًا لبسوا القلوب على الدّروع، وأصحاب الإمام الحسين عليه السلام لبسوا القلوب على الدّروع أيضاً، ودخلوا إلى ساحات الوغى؛ فالدمعة على الإمام الحسين عليه السلام تعدُّ وجودًا مقدّسًا للحفاظ على مبادئ الإمام الحسين عليه السلام.

الحزن العاشورائي هو حزن أصيل، حزن النبي، حزن أمير المؤمنين، حزن الزَّهراء، حزن الإمام الحسن، إلى بقية الأئمة عليهم السلام، ولا يُمثّل حالة ضعف، وإنّما الحزن العاشورائي هو حزن للبناء؛ والحزن العاشورائي هو حزن من أجل الوصول إلى المعارف الجديدة، وحينما يقرأ الإنسان في زيارة عاشوراء، ويلتفت إلى أنَّ هذه المصيبة ما أعظمها في السّموات والأرض، فلا توجد جهة لم تتفاعل مع سيّد

١ - قال الله تعالى: ﴿**وَقَالَ يا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾، سورة يوسف/ الآية: ٨٤.

الشّهداء، وتقول بعض الرّوايات: إلّا الثّلاثة[١] لم يبكوا على الإمام الحسين عليه السلام وأنا أتعامل مع هذا النّص العام، واقرؤوا أيضاً كلّ زيارات الإمام الحسين عليه السلام العامّة المطلقة والمخصوصة سترون فيها هذا اللسان: مصيبة وبكاء ورزيّة ما أعظمها من رزيّة، ستجدون هذا المحور يدور مع أنَّ الأئمّة وهناك أعداد هائلة من الأحاديث الشريفة وبقية الأمور فيها ما فيها؛ لكن في خصوص مشهد الحسين عليه السلام فإنَّ المشهد العاشورائي ركّز على هذه المسألة.

لقد كان خليل الله تعالى إبراهيم عليه السلام من الكبار، ومشروعه كان كبيرًا؛ هذا النّبي الذي يقول النبي محمد صلى الله عليه وآله عنه: ((**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ** عليه السلام))[٢] عندما أُعطي الإمامة في الناس كان نبيًّا، ثم كان خليلاً؛ لكن عندما وصل مقام الإمامة قال: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِي**﴾؛ لأنَّ إبراهيم عليه السلام كبير وشيخ الأنبياء والله سبحانه يعلم أنَّ طموحه كبير؛ فلذلك طلب الإمامة لذرّيّته، والله تعالى أيضاً أعطاها لهؤلاء وهم الأئمّة الهداة، وأيضًا الإمام الحسين عليه السلام له طموح كبير لا يقف عند حدود الواقعة، وقد كشف الله تعالى لنا من خلال أَلْسِنَة الأئمة من الزيارات أنَّ الإمام الحسين عليه السلام عصيٌّ عن الفهم، ولا نستطيع أن نفهم عظمة السماوات والأرض وما فيهنّ وآدم عليه السلام يستأذن، وإبراهيم عليه السلام يستأذن، وموسى عليه السلام يستأذن الله تعالى في تربة جعل فيها الشّفاء، فهذا شيء عجيب وهذا مقدار في الدّنيا، أمّا ذلك المقام الهائل كلّنا سفن النّجاة ولكن سفينة الإمام الحسين عليه السلام أسرع وأوسع، فهنا تشبيه لسفينة نوح عليه السلام، الذي في سفينته أنقذ الناس من الغرق، الإمام الحسين عليه السلام ينقذنا -إن شاء الله تعالى- من الهلاك ومن الغرق.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام شخصيّة عظيمة جدًّا، ولأجل توضيح هذا المقصد نذكر

---

١ - عن يونس وأبي سلمة السراج والمفضل قالوا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: لما مضى أبو عبد الله الحسين بن علي صلوات الله عليهما بكى عليه جميع ما خلق الله إلا ثلاثة أشياء: البصرة، ودمشق وآل عثمان". (بحار الأنوار: ٥٤/ ٦٠٢).

٢ - المسترشد في إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الطبري الآملي الكبير، محمد بن جرير بن رستم (ت: ٣٢٦هـ) كوشانپور، إيران؛ قم ١٤١٥هـ، الطبعة الأولى: ٦٥٠.

هـذه الرّوايـة؛ يـأتي للإمـام الصّـادق عليه السلام شـخصٌ[1] فيعاتبـه الإمـام ويقـول لـه: ((**مَـا أَجْفَاكُـمْ لِلْحُسَـيْنِ**))[2]، لمـاذا لا تـزور الحسـين عليه السلام؟، فـكان الإمـام يسـأل وهـو يجيـب إلى أن قـال الإمـام عليه السلام: ((**اصْعَـدْ فَـوْقَ سَـطْحِكَ ثُـمَّ تَلْتَفِـتُ يَمْنَـةً وَيَـسْرَةً ثُـمَّ تَرْفَـعُ رَأْسَـكَ إِلَى السَّـمَاءِ ثُـمَّ انْـحُ نَحْـوَ الْقَـبْرِ وَ تَقُـولُ- السَّـلَامُ عَلَيْـكَ يَـا أَبَـا عَبْـدِ اللهِ السَّـلَامُ عَلَيْـكَ وَرَحْمَـةُ اللهِ وَبَرَكَاتُـه**))[3]، فالأئمّـة أكّـدوا حديـث الإمـام الحسـين عليه السلام وحديـث عاشـوراء، وأن لا تتركـوا الحسـين عليه السلام وفي أيّ مـكانٍ كنتـم توجّهـوا للحسـين، صـلى الله عليـك يـا أبـا عبـد الله.

نسـأل الله سـبحانه وتعـالى أن يُرينـا مـن الإمـام الحسـين عليه السلام تلـك الشّـفاعة المأمولـة، ونسـأل الله سـبحانه وتعـالى أن نكـون في ركـب سـيّد الشّـهداء عليه السلام. نسـأل الله تعـالى أن نكـون في ذلـك الرّكـب الـذي ضـمّ الإمـام الحسـين عليه السلام ونكـون مـع العائلـة، ومـع الفهـم العاشـورائي لمـا ذكـره الإمـام الحسـين عليه السلام، جنّبنـا الله تعـالى وإيّاكـم الركـون إلى الدّنيـا، جنّبنـا الله تعـالى الرّكـون إلى العصبيّـة القبليـة التـي تعمـي عـن الحـق، وجنّبنـا الله وإيّاكـم الطائفيـة التـي تزهـق وتنحـرف بهـا عقولنـا، جنّبنـا الله تعـالى وإيّاكـم الابتعـاد عـن الحـقّ، وجعلنـا مـن أهـل الحـقّ ومـن النّاصريـن لـه، وكحّـل الله أعيننـا وأعينكـم بالرّؤيـة الكريمـة لصاحـب الثـأر الإمـام المهدي(صلـوات الله وسـلامه عليـه).

١ - هـو سـدير بـن حكيـم يكنـى أبـا الفضـل، الصيرفي، ينظـر: رجـال العلامـة الحلي، الحسـن بـن يوسـف(ت: ٧٢٦هـ)، دار الذخائـر، النجف١٤١١هـ، الطبعـة الثانيـة: ٨٥.

٢ - الكافي: ٤/ ٥٨٩.

٣ - م.ن: ٤/ ٥٨٩.

المبحث الخامس

سِرّ التَّركيزِ على النَّهضةِ الحُسينيّة

إنَّ شهر محرّم الحرام شهر قُرِن بالإمام الحسين عليه السلام، وكان الأئمّة الأطهار عليهم السلام يعتنون عناية كبيرة بهذا الشّهر، منبّهين أتباعهم بالقول أو بالعمل على ضرورة الاهتمام بهذا الشّهر، وقبل بيان هذه الحقيقة لا بُدّ من بيان جذور هذه المسألة.

لا شكّ أنَّ النّبي صلى الله عليه وآله خاتم الرّسل قد كان حريصاً على أن لا يصيب أمّته ما أصاب الأمم السّابقة، ومقتضى هذا الحرص أن يُبيّن صلى الله عليه وآله الخطوط العريضة أو التّفصيلية لحماية الأمّة من الانزلاق، فماذا صنع النّبي صلى الله عليه وآله، ورسالته هي الرّسالة الخاتمة ولا توجد من بعده رسالة؟ ومقتضى القاعدة أن يُهيّئ الأمور لتحفظ للأمّة هدايتها وكرامتها، ونحن الآن عندما نواجه هذه الأسئلة نأتي إلى حياة النّبي صلى الله عليه وآله لنراه ماذا صنع.

على الرّغم من أنّ القرآن الكريم محفوظ، وقد تعهّد الله تبارك وتعالى بحفظه فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واهتمّ النّبي صلى الله عليه وآله وبعض الصحابة به، لكنّ النّبي صلى الله عليه وآله بيّن أنَّ القرآن الكريم هو أحد الثّقلين اللذين سيتركهما للأمّة، وأنَّ الثّقل الآخر الذي بيّنه صلى الله عليه وآله هو العترة[1]، وهذا المعنى بيّنه في أكثر من مناسبة.

إذن من جملة الحصانة والوقاية أو الرّأفة بالأمّة أنَّ النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله طرح موازين للهداية؛ فمثلاً عندما كان يتعامل مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كان يتعامل معه تعاملاً خاصًّا سواء في سدّ الباب إلّا باب أمير المؤمنين[2] عليه السلام وفي قضية لا يدخل عليه أحد إلَّا علي بن أبي طالب عليه السلام، وانفراده بأمير المؤمنين عليه السلام في أكثر من مرّة، وإسرار أمير المؤمنين بأمور لم يسرَّها للصحابة، إلى أن جاء قوله

---

١ – روي عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدِي، أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الْآخَرِ، كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَعِتْرَتِي أَهْلُ بَيْتِي، لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا كَيْفَ تَخْلُفُونِّي فِيهِم))، ينظر: الهداية الكبرى، الخصيبي، حسين بن حمدان(ت: ٣٣٤هـ)، البلاغ، بيروت: ١٨– ١٩.

وقال صلى الله عليه وآله ايضا: ((إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ كِتَابَ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي أَلَا وَهُمَا الْخَلِيفَتَانِ مِنْ بَعْدِي وَلَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْض)). ينظر: الأمالي، للصدوق، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، كتابچي، طهران١٤١٨هـ، الطبعة السادسة: ٤١٥.

٢ – عن ابن عباس. قَالَ: (أَمَرَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِأَبْوَابِ الْمَسْجِدِ فَسُدَّتْ إِلَّا بَابَ عَلِيٍّ عليه السلام). ينظر: الأمالي، للصدوق: ٣٣٤.

الفصل قبل الغدير: ((**عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِي**))[1]، فطرح النبي ﷺ ميزاناً للأمّة، وقد أجهر بهذا النّداء، ولم يتكلّم به في موطنٍ خاصٍّ بحيث لا يسمعه أحد، فبيّن(**عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِي**).

إذن ظفرنا بميزان له علاقة بالحقّ، ولاحظوا عبارة النّبي ﷺ عندما يقول: ((**عَلِيٌّ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عَلِيٍّ يَدُورُ حَيْثُمَا دَار**))[2]؛ إشارة إلى مشاكل قد تحدث، فيكون هذا الحديث حجّة عليهم لمعرفة الحقّ، وطرح أيضًا لنا ميزانًا آخر، وبيّنه بوضوح وهو فاطمة الزّهراء عليها السلام، قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: ((**إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَيَغْضَبُ لِغَضَبِ فَاطِمَةَ وَيَرْضَى لِرِضَاهَا**))[3]، وهنا لم يُحِل على أمر كلي يمكن أن ينطبق على أكثر من واحد، وإنَّما شخص مشخَّص ببطاقته الشّخصيّة المعلومة، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام فهو شخصيّة معروفة لدى الصّحابة، وكذلك السّيّدة فاطمة عليها السلام التي عبّر عنها هذا التّعبير الذي ذكرناه، فهذا ميزان آخر للأمّة بعد النّبي ﷺ ويمكن أن تنظر إلى علي عليه السلام وتعرف أنَّ الحقّ مع علي عليه السلام، وتنظر الى فاطمة عليها السلام وتعرف أنّ رضا الله تعالى من رضا فاطمة عليها السلام، ثم طرح ﷺ لنا أيضاً ميزاناً آخر، وهو ميزان الحسن والحسين عليهما السلام فقد بيّن ﷺ: ((**الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ هُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّة**))[4]، أي أنَّ الإمام الحسن عليه السلام -على الرغم من كل ما يتعرّض له- هو ليس في الجنة فقط، وإنَّما سيّد شباب أهل الجنة، وقطعًا القرآن الكريم يقول: إنّ النبي ﷺ: ﴿**وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[5]، إذن النبي ﷺ سيستشهد علينا، ويحتج علينا بأنَّني ذكرت هذه الأمور حماية ووقاية للأمة. ثم جاء إلى الإمام الحسين عليه السلام، وتعامل معه تعاملاً خاصًّا .

---

١ -الهيثمي، علي بن أبي بكر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، القاهرة، مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م: ٧/ ٢٣٥.

٢ - م.ن: ج٧/ ٢٣٥.

٣ - معاني الأخبار، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم١٤٠٣هـ، الأولى: ٣٠٣.

٤ - دعائم الإسلام و ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام، ابن حيون، نعمان بن محمد المغربي(ت: ٣٦٣هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم١٤٢٧هـ، الثانية: ٣٧.

٥ - النجم: ٣.

التَّعاملُ الاستثنائيّ

إنَّ النبي صلى الله عليه وآله استقبل مولوده بالبكاء، وهذه مسألة تلفت النَّظر أنَّ النّبي صلى الله عليه وآله خاتم الأنبياء، وقد رزقه الله تعالى بعض الأولاد لم يكتب لهم الحياة، فبكى الطّيّب الطّاهر ولكن بكاء الفاقد، أمّا الإمام الحسين عليه السلام فهو مولود حي بُشّر به فبكى صلى الله عليه وآله، ومما لا شكَّ فيه أنَّ هذا البكاء يحتاج إلى سؤال فهو على خلاف الوضع الطّبيعي، لماذا يبكي رسول الله؟ وقد بيّن النّبي صلى الله عليه وآله أنَّ الإمام الحسين عليه السلام ستقتله فئة من أمّتي[1]، والأكثر من ذلك أنَّ الله تعالى سخّر جبرائيل أن يقبض قبضة من تراب كربلاء، وأودعها عند زوجتهِ أم سلمة رضي الله عنها، وأنبأها أنَّ هذا التّراب إذا تحوّل إلى دم أحمر فمعنى ذلك أنّ الإمام الحسين عليه السلام قد استشهد[2]، ولاحظوا عناية النّبي صلى الله عليه وآله بسبطه سيّد الشهداء عليه السلام، ثم جاء دور أمير المؤمنين عليه السلام، عندما جاء إلى العراق في

---

١ - حَدَّثَتْنِي أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ قَالَت: ((فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ حَوْلٍ مِنْ مَوْلِدِ الْحَسَنِ- وُلِدَ الْحُسَيْنُ فَجَاءَ النَّبِيُّ فَقَالَ يَا أَسْمَاءُ- هَلُمِّي هَاتِ ابْنِي- فَدَفَعْتُهُ إِلَيْهِ فِي خِرْقَةٍ بَيْضَاءَ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى- وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى وَوَضَعَهُ فِي حَجْرِهِ وَبَكَى- فَالَتْ أَسْمَاءُ قُلْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي مِمَّ بُكَاؤُكَ- قَالَ مِنِ ابْنِي هَذَا- قُلْتُ إِنَّهُ وُلِدَ السَّاعَةَ- قَالَ يَا أَسْمَاءُ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ مِنْ بَعْدِي- لَا أَنَالَهُمُ اللهُ شَفَاعَتِي)). ينظر: صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، علي بن موسى(ت: ٢٠٣هـ)، مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام العالمي، مشهد١٤٠٦هـ، الطبعة: الأولى: ٧٣.

٢ - رُوِيَ عن أُم سلمةَ رضي الله عنها أنها قَالت: (خَرَجَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وآله مِنْ عِنْدِنَا ذَاتَ لَيْلَةٍ فَغَابَ عَنَّا طَوِيلًا ثُمَّ جَاءَنَا وَهُوَ أَشْعَثُ أَغْبَرُ وَيَدُهُ مَضْمُومَةٌ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله مَا لِي أَرَاكَ شُعْثاً مُغْبَرّاً فَقَالَ أُسْرِيَ بِي فِي هَذَا الْوَقْتِ إِلَى مَوْضِعٍ مِنَ الْعِرَاقِ يُقَالُ لَهُ كَرْبَلَاءُ فَأُرِيتُ فِيهِ مَصْرَعَ الْحُسَيْنِ ابْنِي وَجَمَاعَةٍ مِنْ وُلْدِي وَأَهْلِ بَيْتِي فَلَمْ أَزَلْ أَلْتَقِطُ دِمَاءَهُمْ فَهَا هِيَ فِي يَدِي وَبَسَطَهَا إِلَيَّ فَقَالَ خُذِيهَا وَاحْتَفِظِي بِهَا فَأَخَذْتُهَا فَإِذَا هِيَ شِبْهُ تُرَابٍ أَحْمَرَ فَوَضَعْتُهُ فِي قَارُورَةٍ وَسَدَدْتُ رَأْسَهَا وَاحْتَفَظْتُ بِهِ فَلَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ عليه السلام مِنْ مَكَّةَ مُتَوَجِّهاً نَحْوَ الْعِرَاقِ كُنْتُ أُخْرِجُ تِلْكَ الْقَارُورَةَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَأَشَمُّهَا وَأَنْظُرُ إِلَيْهَا ثُمَّ أَبْكِي لِمُصَابِهِ فَلَمَّا كَانَ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنَ الْمُحَرَّمِ وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عليه السلام أَخْرَجْتُهَا فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَهِيَ بِحَالِهَا ثُمَّ عُدْتُ إِلَيْهَا آخِرَ النَّهَارِ فَإِذَا هِيَ دَمٌ عَبِيطٌ فَصِحْتُ فِي بَيْتِي وَبَكَيْتُ وَكَظَمْتُ غَيْظِي مَخَافَةَ أَنْ يَسْمَعَ أَعْدَاؤُهُمْ بِالْمَدِينَةِ فَيُسْرِعُوا بِالشَّمَاتَةِ فَلَمْ أَزَلْ حَافِظَةً لِلْوَقْتِ حَتَّى جَاءَ النَّاعِي يَنْعَاهُ فَحَقَّقَ مَا رَأَيت). ينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٣٠-١٣١.

صفّين[١]، ومرّ على كربلاء أيضاً بينّ أنَّ هنا ستكون مصارع القوم، وذكر أنَّ هذه الأرض هي أرض سيستشهد فيها الإمام الحسين[٢]عليه السلام، ثم جاء دور الإمام الحسن عليه السلام، وقد كانت الظّروف التي مرّ بها ظروفاً قاسية جدًّا، وهو الابن البكر لأمير المؤمنين عليه السلام، وشبيه رسول الله صلى الله عليه وآله وله عناية خاصّة، وعندما يستشهد قطعًا ستحدث هزة في بني هاشم، لكن الإمام الحسن عليه السلام نسى مصيبته مع قسوتها، والتفت إلى الإمام الحسين عليه السلام وقال: ((**لَا يَوْمَ كَيَوْمِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الله**))[١]، ثم جاء دور الإمام الحسين عليه السلام، لكن كيف تعامل مع هذه القضية؟

خطب في كربلاء عندما حلَّ فيها في الثاني من شهر محرم الحرام، وبدأت المناوشات من القوم، وبدأ الإمام الحسين عليه السلام يُبيّن ويحتجّ، ولعلّ من جملة ما قال عليه السلام: ((**وَأَرَاكُمْ قَدِ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمُ اللهَ فِيه**))[٤]، ولاحظ هذه العبارة: ((**وَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ عَنْكُمْ وَأَحَلَّ بِكُمْ نَقِمَتَهُ وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَه**))[٥]، هكذا تعامل الإمام الحسين عليه السلام مع القضية بوصفها قضيّة الإسلام لا بوصفها قضية شخصيّة، وحينما نأتي إلى الإمام السّجّاد عليه السلام نجده قد قضى بعد واقعة الطّف شطرًا كبيرًا من

---

١ – صِفّينُ: بكسرتين وتشديد الفاء، وحالها في الإعراب حال صريفين، وقد ذكرت في هذا الباب أنها تعرب إعراب الجموع وإعراب ما لا ينصرف، وقيل لأبي وائل شقيق بن سلمة: أشهدت صفّين؟ فقال: نعم وبئست الصّفّون: وهو موضع بقرب الرّقّة على شاطئ الفرات من الجانب الغربي بين الرّقّة وبالس، وكانت وقعة صفّين بين عليّ عليه السلام، ومعاوية في سنة ٣٧ في غرّة صفر، واختلف في عدّة أصحاب كل واحد من الفريقين، فقيل: كان معاوية في مائة وعشرين ألفا وكان عليّ عليه السلام في تسعين ألفا، وقيل: كان عليّ عليه السلام في مائة وعشرين ألفا ومعاوية في تسعين ألفا، وهذا أصحّ، وقتل في الحرب بينهما سبعون ألفا، منهم من أصحاب عليّ عليه السلام خمسة وعشرون ألفا ومن أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفا، وقتل مع عليّ عليه السلام خمسة وعشرون صحابيّا بدريّا، وكانت مدّة المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيّام، وكانت الوقائع تسعين وقعة. ينظر: معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي(ت: ٦٢٦هـ) الناشر: دار صادر، بيروت الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م: ٣/ ٤١٤.

٢ – روي عن الحسن بن كثير عن أبيه أَنَّ عليا اتى كربلاء فوقف بها فقيل: (يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ كَرْبَلَاءُ قَالَ: «ذَاتُ كَرْبٍ وَبَلَاءٍ» ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَكَانٍ فَقَالَ: «هَاهُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ وَمُنَاخُ رِكَابِهِمْ» وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَقَالَ: «هَاهُنَا مُهَرَاقُ دِمَائِهِمْ»). وقعة صفين، نصر بن مزاحم(ت: ٢١٢هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم١٤٠٤هـ، الثانية: ١٤٢.

١ – مناقب آل أبي طالب عليه السلام، لابن شهرآشوب: ٤/ ٨٦.

٤ – بحار الأنوار:٤٥/ ٦.

٥ – م. ن: ٤٥/ ٦.

حياته الشّريفة في البكاء؛ فضلاً عن العبادة، بحيث أشفقت بعض النساء عليه من الهلاك من كثرة البكاء، وقد طلبن من بعض الصّحابة أن يأتي إلى الإمام السجاد عليه السلام ليرفق بنفسه، فذكر الإمام السجاد عليه السلام أنَّ الله تعالى ذكر يعقوب عليه السلام وهو نبي، وقد رزقه الله تعالى من الأولاد العدد الكثير، وعندما غاب عنه شخص واحد وهو يعلم أنّه حيّ بكى بكاءً حتى ابيضّت عيناه من الحزن، وهذا احتجاج على القائل، ثم قال: كيف بي وأنا قد رأيت إخوتي، وقد رأيت أعمامي، ورأيت أبي ورأيت عمّاتي في هذه المجزرة العاشورائية التي حدثت في كربلاء[1]، والإمام السجاد عليه السلام كان قمّة في العطاء والدّعاء والعبادة والعلم وهو يُعبّر بهذا التعبير، ولَمّا جاء دور الإمام الباقر عليه السلام فقد اهتمّ اهتماماً خاصّاً بحيث أنشأ زيارة عاشوراء -الزيارة المعروفة- وبيّن فيها نكاتٍ مهمّة جدًّا غاية في الأهمّيّة في قضيّة سيّد الشّهداء عليه السلام، ثم جاء دور الإمام الصادق عليه السلام، وبدأ يحشّد لقضية سيد الشهداء عليه السلام، سواء كان في المجالس أو في الزيارة أو في البكاء، بل مارس الإمام الصادق عليه السلام الدور بنفسه، وكان يعقد المجالس للبكاء على الإمام الحسين عليه السلام، ويرسل إلى الشّعراء؛ ليؤدّوا المصيبة بالطّريقة الرّثائيّة المعروفة[2]، فهو قد تعامل مع قضية الإمام الحسين عليه السلام أيضاً تعاملًا خاصًّا، وإذا تلاحظون الأحاديث الواردة عن الإمام الصادق عليه السلام في قضية سيّد الشهداء عليه السلام فقط سنظفر بأكثر من مائة أو مائتي رواية تؤكّد قضية سيّد الشهداء عليه السلام، ثم جاء دور الإمام الكاظم عليه السلام أيضاً، وبدأ يشجّع على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، وجاء دور الإمام الرضا عليه السلام فأخذ يشجّع، ويعطي نتاج ثمار زيارة الإمام الحسين عليه السلام سواء كان منسأة في العمر أو للرزق[3] أو طول العمر في الخير، وأنَّ الإنسان تفتح له أبواب

١ - ينظر: اللهوف على قتلى الطفوف: ٢١٠.

٢ - عن أبي هارون المكفوف، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): يا أبا هارون أنشدني في الحسين (عليه السلام)، قال: فأنشدته، فبكى، فقال: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقة -...". كامل الزيارات:٨٠٢.

٣ - ينظر: كامل الزيارات:٥٨٢.

التّوفيق، وهذه الزيارة تعادل حجّة أو مئة حجّة أو مئة عمرة[1]، وكذلك مارس الإمام الجواد والإمام الهادي والامام العسكري عليهم السلام إلى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه الشريف) الدّور في بيان قضيّة الإمام الحسين عليه السلام.

مِن عَوامِلِ الحثّ على عاشوراء

فتلاحظون أنَّ قضية سيّد الشّهداء عليه السلام هي المركزية في حياة الأئمَّة الأطهار عليهم السلام، وأنّها القضية المهمّة التي أعطاها الأئمّة الأطهار من وقتهم الشيء الكثير؛ لإبرازها، فهي ليست مسألة مبنيّة على التّذكّر أو مبنيّة على الكمالات أو مبنية على شيء آخر، وإنّما هي القضية المركزية التي احتلّت مساحة كبيرة من حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، نعم هناك تأكيد لزيارة بقيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فالإمام الباقر عليه السلام يركّز على مظلومية أبيه الإمام السجاد عليه السلام، لكن عندما يأتي إلى الإمام الحسين عليه السلام يُنشئ زيارة خاصّة وفي أوقاتٍ خاصَّة لإبراز قضية سيد الشهداء عليه السلام؛ لأنها تُعدّ المحور الأساس.

وهنا لا بُدَّ من الالتفات إلى نقطتين:

النّقطة الأولى: بعد أن اتّضح أنَّ قضية الإمام الحسين عليه السلام ليست طارئة على الوجدان الإسلامي، ولا أقول الشيعي، بل الوجدان الإسلامي، فقد تَحْدث معارك كثيرة، يخرج فلان أو فلان على السلطان أو الخليفة الرسمي، ولكن دوافع هذه القضايا تختلف، أمّا قضية الإمام الحسين عليه السلام فشيء آخر، فالإمام الحسين عليه السلام لم يخرج أصلاً، ولا أقول لم يرفض بل أقول لم يخرج بمعنى أن عملية استشهاد الإمام الحسين عليه السلام بحسب المنظور التاريخي الذي مرّ هي حالة من حالات رفض الأمة لحكومات فيها الظلم والحيف، والتذكير بعهد أمير المؤمنين عليه السلام وبعهد النبي صلى الله عليه وآله، كُتب للإمام الحسين عليه السلام بلحاظ أنَّ هذا البيت قد

١ - ينظر كامل الزيارات: ١٥٥ - ١٥٧.

جُرِّب، وله القدرة على أن يقود الأمور، وكتب شيوخ القوم ووجهاؤهم للإمام الحسين عليه السلام أن يأتي والإمام الحسين عليه السلام جاء بهذه الكتب إظهارًا للحجّة في واقعة كربلاء[1]، حتى تنصّل بعضهم، فقال: لم نفعل، والطّرف المقابل يعرف كيف يغيّر المال والتزوير والدّعاية والأمور، بحيث إنَّ التَّعتيم الذي حصل على قضية الإمام الحسين عليه السلام كان تعتيمًا كبيرًا جدًا، حتى احتفل أهل الشام احتفالاً مهيبًا كبيرًا على أنَّ الله تعالى نصر الخليفة على رجلٍ خارجيٍّ!! وكثيرٌ من الناس كانوا يعتقدون أنَّ المسألة هي فعلاً كذلك؛ فالمقصود أن قضية سيد الشهداء عليه السلام ما قبل استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وما بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام كانت مركزية عند النبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام.

النّقطة الثانية: إنَّ حياة الرسالة الإسلامية وهذا الدِّين الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله لابدّ أن يتعرض الى حالة من التشويش والتشويه والانحراف، والذي يستطيع أن يقضي على هذا الانحراف هو شخص يمثل الرسول خير تمثيل ((**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْن**))[2]، وهذا الدفع باتجاه الإمام الحسين عليه السلام، وإظهار مظلوميته عليه السلام، والإلحاح على إحياء قضيته عليه السلام، أسهم إسهامًا فعّالاً في بقاء الحقّ، وعندما استُشهد الإمام الحسين عليه السلام لم يكتفِ الأئمّة عليهم السلام بذكر الواقعة وذكر المظلومية إطلاقًا، وإنَّما تُذكر الواقعة والمظلومية، وتأتي الزيارات لتُبيّن عمق قضيّة سيّد الشهداء، فهو الوحيد الذي ورث الأنبياء من آدم إلى النبي المصطفى[3] صلى الله عليه وآله، هذه الزيارات ولّدت ورسّخت عقيدة في نفوس الناس، بحيث أصبحت عاشوراء عمليّة متجدّدة، وهذه

---

١ – فَنَادَى عليه السلام: (يَا شَبَثَ بْنَ رِبْعِيٍّ يَا حَجَّارَ بْنَ أَبْجَرَ يَا قَيْسَ بْنَ الْأَشْعَثِ يَا يَزِيدَ بْنَ الْحَارِثِ أَلَمْ تَكْتُبُوا إِلَيَّ أَنْ قَدْ أَيْنَعَتِ الثِّمَارُ وَاخْضَرَّ الْجَنَابُ وَإِنَّمَا تَقْدَمُ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ فَقَالَ لَهُ قَيْسُ بْنُ الْأَشْعَثِ مَا نَدْرِي مَا تَقُولُ وَلَكِنِ انْزِلْ عَلَى حُكْمِ بَنِي عَمِّكَ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَرُوكَ إِلَّا مَا تُحِبُّ فَقَالَ لَهُ الْحُسَيْنُ عليه السلام لَا وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ وَلَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيد). ينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، المفيد، محمد بن محمد(ت: ٤١٣هـ)، مؤتمر الشيخ المفيد، قم، الأولى: ٢/ ٩٨.

٢ – كامل الزيارات: ٥٢.

٣ – كما نقرأ ذلك في زيارة وارث: (السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَارِثَ آدَمَ صَفْوَةِ الله...). ينظر كامل الزيارات: ٢٠٦.

الحالة من الأئمّة بقيت في نفوس الناس تتجدّد؛ لذلك لابُدّ من اتّباع منهج أهل البيت عليهم السلام في التعامل مع قضية سيّد الشهداء عليه السلام، وفي الزيارة، هذا هو منهج الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فزيارة الإمام الحسين عليه السلام لا تُترك حتّى في الخوف[1]، كما في نصّ الروايات الشريفة في مواسم مهمة في حياة المسلمين، يشير الأئمة عليهم السلام إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام في ليالي القدر والأعياد ويوم عرفة وفي شهر رجب وشهر شعبان وفي شهر محرم، ولاحظوا تطويق السّنة بإشارات من الأئمّة عليهم السلام للحث على أن نكون مع الحسين عليه السلام زيارةً أو إظهار مظاهر الحزن، بحيث تعلو وجه الإمام عليه السلام الكآبة عندما يدخل هذا الشّهر الشّريف، ولمّا يُسأل، فيبيّن السّبب أنَّ في هذا الشَّهر الشَّريف استشهد الإمام الحسين عليه السلام بل أكثر من ذلك، الأئمّة عليهم السلام نهوا أتباعهم أن يتصدّوا لقضاء حوائجهم في صبيحة يوم عاشوراء(حوائج الدّنيا)؛ لأنَّ هذا اليوم كان يوم حزن على آل محمد عليهم السلام، فهناك حثٌّ من الأئمّة عليهم السلام أن نكون عاشورائيين ضمن رحلة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا الاهتمام من الأئمّة لسيّد الشّهداء عليه السلام ولم يكن له مثيل أصلاً في بقيّة الأمور، فهي ليست قضية طارئة، وإنَّما القضية المركزية في حياة الأئمّة عليهم السلام هي قضية سيّد الشّهداء عليه السلام، ولذلك حتّى الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) غالباً ما تعبّر الرّوايات على أنّه هو الطّالبُ بثأر الإمام الحسين عليه السلام، وربط قضية سيد الشهداء مع الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف) في أمثلة الرّوايات كثيرة، فهو الذي يطالب بثأر الله سبحانه وتعالى، وهو الذي ينتقم من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، والمختار[2] وإن أفرح آل البيت عليهم السلام بقتل قتلة الإمام الحسين عليه السلام كما يقول الإمام السجاد عليه السلام لكنه لم يتمكّن أداء الطلب بالثأر على النّحو الأكمل؛ لأنَّ القضية

١- ينظر: كامل الزيارات، ص ٢٢٧.

٢ - المختار بْن أَبِي عُبَيْد بْن مسعود بْن عمرو بْن عمير بْن عوف بْن عقدة بن غيرة ابن عوف بن ثقيف الثقفي، أبو إسحاق انَ أبوه من جلة الصحابة. وولد المختار عام الهجرة. ينظر: أسد الغابة، عز الدين ابن الأثير(ت: ٦٣٠هـ) الناشر: دار الفكر- بيروت ١٤٠٩هـ: ٤/ ٣٤٧.

ليست قضيّة قاتل ومقتول فحسب وإنَّما قضية منهج ومبدأ وعقيدة، وهذه العقيدة قد زُوِّرت وأُخذت إلى منحى آخر، لابُدَّ للذي يرجعها أن يكون بمستوى الإمام الحسين عليه السلام، وهذا محصور بالإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف).

إنَّ قضية سيّد الشّهداء عليه السلام وقضية عاشوراء وواقعة الطّف مركزية في حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فإذا كانت قضية مركزية في حياة الأئمة عليهم السلام فلابدّ أن تكون مركزية في حياتنا أيضاً، وأن نتعامل معها بالتعامل الذي أراده الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وفعلاً دأب محبّو أهل البيت عليهم السلام في هذه السنوات الطويلة على التفاعل مع قضية سيد الشهداء بما تمكّنوا، ولاحظوا أنَّ هذه القضية في الوقت الذي قلنا هي القضية المركزية للأئمّة عليهم السلام كانت القضية المركزية لأعداء أهل البيت عليهم السلام أيضاً في محاربتها، فنستنتج من ذلك أنَّ هناك جهتين:

الجهة الأولى: هو إحياء الأئمّة الأطهار لهذه القضية، والحث عليها بقوة مع علم الأئمة الأطهار أن هناك مشاكل ستحدث، -كما قلت- بعض الروايات تُصرّح أن زيارة الإمام الحسين عليه السلام لا تُترك حتى في الخوف.

الجهة الثانية: في المقابل هناك عامل سلبي يحاول أن يقضي على هذه القضيّة، وكلّ شيء يمتّ للإمام الحسين عليه السلام بصلة لابُدَّ أن يُقضى عليه حتّى الاسم، فأصبحنا أمام مدرستين: المدرسة الحسينيّة أو نهج الحسين يعني الإمام الباقر والإمام الصادق عليهما السلام وتُسمّى المدرسة الحسينية في خصوص إحياء قضيّة الإمام الحسين عليه السلام، وهناك مدرسة أخرى هي مدرسة أموية تُسمّى كذلك؛ وإن لم تنتمِ نسباً إلى الأمويين، والمنهج منهج أموي دأبت في قتل قضيّة سيّد الشّهداء عليه السلام، فانبرى من هنا الخطّ الحسيني، وانبرى من هنا الخطّ الأموي، ولذلك لا تعتقدوا ولا تتصوّروا أن يأتي يوم دون أن تحارب القضية الحسينية -إلّا عند ظهور الإمام المهدي(عجل الله تعالى فرجه الشريف)، وفي كلّ جولات المعارك ستنتصر؛ فقضيّة الإمام الحسين عليه السلام لا تُحارب؛ لأنَّه منهج صدقٍ ومنهج حقٍّ، وهناك منهج باطل، ومنهج الباطل

لا يرضى بالحقّ، ويعدّه عدوّه اللدود، ولذلك لاحظوا أساليب النّهج الأموي في التّعامل مع الخطّ الحسيني في كلّ شيء، دخل عاشوراء انفتحت أعين الظّلمة، راقبوا الحائر الحسيني، راقبوا السّدرة، راقبوا الشّجرة، يبثّون العيون، يبثّون الشّرطة، واستمرّ هذا المنهج إلى الأوقات المتأخّرة التي عاصرناها وعاصرتموها، فالذي كان مُحبًّا لأهل البيت عليهم السلام يُحارَب؛ لأنَّه قد أطلق اللحية في عاشوراء، أو لأنَّه لبس السواد أو رفع راية سوداء صغيرة الحجم على سطح الدّار، وبدأت أزلام السّلطات في هذه المدّة تترصّد كلّ شيء ينتمي للإمام الحسين عليه السلام، فإذن هي ليست قضية هامشية عند الطغاة، بل هي قضيّة مركزيّة.

عَظَمَةُ الموقِفِ

ماذا أحدث الإمام الحسين عليه السلام حتى تكون قضيته عند الأئمة عليهم السلام مركزية وعند الظلمة قضية مركزية؟

أنتم تعلمون أنَّ الطّغاة كانوا يقولون نحن لا نحارب الصّلاة، صلّوا في بيوتكم. لماذا تلطمون على الإمام الحسين عليه السلام؟

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام قد مات، وانتهى حتى جاء بعض مَن لا عِلْم له ولا فهم، يُحاول أن يُصادر حتّى الروايات، ويتصرّف بغير علم في الدّمعة على الإمام الحسين عليه السلام، ويجعلها دمعة لا واقع لها، وإنّما هي قضية مرّت، هذا كلّه يدخل في منهج أمويّ ينخرط في عدم فهم قضية الإمام الحسين عليه السلام، فالإمام الصادق عليه السلام يبكي على الحسين عليه السلام، وهذا المخرِّف يقول: لا تبكوا على الإمام الحسين عليه السلام، والإمام الهادي عليه السلام يرسل أحدهم على الرغم من الظّرف الذي مرّ به ليتحيّن الفرصة للوصول الى الحائر حتّى يدعو للإمام[1] عليه السلام، وذاك المخرِّف يحُاول أن يوجّه الأمور بطريقة مريضة.

١ - ينظر: الكافي:٦/ ٥٣٢.

إنّ قضية الإمام الحسين عليه السلام ليست طارئة، وإنّما هي مركزية عند الأئمة الأطهار عليهم السلام، والإنسان الذي يعتقد أنَّه موالٍ للأئمّة الأطهار عليهم السلام تكون قضية الإمام الحسين عليه السلام عنده مركزية، فقد كان الأئمة عليهم السلام ينهون الناس عن الابتعاد عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام، بل لاحظوا بعض العبارات فيها تقريع لمن لا يزور الإمام الحسين عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام يقول: ((**مَا أَجْفَاكُمْ**[1] **لِلْحُسَيْنْ**))[2]، يعني عندكم جفاء للإمام الحسين عليه السلام، ولا تزورونه، بل وبعضهم أفتى بوجوب زيارة الإمام الحسين عليه السلام ولو بالعُمر مرّة، فالقضية ليست سهلة، وليست تدرك بسهولة، وإنّما هي مركزية حافظت على نهج النبي صلى الله عليه وآله ونهج أمير المؤمنين عليه السلام، أمّا أن يأتي بعض ويُفسّر الأمور بمقدار معيّن، فهذا شيء آخر.

إنَّ التّفاعل مع قضية الإمام الحسين عليه السلام، وأنحاء التّفاعل وزيارة الإمام الحسين عليه السلام نحو من إحياء قضية سيد الشّهداء عليه السلام، وهذا الإنسان الذي يزور الإمام الحسين عليه السلام له أجر عظيم، والرّوايات التي تُبيّن فضل من يزور الإمام الحسين عليه السلام أيضاً روايات كثيرة.

إنّ الله تعالى وظّف ملائكة صاعدة ونازلة تزور الإمام الحسين عليه السلام[3]، فنفهم من ذلك أنَّ قضية الإمام الحسين عليه السلام لا بُدَّ من التفاعل معها إذا كان في كربلاء وقبل أن يدخل الحرم الشريف لابُدّ أن يتفاعل أيضاً، وإذا كان من خارج كربلاء فعندما تلوح له المنائر أو تلوح لهُ علامة الإمام الحسين عليه السلام يتهيّأ نفسيًّا، وهذا تراث ٢٥٥ هـ سنة من الأئمة الأطهار عليهم السلام، كرّسوا كلامهم على قضيّة سيّد الشهداء عليه السلام، وهذه القضية اهتمّ بها الأئمّة لمدة قرنين ونصف، ثم تبقى هذه القضية لمدة أربعة عشر قرناً الى الآن وما شاء الله تعالى، ثم تمتدّ من أرض ضيّقة من كربلاء الى عموم العالم، ثم كلمات الزيارة تقول إنَّ هذه المصيبة هي خارج عن المألوف وخارج عن الأصل، وإنَّما تفاعلت معها ملائكة السماء، فأيّ مركزيّة أقوى من هذه المركزيّة؟

---

١ - أَجْفَاكُمْ: هو من الجَفَاءِ البُعْدِ عن الشيء، جفاه إذا بعد عنه، وأَجْفَاه إذا أبعده، ينظر: لسان العرب: ١٤/ ١٤٨.

٢ - الكافي: ٤/ ٥٨٩.

٣ - روي عن الصادق عليه السلام: (وَكَّلَ اللهُ بِقَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَرْبَعَةَ آلَافِ مَلَكٍ شُعْثاً غُبْراً يَبْكُونَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَة). كامل الزيارات: ١٥٩.

لم نعهد قضية أخذت اهتماماً من الأئمّة الأطهار مثل قضية الإمام الحسين عليه السلام، فهي مركزية وليست نسبية؛ ومعنى ذلك أنّها تدخل في صلب عقيدة الإنسان، وبعض الزيارات ((**وَفُقِدَ بِفَقْدِكَ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيل**))[1]، والتهليل والتكبير هو قول (**لا إله إلّا الله**)؛ وهنا إشارة الى القضية المركزية التي جاهد وضحّى من أجلها جميع الأنبياء والرسل عليهم السلام؛ ألا وهي التوحيد، وإذا تأمّلنا قول المعصوم فإنّه يقول في الزيارة: (قتل التهليل)، وقتل التكبير وهو قول (الله اكبر)، وهو شعار المسلمين وشعار الصلاة، فنستنتج من ذلك أنَّها مركزية وقضية مهمّة وليست بسيطة؛ لذلك علّموا أولادكم، وأشعِروا عيالكم في بيوتكم بأنّه إذا دخل شهر محرّم فهناك شيء آخر دخل إلى البيت، وليست مسألة شكلية أو عاطفية، فالإنسان عندما يسمع صوت الأذان لابُدّ أن يتهيّأ للصلاة، والصلاة ليست طارئة على حياة المسلم، وإنَّما أمر واجب، وعاشوراء عند الأئمة فيها الحثّ والتحشيد على هذا الحضور، بزيارة الحسين عليه السلام أوّلاً، وبإحياء جميع الشعائر المناسبة مع سيّد الشهداء عليه السلام للذي لا يتمكّن لابُدّ أن تظهر على سيماه وشخصيّته ووجوده قضية الإمام الحسين عليه السلام، وعقد المجالس بمقدار ما يتّسع له الوقت والظرف لإحياء ذكرى سيّد الشهداء عليه السلام؛ حتى تكون قضية مركزية داخلة في وجدان المحب للإمام الحسين عليه السلام، وعندما تكون هكذا فإننا سنتعامل مع عاشوراء بشكل آخر، فهي عهد مع الأئمة قاطبة، بل عهد مع النبي صلى الله عليه وآله، والنبي صلى الله عليه وآله أيضاً يشير في بعض الروايات الى أن آدم ونوحاً عليهما السلام وهذه السلسلة

---

١ – وهذه الزيارة مروية عن الإمام المهدي(عليه السلام) تعرف بزيارة الناحية المقدسة. ينظر: المزار الكبير، لابن المشهدي محمد بن جعفر(ت:٦١٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي– قم، الأولى: ٥٠٥.

وقد ورد هذا المعنى أيضا في الابيات الشعرية لخالد بن مَعْدان(ت: ١١٠هـ):

جاءوا برأسك يا ابن بنت محمد ... مُتَرَمِّلا بدمائه ترميلا
قتلوك عطشانا ولم يترقبوا ... في قتلك التنزيل والتأويلا
وكأنما بك يا ابن بنت محمد ... قتلوا جهارا عامدين رسولا
ويكبرون بأن قتلت وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا

ينظر: مناقب آل أبي طالب عليهم السلام، لابن شهرآشوب: ٤/ ١١٧.

من الأنبياء تفاعلت مع عاشوراء، فإذن هو عهد لهذا الجيل والطبقة من الأنبياء جميعاً وللأئمة الأطهار عليهم السلام، فعاشوراء حياتنا، وعاشوراء هي هواؤنا الذي نتنفس فيه، ونحن بلا عاشوراء لا قيمة لنا.

عاشوراء قضية بذل الأئمة الأطهار عليهم السلام أنفسهم الشريفة من أجل أن تبقى، والإمام الحسين عليه السلام هو أول الباذلين لنفسه من أجل أن تبقى، ولذلك السيدة زينب عليها السلام تتنبأ أن الله تعالى سيهيّئ للأمة مَن يَنْصِب علماً، فهي خارج إطار الضّحل يزيد وأمثاله، وخارج إطار هذه المحسوسات البسيطة، فاليوم يتّشح جميع العالم بالسواد لمن يرضى ولمن لا يرضى، فمتى تستفِدْ الأمة من عاشوراء وتتعلّمْ من الحسين عليه السلام فسيكون لها شأن آخر، ولكن ما دام هناك خطّ أمويّ يتتبع الحسين عليه السلام وأتباعه وآثاره وكل شيء، فالأمّة محرومة وهذا شأنه. إذن أيّها الإخوة لابُدّ أن تحفر في قلوبنا كل ما من شأنه أن يكون شعاراً لواقعة الطَّفّ والإمام الحسين عليه السلام، فما هي الشعارات التي رُفِعت في واقعة الطَّف، من شعارات أهل البيت عليهم السلام؟ ولاحظوا خطب الإمام الحسين عليه السلام، خَطَبَ زهير بن القين[1]، وخَطَبَ بُرَير[2] هذه كلّها شعارات عاشورائية نتعلّم منها ونستفيد منها، الزيارات التي بيّنها الأئمة عليهم السلام تحفر في قلوبنا معنى، ونتعامل معها تعاملاً خاصًّا، هكذا لابُدّ أن نُحيي عاشوراء، ثم

---

١ - هو زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي، من كبار شيوخ قبيلة بجيلة في الكوفة، فقال: ((يا اهل الكوفة! نذار لكم من عذاب الله نذار! انّ حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن اخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وانتم للنصيحة منّا أهل، فاذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنّا أمّة وأنتم أمّة، إن الله قد ابتلانا واياكم بذرية نبيه محمّد صلى الله عليه وآله وسلّم لينظر ما نحن وأنتم عاملون، انّا ندعوكم الى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فأنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كلّه، ليسملان اعينكم، ويقطّعان ايديكم وارجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم: أمثال حجر بن عديّ واصحابه، وهانئ بن عروة واشباهه، فسبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه الى الامير عبيد الله سلما! فقال لهم: عباد الله، إنّ ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالودّ والنصر)). ينظر: وقعة الطفّ، أبو مخنف الكوفي، لوط بن يحيى(ت: ١٥٨هـ)، جماعة المدرسين، قم، الثالثة: ٢١٠.

٢ - هو بُرَير بن خُضَير الهَمْداني المِشْرَقي، كان سيد القراء ومن اعبد اهل زمانه فاستأذن الحسين عليه السلام، فاذهن له فحمل كالليث الضاري والصاعقة النازلة ففروا بين يديه فجعل يناديهم: (اقتربوا مني يا قتلة أولاد النبيين). ينظر: مقتل الحسين عليه السلام، للعلامة الشيخ محمد كاشف الغطاء(ت: ١٣٧٣هـ)، تحقيق: هادي الهلالي، الشريف الرضي- ايران١٤١٩هـ، الطبعة الأولى: ٤٦.

تتفرّع طريقة الإحياء فهذا يعقد المجالس، وهذا ينعى، وهذا يبكي، وهذا يلطم، وما شاء أن يفعل ضمن هذه الشعائر وهي إحياء لعاشوراء.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون من الذين يحيون عاشوراء، ومن الذين يقفون على واقعة الطف وقفة طويلة، وقفة دمع، ووقفة عقل، لا نفكّك بينهما إطلاقاً، وإنَّما هي عِبرة وعَبرة، حتى نستشعر لذّة عاشوراء، أقصد اللّذة لهذه المظلومية التي أحياها في نفوسنا الإمام الحسين عليه السلام، وأرادنا أن نكون أحراراً. نسأل الله سبحانه وتعالى أن نكون فعلاً أحراراً بالحسين عليه السلام، وأن نكون سعداء بالحسين عليه السلام، وأن نكون أتقياء بالحسين عليه السلام، وأن نكون شجعاناً بالحسين عليه السلام، سائلاً المولى سبحانه وتعالى أن يُرجع الحقوق المسلوبة لأهلها في جميع بلاد المسلمين، بحق الحسين وعلي بن الحسين وأولاد الحسين وأصحاب الحسين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الفصل الثاني

أَساليبُ النَّصرِ الحُسينيّ

المبحث الأول

عَوامِلُ نُصرةِ الإِمامِ الحُسين عليه السلام

لا بـدَّ مـن الإشـارة إلى قضيـة مهمّـة مـن بـاب المقدِّمـة، وهـو أنَّ عاشـوراء أثـارَ نفـوس المسـلمين، وفي هـذا المقـام لا نريـد أن نسـتعرض واقعـة الطّـف بـما لهـا مـن أبعـادٍ كبـيرة وعظيمـة، والإشـارة إلى مـن كتـب في عاشـوراء وتفاعـل معـه، ولكـن أحببـت إثـارة لفـت الانتبـاه إلى صـور وآثـار سـيد الشـهداء عليه السلام في هـذا المـكان، واعتقـد جازمًـا أنَّ هـذا المـكان يغبطنـا عليـه المسـلمون كثـيرًا؛ فنحـن لا نبعـد عـن مرقـد سـيِّد الشـهداء عليه السلام إلَّا خطـوات معـدودةٍ، ويـا ليـت أن تكـونَ المسـافةُ المعنويـة بيننـا وبينهـم ضئيلـةً جـدًا، كـما هـي المسـافة المكانيـة.

العلمُ قبلَ العملِ

إنَّكـم تعلمـون أنَّ الإمـام الحسـين عليه السلام هـو مـشروع، وصاحـب المشروع لا شـكَّ ولا ريـبَ يحتـاج إلى أدوات يختارُهـا بمزيـدٍ مـن العنايـةِ حتَّـى يتحقَّـق هـذا المـشروع.

ولعـلَّ بعـضَ الـكلام يكـون مطروقًـا سـابقًا، لكـن مـن بـاب الاسـتغراب، وليـس مـع الحسـين عليه السلام مـن اسـتغراب؛ لأنَّنـا نـرى في كلِّ عـام الكـمَّ الهائـل بتنوعاتـه العدديَّـة والعرقيَّـة كيـف يتفاعـل مـع سـيِّد الشُّـهداء عليه السلام؛ فالإمـام الحسـين عليه السلام ليـس شـخصًا اعتياديًّـا أو هامشـيًّا؛ بـل هـو شـخصٌ يمثِّـلُ قمّـة الهـرم الدِّينـي في وقتـه، وقمّـة الهـرم في أسرتـه، وقمّـة الهـرم الاجتماعـي، وقـد اجتمعـت فيـه فضائـل لم تجتمـع في غـيره سـوى جـدِّه وأبيـه وأخيـه.

مكمـنُ عاشـوراء ومكمـنُ كربـلاء لهـما علاقـة بفكـر الإمـام الحسـين عليه السلام، والإمـام الحسـين عليه السلام كـما قلـت: إنَّـه صاحـب مـشروع، وأنـا أعتقـد الآن أنَّ كلًّا منَّـا عندمـا يريـد أن يبنـي بنـاءً لابُـدَّ أن يختـارَ أدوات البنـاء بشـكلٍ دقيـق، إذا كان يريـد لمشروعـه أن ينجـح. والإمـام الحسـين عليه السلام اختـار أصحابـه بشـكلٍ دقيـقٍ، واختـار الوقـت والأرض بشـكلٍ دقيـقٍ اسـتكمالًا لمشروعـه، وقـد توهّـم مـن توهّـم في عـصره وبعـد عـصره وإلى

اليوم، فهناك حفنةٌ من الأفكار الضئيلة المتوهمة، التي لا تعي ماذا أراد الإمام الحسين عليه السلام على نحو الدّقّة والتّحديد، وماذا قال.

المعلومة التاريخية تنفعنا كثيرًا في فهم الإمام الحسين عليه السلام، وإن كان بعض الفهم لوصايا النبي صلى الله عليه وآله، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام، وكلام الإمام الحسن عليه السلام، ومن ثمَّ أولاد الإمام الحسين عليه السلام يستدعي الانتباه والتفكُّر حينما تعاملوا مع قضية الإمام الحسين عليه السلام.

فكلّ هذه عواملٌ تجعلنا مبهورين ومشدودين إلى الإمام الحسين عليه السلام، ولا أعتقد في هذه اللحظة، أنَّ هناك شخصًا أقوى من الإمام الحسين عليه السلام، وقوّته تكمن في كيفية قدرته على جعل القلوب أن تتجمَّع، وتتوحّد، وتتوجَّه إليه، ومع ذلك فهي تشعر بالعجز والتّقصير، والعالم كُلُّه يترقّب، وينتظر معايشة أجواء الإمام الحسين عليه السلام؛ فهذا القلب، وهذا العقل استطاع أن يخرج من هذه المساحة الجغرافية، ويصل إلى أبعد نقطةٍ في الكرة الأرضية؛ بل وصل إلى عنان السّماء، وهكذا شخصٌ كيف لنا أن ندركَ مستواه بشكلٍ واقعيٍّ؟ وكيف نستطيع أن ندخلَ عليه ونحن نحيي هذه الذّكرى.

بركات الإمام الحسين عليه السلام علينا لا تُعدّ ولا تُحصى، ومما لا شكّ فيه أنَّ هذه المدينة تحيا بأنفاسه المباركة، وهناك من يلوي لسانه بلهو الحديث صانعًا ليزيدَ أمجادًا من زخرف الحديث ولا يضلُّ به إلَّا نفسه وحفنةً من الضُّلال. أنا أقول لكم جميعًا مع مشروع الإمام الحسين عليه السلام تتجلَّى الرّسالة الإلهية، فهو عندما اختار مشروعه اختارَ له أصحاباً بدقّة، وقد حاول أن يكسب أكبر عددٍ من الأنصار،

وبعضهم توقَّف لذلك كزهير[١] رضي الله عنه، وبعضهم سُلبَ منه التّوفيق مثل عبيد الله بن الحرِّ الجعفي[٢]، على أنَّه من غير المعلوم أنَّ عبيد الله بن الحرِّ الجُعفي قاتَل الإمام الحسين عليه السلام أم لم يُقاتله بل ندم، لكن المؤكَّد أنَّه سُلبَ منه التّوفيق بشكلٍ واضحٍ، وهناك طائفة قاتلت الإمام الحسين عليه السلام، وهناك طائفة ثالثة دخلت لمشروع الحسين عليه السلام برحابة صدر فخلّدت خلودًا شامخًا اقترن بخلود الإمام الحسين عليه السلام، حتَّى وصل الأمر بهم أن يجمعهم الإمام الصّادق عليه السلام مع الحسين عليه السلام بزيارة واحدة، لا يفرق بينهم وبينه عليه السلام عندما كان يُعلِّم أصحابه الزيارة.

الدُّخولُ في مشروعِ الإمامِ الحسين عليه السلام

وهنا نقول هل نستطيع الدّخول في مشروعِ الإمام الحسين عليه السلام؟

هل نستطيع الاستجابة لدعوة الإمام الحسين عليه السلام؟ أنا أعتقد أنَّ هذا ممكنٌ، ونستطيع الوصول إليه بمزيدٍ من التأمُّل في قضية الإمام الحسين عليه السلام، ومزيدٍ من

---

١ – عن رجلٍ من بني فزارة، قال: ((كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكّةَ نساير الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسايره في منزل، فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدَّم زهير، حتَّى نزلنا في منزلٍ لم نجد بُدًّا من أن ننازله فيه، فنزل الحسين عليه السلام في جانب، ونزلنا في جانب، فبينا نحن جلوسٍ نتغدَّى من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين حتَّى سلَّم ثمَّ دخل، فقال: يا زهير بن القين، إنَّ أبا عبد الله الحسين بن علي بعثني إليك لتأتيه. فطرح كلٌّ إنسان ما في يده حتَّى كأنَّ على رؤوسنا الطير!))، قالت دلهم بنت عمرو امرأة زهير بن القين: فقلت له: ((أيبعث إليك ابن رسول الله ثمَّ لا تأتيه! سبحان الله! لو أتيته فسمعت كلامه، ثم انصرفت. فأتاه زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشرًا قد أسفر وجهه)). وقعة الطفّ، أبو مخنف الكوفي، لوط بن يحيى(ت: ١٥٨هـ)، جماعة المدرسين، إيران؛ قم١٤١٧هـ، الثالثة: ١٦١-١٦٢.

٢ – عندما نزل الحسين عليه السلام قصر بني مقاتل، فإذا هو بفسطاط مضروب [ف] قال: ((لمن هذا الفسطاط؟ فقيل: لعبيد الله بن الحرّ الجعفي قال: ادعوه لي، وبعث إليه [رسولا]، فلمّا أتاه الرسول قال [له]: هذا الحسين بن علي يدعوك. قال عبيد الله بن الحرّ: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! والله ما خرجت من الكوفة إلّا كراهة أن يدخلها الحسين وأنا بها، والله ما أريد أن أراه ولا يراني!. فأتاه الرسول فأخبره، فأخذ الحسين عليه السلام نعليه فانتعل ثمَّ قام فجاءه حتَّى دخل عليه فسلّم وجلس ثمَّ دعاه الى الخروج معه، فأعاد ابن الحرِّ تلك المقالة! فقال عليه السلام: فإن لا تنصرنا فاتَّق الله أن تكون ممَّن يقاتلنا، فو الله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلّا هلك! ثمَّ قام من عنده، قال عاقبة بن سمعان: لمّا كان في آخر الليل أمر الحسين عليه السلام بالاستقاء من الماء، ثم أمرنا بالرحيل ففعلنا، فلمّا ارتحلنا من قصر بني مقاتل، وسرنا ساعة خفق الحسين عليه السلام برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: ﴿**إنّا لله وإنّا إليه راجعون**﴾، والحمد لله ربّ العالمين؛ ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثًا)). وقعة الطفّ، أبو مخنف الكوفي، لوط بن يحيى(ت: ١٥٨هـ)، جماعة المدرسين، إيران؛ قم١٤١٧هـ، الثالثة: ١٧٦.

التفاعل في قضية الإمام الحسين عليه السلام، وبمزيدٍ من فهم الإمام الحسين عليه السلام.

كان الإمام الحسين عليه السلام رجلًا دقيقًا ومنظمًا، يحسب الأمر بدقّةٍ، ويتمتَّع مع الله تعالى بعلاقةٍ فريدةٍ من نوعها، ونستطيع أن نتنبَّأ ببعض جوانبها بواسطة دعاء عرفة، وكذلك دعاء يوم العاشر من محرّم، أمَّا علاقته مع جدِّه وأبيه وأمِّه وأخيه عليهم السلام فهي علاقة تلُفُّها سيرته الزّكيّة العطرة، وعلاقته مع أصحابه كان لا يرضى أن يتقدَّموا خوفاً عليهم حتَّى في لحظاتِ الاحتياج إليهم من جهة المشروع؛ بل عرض عليهم أن يبقوا طلقاء وهم في حلٍّ من بيعته؛ لأنَّ القوم إذا ظفروا به قد ينشغلون عن سواه، هذه شخصية الإمام الحسين عليه السلام بكلِّ أبعادها، وأعتقد أنَّ أفضل وسيلةٍ لمعرفةِ الإمام الحسين عليه السلام، هي الزيارات التي ذُكرت له عليه السلام.

أمَّا إذا انتقلنا إلى الطّرف الذي تنكّب واجتهد واجتمع في قتال سيّد الشهداء عليه السلام، وسأنطلق من مقولةٍ تكون محوراً أو مدخلاً للحديث، والحديث الشريف يقول: ((**اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَه**))[1] وأرجو أن تُحفظ هذه المقولة عندكم وأنتم تعرفونها لاشكّ فهي مشهورة، لكن الإنسان في بعض الحالات قد يغفل عنها، وإذا غفل عنها تورده المهالك.

أمّا إذا كنت لا تعرف الحقّ سيشتبه عليك الأمر، وستعرف الحقّ بالرجال وستكون هذه كارثة كبيرة عندنا؛ فالحقُّ لا يُعرف بالرجال بل الرجالُ يُعرفون بالحقّ. أنتقل الآن إلى الجانب السلبيّ للملاحظة فالمشهد العاشورائيّ مشهدٌ مكرّر، وهذا يعني الآن يوجد من يُمثّل خطّ الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك يوجد من يمثّل الخطّ الآخر، والأوّل له مميّزات -كما ذكرنا- بعضها من وضوح الحقّ لديه ومعرفته، والشجاعة والوفاء، والثاني أيضاً له بعض المميّزات التي لا تخفى، ومن مميّزات هذا الخطّ هو عدم سماع النّصيحة أصلاً، وأقصد بالنَّصيحة التي

١ - روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، فتال النيشابوري(ت: ٥٠٨ هـ)، منشورات الرضي، إيران؛ قم ١٤١٧هـ، الأولى: ١/ ٣١.

تأتي من ناصحٍ أمين مُشفق، ويريد الخير، وفي بعض الأوقات تصل بالإنسان أن لا يسمع النَّصيحة أصلاً، قبل أربعة عشر قرناً وقبل عشرة قرون وقبل خمسة قرون والآن تصل به الحالة إلى أن لا يسمع النَّصيحة أصلاً ويصمّ أذنه، وفي واقعة الطّفّ نجد الإمام الحسين عليه السلام قد عرّف بنفسه حتَّى لا يكون فيهم أحدٌ جاهل لا يعرف، وعرّف بنفسه بصوتٍ عالٍ (من أنا؟) وذكر عليه السلام من هو، ثمّ قال لهم: عندكم رجال يمكن أن يدلّوكم عليّ، أبو سعيد الخدريّ وسهل بن سعد هؤلاء تعرفونهم، ولا يوجد في هذه المعمورة ابن بنت نبيٍّ غيري، أنا ابن علي أنا ابن فاطمة وجدّي رسول الله!! أنا أريد أن أستفهم منكم لماذا تقتلونني؟!.

لاحظوا أنَّ بعض الأسئلة في التأريخ ليس لها جواب، جوابها الجهل والعناد!! وهذا يعني أنَّ المنطق هنا لا يعمل وإنَّما الجهل، لماذا تريدون أن تقتلوني؟! هناك مجموعة أشياء تستدعي القتل، قال لهم: هل قتلتُ أحداً منكم فتطلبوني بقتيلٍ أنا قتلتُه؟! بسنّةٍ للنبيّ أنا غيّرتها؟! ماذا تريدون؟!، هذا سؤالٌ مهمّ يُفترض أنّ هؤلاء لو كان فيهم رجلٌ رشيد أن يسأل نفسه ويقول: نعم.. نحن جيّشنا الجيوش وجئنا لأن نقتل، لكن نقتلُ مَن؟! لاحظوا الأسئلة، الأسئلة هي ذاتها أجوبة، البعضُ يقول له: بغضاً بأبيك، نحن ليست عندنا مشكلة معك لكن بُغضاً بأبيك، وكأنّ أباه وهو أميرُ المؤمنين كان إنساناً يُمكن أن يكون أذّى هؤلاء أو لم يكن على طريق هداية، وهذا المعتقد زرَعَه أئمّةُ الشام في نفوس هؤلاء، من هو أبوه؟ وكانت سُنّة هؤلاء أنّه كان يُلعن في خطبهم وحاشاه، هذا الكلام الذي جاء من الشام، أمّا الذي كان في العراق نعم.. لأنّ أمير المؤمنين لا يُجامل ولا يُداهن، والبعضُ هرب من الحقّ عندما يقول: بغضاً بأبيك يعني بغضاً للحقّ، هو لم يعرف عن عليّ سُبّة وحاشاه، بل بغضاً للحقّ، نحن لسنا أصحاب حقّ لكن الإنسان يصعب عليه أن يقول هكذا وإنّما يقول: بغضاً بأبيك؛ يعني بغضاً

بالحقّ، هذا هو الجواب وهو ليس جوابًا عقلائيًّا، الآخر ماذا يُجيب؟ يقول: انزل على حكم الأمير فنحن نُقاتلك لأنّك لا تنزل على حكم الأمير، أيُّ أمير؟!! عنده نسب، عِلْم، فِهْم، تقوى؟ أيّ أمير؟!! لكن مع ذلك كان هذا الجواب، الآخر يقول: لا ندري ما تقول نحن لا نعرف ماذا تقول، هذا حالُ الذين لم يسمعوا النَّصيحة.

إخواني لا تحسبوا أنَّ هذه المسألة قديمة بل تجري دائماً، الآن هناك أناسٌ لا يسمعون النَّصيحة ولا يكترثون، وتصمّ آذانهم ولا يلتفتون، خصوصاً هذا الذي يتربّى وينشأ على اعوجاجٍ في العقل والذّهن والفهم، لا يسمع نصيحة، والنتيجة قاتلوا ودخلوا الى الميدان، ولاحظوا قبيل أن يستشهد الحسين عليه السلام هناك شعارٌ رُفع وهو: أحرقوا بيوت الظالمين، هذا مستوى ضحل من الفهم، هذا منحى وهنالك منحى آخر، هو يعرف الإمام الحسين عليه السلام ويعرف من هو ولكن الدّنيا غرّته فباع حظّه حظّ الآخرة بحظّ الدنيا، ضعيف لأنّه أُمِّل بإمارة الريّ!! وما أدراك ما تصنعُ الإمارات وما تفعل!! وهذه السلطنة تجعل الإنسان يتنكّر لأبسط مبادئه، هو يعرف الحسين عليه السلام وليس بعيداً عن هذا البيت لكنّه أُمِل بإمارة الريّ، فيقول: أنا أريد أن أصير والياً وأميراً. ما هو الثّمن لهذا؟ اقتلوا الحسين. نعم.. موافق على أن أقتل الحسين مقابل هذا!! والإمام الحسين قال: هيهات إنّك لا تشبع من بُرّ العراق -أي الحنطة-. ما هو جوابه؟ قال: في الشعير كفاية -استهزاءً-، والإمام الحسين يتكلّم ويريد أن يُنقذ هؤلاء المساكين من الضلالة لكنّهم لا يفهمونه ولا يقبلونه، هم لا يريدون لأنّه لا يمكن أن يُجاهد هذه النّفس التي فقدت إرادتها وبدأت تنقاد، ماذا يقول لها؟! هم يعرفون أنّهم على باطل قاطبةً.

أمثال هؤلاء يأتي آخر إلى العبّاس عليه السلام وهو يعرف، يقول: أين بنو أختنا؟ إذن هو قريبٌ من العائلة ويعرف أنّ هذه صلة الرّحم، يريد أن يؤمِن العبّاس عليه السلام يقول

له: اخرج من المعركة واترك أخاك ولك الأمان علينا أن لا تُقتل، لاحظوا الطّريقة التي اتّبعها هؤلاء، هم يعرفون العبّاس وكيان العباس وإيمانه وقدرته وكيف يتعامل معه الحسين عليه السلام لكن بدلاً من أن يخضعوا لأبي الفضل خضعوا إلى شياطينهم، هو يعلم أنّه ضالّ لكنّه يريد أن يُضلّ الآخرين وهيهات هيهات، هذه صفةٌ من الصّفات وهناك صفةٌ أخرى هي الجُبن، وقد ذكر أرباب المقاتل: إذا هجم عليهم الحسين فرّوا كالجراد المنتشر، لأنّهم يعلمون أنّ طلبهم طلب دنيا، والذي يطلب الدّنيا يكون أشدّ شيءٍ عليه هو الموت، واقعاً هذه التفاتة مهمّة من واقعة عاشوراء، وهؤلاء طلبوا الدّنيا والحديث الشّريف يقول: ((**حبّ الدنيا رأسُ كلّ خطيئة**))[1] وما أبشع هذه الخطيئة عندما يقف أمام سيّد الشهداء ويقتل سيّد الشهداء، ما الذي جال في عقل هؤلاء عندما كانوا يُمسكون السيف ويضربون الحسين عليه السلام؟ ما الذي كان في ذهنهم؟ ما الذي كان في ذهن ذاك الذي رمى سهماً حتى يقتل طفلاً رضيعًا؟ الدّنيا بالتأكيد، وبالنتيجة الذي عرف الحقّ لا يجرؤ أن يكون مع الباطل.

أنتجت واقعة الطّفّ تمييزًا كبيرًا، وهذا التّمييز الكبير هو ليس وليد واقعة وانتهى؛ وإنّما هذا المعسكر بهذه الطّريقة موجود، الجُبن وحبّ الدّنيا وحبّ المكاسب الشّخصيّة وعدم سماع النّصيحة، وإنّما تأخذه العزّة بالإثم إلى أن ينحطّ ويسقط في الحضيض، وهؤلاء ذهبوا بلعنات الدّنيا والآخرة، واقرأوا زيارات الإمام الحسين عليه السلام تجدونها مملوءةً باللعن لهؤلاء، وهذا اللّعن مفهوم قرآنيّ إلّا أنَّ بعض من لا عقل ولا فهم ولا حريجة له ولا يريد أن يعرف المشهد العاشورائيّ، يقول: كلمات اللعن في الزيارة موضوعة.

لاحظوا أنَّ هذا لا يفهم المشهد العاشورائيّ فهو راكس[2]، كما تقول زينب عليها السلام:

---

١ – مصباح الشريعة، منسوب إلى جعفر بن محمد (ت: ٤٤٨هـ) الأعلمي، بيروت ١٤٠٠هـ، الأولى: ١٣٨.

٢ – والرَّكْسُ: قلبُ الشيء على رأسه أو ردُّ أوله على آخره؛ رَكَسَه يَرْكُسُه رَكْساً، فهو مَرْكوس ورَكِيسٌ، وأَرْكَسَه فارْتَكَس فيها. لسان العرب: ٦/ ١٠٠.

((**بِفِيكَ أَيُّهَا الْقَائِلُ الْكَثْكَثُ**[١] **وَلَكَ الْأَثْلَب**))[٢]، من أنت حتّى تتعامل مع هذا الوجود بهذه الطّريقة الضّحلة؟، اقرأ المشهد العاشورائيّ. فأنت قد تكون مُحبًّا للدنيا لكنّك تُغلّف ذلك، وأنت لا تسمع النّصيحة لكنّك تُغلّف ذلك، وأنت تتمتّع بخصلة الجُبن لكنّك تُغلّف ذلك. إنَّ هذا المشهد العاشورائيّ مميّز ولا يحتاج إلى وضوحٍ أكثر، وهذه حجّةٌ علينا إخواني جميعاً، وبالأمس القريب هبّ مَنْ هبّ لوجود فتوى ضدّ الدّواعش، وقد كان منهجهم واضحًا لكن تخلّف عنهم من تخلّف، وهذا المشهد العاشورائيّ يتكرر يوميّاً وليس في القتال وحسب، بل هو مواقف، ولعلّ في بعض الحالات تكون أصعب على الإنسان من أن يُقاتل، وهذه المواقف عندما تستعرض قضيّة الحسين ﷺ تجد هذه الكفّة كلّ شيء فعله الإمام الحسين مع هؤلاء لكنّهم لم يتّعظوا ولم يقبلوا ما هي النّتيجة؟ لا سلطانهم بقى، ولا إمرتهم حصلت، ولا حياتهم خَلُدت، كلّ شيءٍ انتهى منهم بلعنات التاريخ، وفي المقابل شمسٌ لا يُمكن أن تُحجب، جيّشوا الأشياء ضدّ الإمام الحسين ﷺ وقالوا عنه: خارجي وأنّه طالب دنيا خرج على خليفته، لكن كلّها انتهت إلى وبال، وأصبح الطّفل الرّضيع الآن يفتح عينيه على الإمام الحسين ﷺ، وطبعاً إخواني مع كلّ ما يُجيّش ضدّ سيّد الشهداء لا شكّ ولا ريب سينتهي إلى فشل، ولعلّ من الأشياء التي يوفّق لها المؤمنون هو إحياء هذه المراسيم والشّعائر ليس تذكيراً بسيّد الشهداء فقط، وإنّما إحياءً لنفوسنا التي مرضت والتي شربت من الدّنيا، والتي تكاسلت، خوفاً على نفوسنا من أن تميل إلى دنياً دنيَّة، وإحياء الشعائر تذكيرٌ وجَلو للنفس، فعلينا دائماً إخواني أن نستفيد من بركات هذه الشَّعائر والمجالس الحسينيّة، وتمييزُ الفريقين دائماً لا بُدّ من التأكيد عليه، ومن يُمثّل الحق ومن يُمثّل الباطل.

١ – والكِثْكِثُ، مثلُ الأَثْلَبِ والإِثْلِبِ: دُقاقُ التراب، وفُتاتُ الحجارة؛ وقيل: التُّرابُ مع الحجر؛ وقيل: التُّراب عامَّة. والكَثْكَثُ: الحجارة، م. ن: ٢/ ١٧٩.

٢ – الاحتجاج على أهل اللجاج، الطبرسي، أحمد بن علي(ت: ٥٨٨هـ)، نشر المرتضى، مشهد١٤٠٣هـ، الأولى، ٢/ ٣٠٣.

الشّخصيّة الاستثنائية

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام شخصيّة ليس من السّهل الدخول إليها بشكلٍ يعطينا تعريفًا وتحديدًا وتشخيصًا كاملًا لها، فالأئمّة عليهم السلام تعاملوا معها تعاملًا خاصًا، والنبي الأعظم صلى الله عليه وآله قبلهم تعامل مع الإمام الحسين عليه السلام تعاملًا خاصًّا، وشيعة أهل البيت يتعاملون مع الإمام الحسين عليه السلام أيضًا تعاملًا خاصًا، فلا بُدَّ من وجود سرّ، ولا بُدَّ من وجود عظمة عند الإمام الحسين عليه السلام برزت هذه العظمة ووجدت بشكل لائح لكلّ أحد في يوم الطّف، والآن بيننا وبين الإمام الحسين عليه السلام ما يقرب من ألف وأربعمائة سنة؛ ولا زلنا نستشعر أنَّ سيّد الشّهداء الإمام الحسين عليه السلام شخص قويّ جدًّا استطاع أن يجذب قلوب العالم إلى هذه الأرض الطّيّبة؛ أرض كربلاء، واستطاع أن يَنْفُذَ إلى قلوب جميع الإنسانية بما هي إنسانية مع غضّ النّظر عن انتماءاتهم بشرط أن تبقى في حالة الإنسانية، وتكبره هذه الإنسانية، وتحييه على مواقفه عليه السلام.

ذكرنا في شرح بعض كلمات زيارات الإمام الحسين عليه السلام أنَّ الإمام الباقر عليه السلام عندما يسلّط الضوء عليه، وعندما يسلّط الإمام الصادق عليه السلام الضوء عليه؛ فإنّه يكشف كوّة من الضّوء للزائرين؛ أما حقيقة ما جرى في واقعة الطَّف، وحقيقة سيّد الشّهداء عليه السلام فليس من السهولة أن يحيط بها أحد، وعلى الأقل أنا أتحدّث عن نفسي؛ لا تواضعًا؛ وإنّما حقيقة أنا شخصيًّا إلى الآن -كما ذكرت للإخوة في العام الماضي ولم يتغير عندي شيء إلى هذه السنة- إنَّني أعجز عن زيارة الإمام الحسين عليه السلام زيارة تبصرني فيه أكثر فأكثر؛ وعندما أقف على بعض فقرات الأئمة سلام الله عليهم، وعندما آتي إلى حالة أنَّ الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء كان يرمي دمه الطّاهر إلى السماء ولم تسقط منه قطرة، أنا شخصيًّا لا أفهم هذا المعنى، وعندما آتي إلى بعض زيارات الإمام ويقول عليه السلام: ((**أَشْهَدُ أَنَّ دَمَكَ سَكَنَ فِي الْخُلْدِ وَاقْشَعَرَّتْ لَهُ أَظِلَّةُ الْعَرْشِ**))[1]، لا أعرف هذا المعنى حقّ معرفته.

١ - كامل الزيارات: ١٩٩.

أدعو من الله تعالى أن لا يخرجني من الدّنيا إلَّا وأنا أفهم شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام حقَّ معرفته، إنَّها الشخصية التي استطاعت تغيير مجرى التاريخ في هذه الأرض، فكربلاء لا تُحد بمساحة جغرافية بالكيلو مترات، وكربلاء اليوم تتناغم بين جميع أهل الأرض وبين جميع أهل السماء، فالشخصية العظيمة لسيّد الشّهداء عليه السلام تجذّرت في الأرض، وأثمرت تلك الشّجرة المباركة، وأصبحت أغصانها خارجة عن حدود نظري، وهذا ليس من فراغٍ، وتعالوا إلى الإمام الحسين عليه السلام فهل وجدتموه متبرِّمًا؟ هل وجدتموه عاجزًا أو معترضًا؟ بل كلّه فناء في الله تعالى، وليس هو فقط بل هذا الشّعاع أثّر على كلِّ المحيط بسيّد الشهداء عليه السلام؛ ابتداءً من إخوته، وصحبه، وعائلته، وكلّ من عرف الإمام الحسين عليه السلام يفهم مَن الحسين عليه السلام ويعرف حقيقة الإمام الحسين عليه السلام، وما أثّره فينا.

مشروعُ البذلِ والعطاءِ

أنا بكلّ تواضعٍ أشكر جميع خَدَمة الإمام الحسين عليه السلام، وأقبِّل أياديهم بما بذلوا، ويبذلون من إصرار على بقاء هذه الشَّعائر المباركة المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام، وأنا أعتقد أن هناك جذبًا للإخوة القائمين على الشّعائر؛ وخاصّة عندما يدخل شهر محرّم فنراهم ينشدّون قهرًا إلى الإمام الحسين عليه السلام وهذا غير منحصر بكربلاء فقط، وإنّما في عموم العالم؛ فالنَّاس تبذل وتعطي وتندفع وتبذل الأرواح وهي عزيزة من أجل الإمام الحسين عليه السلام، ولا يزال شيعة أهل البيت عليهم السلام يعدّون الإمام الحسين عليه السلام رمزًا، وهو فعلًا رمزٌ لا يصلون إلى مداه، وهذا السر في شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام لا شكّ يستوقفنا دائماً وأبدًا .

كان الإمام الحسين عليه السلام صاحب مشروع، وقد استطاع أن ينجح في هذا المشروع ما لم ينجح فيه أحد آخر، وكلُّ منَّا عندما يتصوّر أو يُريد أن يبني شيئًا لا بُدّ أن يستعد له، واستعداده يتناسب مع عظم المشروع، والإمام الحسين عليه السلام

كان صاحب مشروع إصلاحي نادر التّحقق، قال عليه السلام: ((**وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي**))[1]، فهذا هو التّعليل لمشروعه؛ ولكن قبل تحقيق هذا الهدف؛ استعدّ له وهيّأ كلّ ما من شأنه نجاح المشروع؛ فلم يكن هناك أمام أبي عبدالله الحسين عليه السلام إلّا خيار النَّجاح.

لقد كان الإمام الحسين عليه السلام منقادًا للإمام الحسن المجتبى عليه السلام إلى أن استقل عليه السلام بالإمامة فأعدّ لها إعدادًا كبيرًا، وأشرك فيه السّيّدة زينب عليها السلام، والإمام السّجاد عليه السلام والطّريق المرسوم كان معدًّا للإمام الحسين عليه السلام إعدادًا لا يمكن أن يناله شك في نجاح مشروعه ولو بنسبة واحد من المئة.

فلا تتوقّع أنَّ السّيّدة زينب عليها السلام عندما وقفت أمام يزيد -لعنه الله- وتحدّته بكلمات ارتجلتها ارتجالًا، وخرجت الكلمات عفوية من عندها؛ حاشا مولاتنا زينب عليها السلام أن تتكلّم بكلام فيه تحدٍّ لسلطان يزيد، وتقسم عليه فو الله أن الأمر خارج عن حدود يزيد، ويزيد رجل إذا أريد تعريفه فهو شبيه بما كان يلعب به من القرود والخمور، رجل وضيع، لكن هذه حالة الغرور والسّلطة: ((**فَكِدْ كَيْدَكَ وَاسْعَ سَعْيَكَ وَنَاصِبْ جُهْدَكَ**))[2]، مهما بلغتَ فأنت إلى زوال، والله تعالى هيّأ لهذا المرقد والقبر الشّريف أناسًا ينصبون علمًا ووضوحًا حتى يأتيه شيعته من كلّ حدب وصوب ورغم أنوف الظّالمين؛ فهنا المسألة ليست مسألة قتل للإمام الحسين عليه السلام وانتهى الأمر، فالحسين عليه السلام صاحب مشروع نجح فيه نجاحًا باهرًا؛ ولذلك كان يحب عليه السلام أن يشاركه في مشروعه غيره؛ فيروى أنه عليه السلام جاء إلى زهير

١ - مثير الأحزان، ابن نما الحلي، جعفر بن محمد(ت: ٨٤١هـ)، مدرسة الإمام المهدي عجّل الله تعالى فرجة الشريف، إيران؛ قم، الثالثة: ٤.

٢ - بلاغات النساء، ابن أبي طاهر، أحمد بن أبي طاهر(ت: ٢٨٠هـ)، الشريف الرضي، قم، الأولى: ٣٦.

ابن القين[1] طلبًا للنصرة، وزهير إنّما خرج خوفًا من أن يحل الإمام الحسين عليه السلام بالكوفة، ويطلب النّصرة، لكن الإمام الحسين عليه السلام أرسل إليه، وتكلّم معه بكلمات؛ فرجع ووجّهه متهلّلًا، وكان زهير في الواقع بطلًا من أبطال كربلاء؛ ليخلّد بعد ذلك، ويكون اسمه مع من تتخلّد أسماؤهم مع اسمه الشَّريف، وكذلك بعث الإمام عليه السلام إلى عبيد الله بن الحر الجعفي، وهو رجل أيضًا معروف؛ زهد بنفسه عن الإمام الحسين عليه السلام.

حبُّ الخيرِ للآخرين

ولذلك نرى الإمام الصادق أو الإمام الباقر عليهما السلام عندما يقول على سبيل المثال زر الحسين عليه السلام؛ فالزَّائر لا يأتي فقط لقبر الإمام عليه السلام؛ بل يأتي ويزور الإمام الحسين عليه السلام، ويزور سيّدنا علي الأكبر عليه السلام ثم يذهب إلى الشهداء عليهم السلام، فنلاحظ الاقتران الموجود بين الإمام عليه السلام وبين أنصاره لا ينفكّ أبدًا؛ فقد قرنت هذه الأسماء مع اسم الإمام الحسين عليه السلام؛ ونحن قد لا نعرف أسماء قبائلهم، أو مميزات شخصيّتهم، وكذلك منزلتهم الاجتماعية ما هي؟ لكنّا نعرف عنها شيئاً أغنى عن كلّ ذلك؛ لقد عرفناهم بالإمام الحسين عليه السلام؛ حينما قال: ((**أَمّا بَعْدُ، فَإنّي لا أعْلَمُ أصْحاباً أوْفَى وَلا خَيْراً مِنْ أصْحابي، وَلا أهْلَ بَيْتٍ أبَرَّ ولا أوْصَلَ مِنْ**

---

١ – هو زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي، من كبار شيوخ قبيلة بجيلة في الكوفة، فقال: ((يا أهل الكوفة! نذار لكم من عذاب الله نذار! إنّ حقا على المسلم نصيحة أخيه المسلم، ونحن حتى الآن إخوة وعلى دين واحد وملة واحدة ما لم يقع بيننا وبينكم السيف، وأنتم للنصيحة منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمة وكنّا أمّة وأنتم أمّة، إن الله قد ابتلانا وإياكم بذرية نبيه محمّد(صلى الله عليه وآله) وسلّم لينظر ما نحن وأنتم عاملون، إنّا ندعوكم إلى نصرهم وخذلان الطاغية عبيد الله بن زياد، فإنكم لا تدركون منهما إلا بسوء عمر سلطانهما كلّه، ليسملان أعينكم، ويقطّعان أيديكم وأرجلكم، ويمثّلان بكم، ويرفعانكم على جذوع النخل، ويقتلان أماثلكم وقرّاءكم: أمثال حجر بن عديّ وأصحابه، وهانئ بن عروة وأشباهه، فسبّوه وأثنوا على عبيد الله بن زياد ودعوا له وقالوا: والله لا نبرح حتى نقتل صاحبك ومن معه، أو نبعث به وبأصحابه إلى الأمير عبيد الله سلمًا! فقال لهم: عباد الله، إنّ ولد فاطمة رضوان الله عليها أحق بالودّ والنصر...)). ينظر: وقعة الطفّ، أبو مخنف الكوفي، لوط بن يحيى(١٥٨ هـ)، جماعة المدرسين، قم، الثالثة: ٢١٠.

أَهْـلِ بَيْتِـي، فَجَزاكُـمْ اللهُ عَنِّـي خَـيْراً...))[1] لقـد أراد عليه السلام لهـم الخلـود، وبـينّ أنهّـم وصلـوا إلى الهـدف الـذي كان ينشـده حينـما **((دَعَـا بِقِرْطَـاسٍ وَكَتَـبَ بِسْـمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيـمِ مِـنَ الْحُسَـيْنِ بْـنِ عَـلِيٍّ إِلَى بَنِـي هَاشِـمٍ أَمَّـا بَعْـدُ فَإِنَّـهُ مَـنْ ألحق [لَحِـقَ] بِي مِنْكُـمْ اسْتُشْـهِدَ مَعِـي وَمَـنْ تَخَلَّـفَ لَمْ يَبْلُـغِ الْفَتْـحَ وَالسَّـلَام))**[2]، فلـم يتأخّـر أحـدٌ منهـم، ومـن لحـق استشـهد، وفعـلًا استشـهدوا، وبلغـوا الفتـح الـذي يمثّـل عـين الاستشـهاد الـذي أراده الإمـام الحسـين عليه السلام، وفعـلًا تحقّـق الفتـح الـذي كان يهـدف إليـه الإمـام الحسـين عليه السلام، وهـا هـو الإمـام عليه السلام يملأ قلـوب العـالم؛ ومـا مـن شـخص أو قلـب يذكـر الإمـام الحسـين عليه السلام حتّـى لـو كان بينـه وبـين الإمـام الحسـين عليه السلام مئـات الكيلـو مـترات مـن المسـافة؛ فإنّـه ينشـد إليـه، وسـيبقى هـذا المشـعل يجذبنـا، ونحـن نبقـى نُـردّد: يـا حسـين، يـا حسـين إلى أن يشـاء الله تعـالى.

إحياءُ أمرِ أهلِ البيت عليهم السلام

في أيّـام عاشـوراء لا بُـدَّ أن نُحيـي جميـع المظاهـر المتعلّقـة بسـيّد الشـهداء عليه السلام، ولا بُـدّ أن نُهيّـئ أنفسـنا مظهرًا، وباطنًا إلى أن نكـون في ركـب أبي عبدالله الحسـين عليه السلام، وبلا شـكّ توجد حالـة جديـدة عندنـا؛ ألا وهـي؛ عندمـا يدخـل محرَّم سـنقبل على لبـس السّـواد في المجالس الحسـينية، والإقبـال عـلى سـماع الموعظـة ضمـن برامـج منتظمـة؛ ومـا هـذا إلَّا دليـل كوننـا نحـب أن نكـون حسـينيين؛ وهذا عندما ننسـب أنفسـنا إلى الإمام الحسـين عليه السلام؛ فالانتسـاب للإمـام الحسـين عليه السلام شرف عظيـم؛ لكنـه يحتـاج إلى الإكـمال؛ ونحـن عندمـا ننسـب أنفسـنا للحسـين عليه السلام؛ فـشرط ذلـك تصديـق الإمـام الحسـين عليه السلام، وقبولـه هـذا الانتـماء؛ ولـو ادّعـى شـخص أنّـه مـن بنـي تميـم؛ عـلى سـبيل المثـال، فكيـف نسـتدل عـلى أنّـه مـن بنـي تميـم؛ هل

---

١ – الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩١.

٢ – بصائر الدرجات، الصفار، محمد بن حسن(ت: ٢٩٠هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران؛ قم، الثانية: ١/ ٤٨٢.

نكتفي بدعواه، أم نسأل، ونبحث، ونستقرأ عن هذا الشخص؟ ويمكن أحياناً نأتي إلى كبير آل تميم ونسأله؛ فإذا قال نعم هذا منّي نصدّق المسألة بين الدَّاعي، والجهة التي يدعو نفسه لها، وكذلك نحن جميعنا شرفنا ووجودنا من الإمام الحسين عليه السلام، فكل ما نملك، وكل ما نفخر به من الإمام الحسين عليه السلام، ومرارًا وتكرارًا ندعو ونطلب أن ننسب وأن ننال شرف الإضافة إلى الإمام الحسين عليه السلام، ونطلب من سيّد الشّهداء عليه السلام أن يجعلنا حسينيين؛ لكن هذا وحده لا يحقّق لنا هذا الوصف، إلَّا إذا صدّق الإمام الحسين عليه السلام على ذلك، وتكمن نجاتنا عندما لا يتخلّى عنّا الإمام الحسين عليه السلام، ولا شكّ أنَّ هذا يحتاج أن نتّخذ من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام قدوة في الاتباع والطّاعة؛ إذ لا نستطيع أن نكون كالحسين أو علي الأكبر أو القاسم، ولا نستطيع أن نكون من هذه العائلة، ولكن لنا القدرة على أن لا نكون في صفّ أعداء الإمام الحسين عليه السلام.

طريقُ التَّضحيَةِ

لا بُدَّ أن نعلم علم اليقين أنَّنا عندما نحيي هذه المراسم لنا ثقة بأنّ سيّد الشهداء عليه السلام له القابلية على حمايتنا؛ وهناك أكثر من خمسمائة رواية تُبيّن لنا هذه الحقيقة؛ فتعالوا ننظر إلى بعض الواقع لو كشف لنا الله تعالى ذلك؛ عن الإمام الصادق عليه السلام: ((**وكَّلَ الله بِقَبْرِ الحُسَيْنِ عليه السلام أَرْبَعَةَ آلَافِ مَلَكٍ شُعْثٍ غُبْرٍ يَبْكُونَه إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ زَارَه عَارِفاً بِحَقِّه شَيَّعُوه حَتَّى يُبْلِغُوه مَأْمَنَه، وإِنْ مَرِضَ عَادُوه غُدْوَةً وعَشِيَّةً، وإِنْ مَاتَ شَهِدُوا جَنَازَتَه واسْتَغْفَرُوا لَه إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**))[1]، وهناك روايات عديدة توضّح أنَّ زمر الملائكة صاعدة وأخرى نازلة يبكون الحسين عليه السلام؛ عن الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي. قال: ((**خَرَجْتُ فِي آخِرِ زَمَانِ بَنِي مَرْوَانَ إِلَى زِيَارَةِ قَبْرِ الحُسَيْنِ عليه السلام مُسْتَخْفِياً مِنْ أَهْلِ الشَّامِ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى كَرْبَلَاءَ فَاخْتَفَيْتُ فِي**

١ - الكافي: ٤/ ٥٨١.

نَاحِيَةِ الْقَرْيَةِ حَتَّى إِذَا ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ نِصْفُهُ أَقْبَلْتُ نَحْوَ الْقَبْرِ فَلَمَّا دَنَوْتُ مِنْهُ أَقْبَلَ نَحْوِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي انْصَرِفْ مَأْجُوراً فَإِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ فَرَجَعْتُ فَزِعاً حَتَّى إِذَا كَادَ يَطْلُعُ الْفَجْرُ أَقْبَلْتُ نَحْوَهُ حَتَّى إِذَا دَنَوْتُ مِنْهُ خَرَجَ إِلَيَّ الرَّجُلُ فَقَالَ لِي يَا هَذَا إِنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ لَهُ عَافَاكَ اللهُ وَ لِمَ لَا أَصِلُ إِلَيْهِ وَ قَدْ أَقْبَلْتُ مِنَ الْكُوفَةِ أُرِيدُ زِيَارَتَهُ فَلَا تَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَافَاكَ اللهُ وَأَنَا أَخَافُ إِنْ أَصْبَحَ فَيَقْتُلُونِّي أَهْلُ الشَّامِ إِنْ أَدْرَكُونِي هَاهُنَا قَالَ فَقَالَ لِيَ اصْبِرْ قَلِيلًا فَإِنَّ مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ عليه السلام سَأَلَ اللهَ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ فَأَذِنَ لَهُ فَهَبَطَ مِنَ السَّمَاءِ فِي سَبْعِينَ أَلْفَ مَلَكٍ فَهُمْ بِحَضْرَتِهِ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ يَنْتَظِرُونَ طُلُوعَ الْفَجْرِ ثُمَّ يَعْرُجُونَ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ فَقُلْتُ لَهُ فَمَنْ أَنْتَ عَافَاكَ اللهُ قَالَ أَنَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ أُمِرُوا بِحَرَسِ قَبْرِ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَالِاسْتِغْفَارِ لِزُوَّارِهِ فَانْصَرَفْتُ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَطِيرَ عَقْلِي لِمَا سَمِعْتُ مِنْهُ قَالَ فَأَقْبَلْتُ لَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ نَحْوَهُ فَلَمْ يَحُلْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَحَدٌ فَدَنَوْتُ مِنَ الْقَبْرِ وَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَدَعَوْتُ اللهَ عَلَى قَتَلَتِهِ وَصَلَّيْتُ الصُّبْحَ وَأَقْبَلْتُ مُسْرِعاً مَخَافَةَ أَهْلِ الشَّامِ))[1]. فمن قصده عليه السلام لا يخيب قصده؛ وأنا أعتقد إنّ الإمام الحسين عليه السلام له القابلية على أن ينفعني بإذن الله تبارك وتعالى، والله تبارك وتعالى شفّعه فينا فلا بُدَّ إذن أن نسير على هداه؛ فالإمام الحسين عليه السلام منظم وليس شخصًا عشوائيًّا وليس شخصًا فوضويًّا؛ انتخب أصحابه انتخابًا، وخيَّر بعضهم بعد استشهاد مسلم عليه السلام بأن يذهبوا؛ فالقوم غدروا بنا، وأنّ من يأتي معنا فإنّه يأتي إلى الموت؛ وقد بيّن هذه الحقيقة بصورة جليّة ليلة العاشر؛ حيث قال عليه السلام: **((هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا وَلْيَأْخُذْ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِيَدِ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي وَتَفَرَّقُوا فِي سَوَادِ هَذَا اللَّيْلِ وَذَرُونِي وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمَ فَإِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ غَيْرِي))**[2]، وبقي أصحابه معه حتّى قُتلوا جميعاً، وركبوا في سفينة الإمام

١ - كامل الزيارات: ١١٠-١١١.

٢ - اللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس، علي بن موسى- الفهري الزنجاني، أحمد(ت: ٦٦٤هـ)، جهان/ طهران ١٣٨٩هـ، الأولى: ٩٠-٩١.

الحسين عليه السلام، ونحن نطمح في هذا الفخر والشّرف؛ ولكن هذا الشّرف، وهذه الشّفاعة لأجل أن نحصل عليها، لكن نحتاج إلى مقدّمات وعوامل مساعدة تعيننا على الرّكوب في سفينة الإمام الحسين عليه السلام؛ سفينة النّجاة؛ وهذا مما لا شكّ؛ فهو عليه السلام مصباح الهدى، سفينة النّجاة[١]، وثقتنا بالله تعالى كبيرة، ورجاؤنا عظيم أن تشملنا رحمته الواسعة، ومن جملة رحمته ومصداق رحمته الواسعة أن جعل الإمام الحسين عليه السلام لنا، فكلّ شيءٍ، وكلّ خير محاط بالإمام الحسين عليه السلام، فالبكاء، والتّباكي على الإمام الحسين عليه السلام، وحضور مجالسه، وكلّ ما يتعلّق بسيّد الشّهداء عليه السلام إنّما هو تحقيق لإحياء أمرهم صلوات الله عليهم، وبالتالي تحقيق الرّحمة والحصول عليها؛ قال الإمام جعفر الصّادق عليه السلام: ((**أَحْيُوا أَمْرَنَا، رَحِمَ اللهُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَنَا**))[٢]؛ ولذا نلاحظ تركيز الإمام الصادق عليه السلام على قضيّة سيّد الشّهداء عليه السلام؛ وكان هو بنفسه عليه السلام الذي ينهض بالقضية، ويطلب من الشّاعر أن يقرأ بطريقة ولغة أهل العراق بتلك الطّريقة التي فيها الأسى والحزن والدّمعة؛ حتى نتفاعل مع الإمام الحسين عليه السلام، وبعد ذلك نتمسّك بالحسين عليه السلام، وضمان النّجاة في الدّنيا والآخرة؛ وهذا ليس كلامي بل كلام النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: ((**إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ أَمَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلُّوا- كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي فَإِنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ**))[٣]، وتمسّكنا بالحسين عليه السلام له أكثر من منحى، لكن كلّها تصب في إطار البقاء في فِناء الإمام الحسين عليه السلام: «**اَلسَّلامُ عَلَيْكَ يا اَبا عَبْدِاللهِ وَعَلَى الأَرْواحِ الَّتي حَلَّتْ بِفِنائِكَ...**»[٤]؛ ولكن البقاء

---

١ – عن عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام. قَالَ قَالَ رَسُولُ الله(صلى الله عليه وآله): (مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْكَبَ سَفِينَةَ النَّجَاةِ وَيَسْتَمْسِكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَيَعْتَصِمَ بِحَبْلِ الله الْمَتِينِ فَلْيُوَالِ عَلِيّاً بَعْدِي وَلْيُعَادِ عَدُوَّهُ وَلْيَأْتَمَّ بِالْأَئِمَّةِ الْهُدَاةِ مِنْ وُلْدِهِ فَإِنَّهُمْ خُلَفَائِي وَأَوْصِيَائِي وَحُجَجُ الله عَلَى الْخَلْقِ بَعْدِي...). الأمالي، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، كتابچي، طهران١٤١٨هـ، السادسة: ١٩.

٢ – هداية الأمة إلى أحكام الأئمة(عليهم السلام)، الشيخ الحر العاملي(ت: ١١٠٤هـ)، الروضة الرضوية المقدسة- مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ١٤١٤هـ، الأولى: ٥/ ١٣٧.

٣ – بصائر الدرجات، الصفار، محمد بن حسن(ت: ٢٩٠هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، إيران؛ قم، الثانية: ١/ ٤٨٢.

٤ – كامل الزيارات:٣٣٢.

في هذا الفناء يحتاج إلى التّمسّك، والتّأكيد على الثّبات في طريق الحقّ، وتجديد عهد الولاء لسيّد الشّهداء عليه السلام؛ وإلّا انحرفنا عن طريق الحق، وخسرنا كلَّ شيء.

حِفظُ القلوبِ

ولذلك عندما أرى الأطفال في أعمار ثلاث سنوات، وأربع سنوات، وخمس سنوات وهم يرتدون السّواد أو اللون الأخضر أحيي تلك العوائل مهما كان لونها على هذا السّلوك الذي يعرّف أطفالنا حبَّ الإمام الحسين عليه السلام، ربّوا أولادكم على حبّ الإمام الحسين عليه السلام؛ فهو الذي أبقانا.

الإخوة أصحاب المواكب والهيئات أنا أسمع بين الحين والآخر أنّ بعض الهيئات الحسينية قد انشطرت إلى هيأتين، أو إلى ثلاثة، وأتمنّى والله أنّ كلّ بيت يصبح هيأة، وأنّ كلّ بيت وكلّ شخص يتحوّل ويكون صاحب موكب بنفسه، وإن كانت هذه القضية خارجة عن طاقتنا في بعض الأحيان؛ ولكن كلَّما كان في البيت حسين كلّما كان فيه رفض للظلم والظّالمين، وكلّما كان فيه لعنة على يزيد وأتباع يزيد.

إنَّ على الإنسان أن يحفظ في قلبه ما ينجيه يوم القيامة: والله تبارك وتعالى، والنّبي الأعظم صلى الله عليه وآله، والأئمة عليهم السلام جعلوا قلوبنا تنطوي على هذه المعاني؛ فهي بمثابة الدّرع الذي يصد سهام الشيطان. ولكن في الوقت نفسه علينا أن نُحافظ على هذه النّعمة وأن نسعى ونبذل ونُهيّئ أنفسنا ونستعد إلى أن نكون من الذين لو أراد الإمام الحسين عليه السلام أن ينتقي لاشرأبّت[1] أعناقنا إلى ذلك.

إنَّ انتقاء الإمام الحسين عليه السلام ليس عشوائيًا؛ وإنَّما هو انتقاء منظّم مهيّأ الأمور، وفق آليّة خاصّة لا يصيبها الخلل أو الاختيار غير المدروس؛ وإلّا لكان اختار في

١ - واشرَأَبَ له وإليه اشْرِئْباباً: رفع رأسَه ومدَّ عنقَهُ لينظُرَ، وأَصلهُ عند شِرْبِ الماءِ حين يتهيَّأُ له، والإسم: الشُّرَأْبِيةُ، كطُمَأْنِينة وقُشَعْرِيرَة، ومن المجاز اشْرَابَّت إليه نفسُه: اشتَهَتْه. ينظر: الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول، علي خان بن أحمد(ت: ١١٢٠هـ)، مؤسسه آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مشهد١٣٨٣هـ، الأولى: ٢/ ١٥٩.

وقته عشرات الآلاف ووعدهم بوعود، ولكنه كان يعلم أنّهم يتخلون عنه ويتركونه؛ فانتخب من يبقى ويقف أمام الحسين ثم يقول: «**أوفيت يا ابن رسول الله**»؟

نحن الآن بحمد الله تعالى نتاج تلك الصَّرخة، وتلك الوقفة التي وقفها الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء، فلاحظ مقدار الدّين الذي في أعناقنا للإمام الحسين عليه السلام، فقد وقف وقفة، وقدّم نفسه الشّريفة، وأعطاها في سبيل أن يبقى دين جدّه صلى الله عليه وآله والآن بقي دين جدّه، والحسين عليه السلام يعلم، والإمام الحجة عجل الله فرجه يعلم إنّ دين جده باقٍ ويملأ الخافقين من الحسين عليه السلام ومن شعاراته.

أنا أقرأ بعض الفضائيات؛ وحينما أقرأ أقول: أين الذين قاتلوا الإمام الحسين عليه السلام فلينظروا وليسمعوا في كلّ العالم مجلسًا للإمام الحسين عليه السلام؛ في كلّ الدّول التي كانت ولا تزال بعيدة عن الحسين هيَّأ الله تعالى من هذه الطّائفة المباركة أشخاصًا ليقيموا مجالس الحسين عليه السلام، فهنيئًا لمحبّي الإمام الحسين عليه السلام، وهنيئًا لكلّ الشيعة، وهنيئًا لكلّ مسلمي الأرض؛ هنيئًا لكلّ إنسان يشعر بالإنسانية؛ هنيئًا له بالحسين عليه السلام أنموذجًا راقيًا على مستوى إنسان، وعلى مستوى دين، وعلى مستوى قيادة، وعلى مستوى العبوديّة لله تعالى، لقد استجمع عليه السلام هذه الفضائل الجمّة فهنيئًا لنا به عليه السلام وأعتقد أنَّ الله يحتجّ بالحسين علينا، ولا عذر لأحد منّا يوم القيامة ما دام الحسين عليه السلام موجودًا فهو الذي أعطى، وهو الذي صبر، وهو الذي جاهد، وهو... إلى آخر تلك السّلسلة التي لا تنتهي؛ فسلام على الحسين عليه السلام يوم ولد، وسلام عليه يوم استشهد، وسلام عليه يوم يُبعث حيًّا. السلام على الحسين. السلام على علي بن الحسين. السلام على أولاد الحسين، السلام على أصحاب الحسين، نسأل الله سبحانه وتعالى أن ندخل في سفينة الإمام الحسين عليه السلام ﴿**يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[1].

١ - الشعراء: ٨٨-٨٩.

المبحث الثاني

الإمامُ السَّجّادُ عليه السلام

والمنظومةُ العاشورائيّة

للإمام السّجاد عليه السلام دورٌ كبيرٌ في النّهضة الحسينيّة وما بعدها، فقد مرّ عليه ما مرّ على عائلة سيّد الشّهداء عليه السلام من حالة السّبي والانتقال من مكان إلى مكان، ومارس دوره عليه السلام في كربلاء عندما أمر العائلة الكريمة بعد أن استشهد أبوه عليه السلام بأن تفر بالبيداء حفاظًا عليها؛ لأنّها أصبحت بلا أيّ مأوى، وأيضاً ذهب إلى الكوفة أسيرًا بمقتضى الوضع الخارجي، وكذلك تكلّم محاولاً بيان أحقّيّة سيّد الشّهداء عليه السلام، وأهل البيت عليهم السلام عموماً في هذا الأمر، وأنَّ الذي جرى هو مظلمة قادها الخليفة في ذلك الوقت؛ إضافة إلى ولاته وحدث ما حدث، ثمّ بقي بهذا الإصرار إلى أن ذهب إلى الشّام، وأمّام مجلس طاغية الوقت بيَّن بشكلٍ صريح وفصيح من هو، ومن هو أبوه، ومن هو جدّه، وطبيعة الانتماء إلى النّبي وآل بيته عليهم السلام، وهذه الخطبة تُعدّ من الأركان المهمّة في إكمال قضية عاشوراء والإمام عليه السلام، وبعد كلّ ما حدث حينما رجع إلى المدينة أوجز المطلب بعدما تقدّم أحدهم وسأله عندما رأوه قد جاء وحيداً، وقد فَقَدَ أباه، وفَقَدَ عمّه، وفَقَدَ إخوته، وهذا السّؤال هو عن الانتصار ومن هو الذي يعدّ المنتصر، فأجاب الإمام عليه السلام بجواب وجيز وبليغ، واستشرق المستقبل بقوله: إذا سمعت المؤذن ستعرف من المنتصر.

وهذه حقيقة في غاية الأهمّيّة وغاية الوجازة، وجوهرها أنَّ هذا الأذان وما يتضمّن من معارف ما زال موجودًا وهو الذي من أجله نُقاتل؛ فالطّرف المقابل لم يكن مهتمًّا بالعبادة وما يتعلّق بها، وإنَّما كان ينازع من أجل دنيا زائلة.

في هذا الظَّرف الخاصّ الذي مرّ به سيّد الشُّهداء عليه السلام تعامل الإمام السَّجّاد عليه السلام مع هذا الموقف العاشورائيّ، وأسّس أساسًا للتّعامل مع المشهد الكربلائي العاشورائي، وبادر الإمام السّجّاد عليه السلام إلى إحياء ما يتعلّق بأبيه سواء كان تجدّد العاشر من محرّم في السّنة القابلة أم ضمن الممارسات اليوميّة؛ مُذكّرًا، ومنبّهًا على أهمّيّة ما جرى، هذا من جانب؛ ومن جانب آخر عندما نتعامل

مـع الإمـام السّـجّاد ﷺ نتعامـل معـه كشـاهد، وعنـصر مقـوّم لواقعـة الطّـف؛ فلـم يكـن شـاهدًا في معـزل عـن الواقعـة، وإنّـما كان عنـصراً مهـمًّا، وابتـدأ دوره الشّريـف باستشـهاد الإمـام الحسـين ﷺ، ومـارس دوره سـواء كان مـع العائلـة؛ أي في كربـلاء بعـد الشّـهادة، أو في الكوفـة أو في الشـام أو بعـد رجوعـه الى المدينـة، وهنـا بـدأت المرحلـة الثانيـة في حياتـه ﷺ؛ وهـي حالـة الإشـباع الفكـري والأخلاقـي والمعـرفي مـن خـلال اتصالـه بالآخريـن عـن طريـق هـذه الممارسـات الخاصـة، وهـي مسـألة الدعـاء، فإنَّنـا في كلّ مقدّمـة نتطـرّق إلى دعـاء مـن أدعيتـه للتنبيـه عـلى عظـم الصّحيفـة السّـجّادية؛ هـذا الـتراث العظيـم المخـزون عندنـا، ونحـن مسـؤولون لا عـن حفاظـه مـن جهـة طبعـه فقـط، وإنّـما نحـن مسـؤولون مـن جهـة التّعامـل مـع مـا جـاء في هـذه الصّحيفـة بشـكلٍ واقعـيٍّ وبشـكلٍ عمـليٍّ، ولا بُـدّ أن تكـون هنـاك بصمـة واضحـة لـكلّ مـن يرتبـط بسـيّد الشّـهداء ﷺ أن يرتبـط بالإمـام زيـن العابديـن ﷺ؛ عـلى أنَّ هـذا المشـهدَ مشـهدٌ واحـدٌ ومكمّلاتـه بعـد مجـيء الإمـام زيـن العابديـن ﷺ إلى كربـلاء قـد أفـرزت هـذه الحالـة؛ أعنـي حالـة الصّحيفـة السّـجّاديّة.

الصّحيفةُ السّجّاديّةُ من نتائج كربلاء

وهنـا لا بُـدَّ مـن الالتفـات إلى مـا أريـد أن أُبيِّنـه؛ أنَّ الصَّحيفـة السّـجّادية أحـد نتائـج كربـلاء عـلى أنَّ القـوم بعـد واقعـة كربـلاء كان شـعارهم الـذي رُفـع بعـد أن قتلـوا سـيّد الشّـهداء ﷺ (أحرقـوا بيـوت الظّالمين)[1] بـل كان هـذا أحـد عقائدهـم، وقد رفـع من قبل قـادة الجيـش لا مـن قِبـل جنـود عاديّـين، واسـتمرّ هـذا الشّـعار حتّـى عندمـا وقـف الإمـام ﷺ أمـام بعضهـم عندمـا سـأله عن اسـمه قـال: عليّ، قـال له: أليس قـد قتل الله عليًّا؟![2].

١ – سير أعلام النبلاء:٣، ٢٠٤.
٢ – الإرشاد: ٢ : ١١٦ .

فلاحظوا التّنظير الخاطئ في تعمية الأمر وخاصة بعض الأسئلة، وما أُشيع على ألسنة البعض الذين كانوا يُبيّنون للناس أنَّ من قَتل الإمام الحسين عليه السلام هو الله تعالى؛ وذلك حينما سُئل الخليفة أو الوالي حينها هذا التّساؤل (أليس قد قَتل الله عليًّا؟!) فالأمر لم يكن سؤالاً ساقه اعتباطاً على لسانه، وإنّما أراد أن يبيّن أنَّ الله تعالى هو الذي سلّطنا عليكم، فعَمَلنا مرتبط بالله تعالى، فالتفت الإمام عليه السلام الى هذه النّكتة، فقال: كان لي أخ يُدعى عليًّا قتله الناس ولم يقتله الله، وفي محاورات أخرى أجمعوا على قتل الإمام زين العابدين، حيث إنّ النّص الذي وصلَنَا من خليفة وقتهِ هو: (ألَكَ جرأة على جوابي ! اذهبوا به فاضربوا عنقه)[1]، فالمسألة مبنيّة على نسف أفراد هذا البيت العلوي وقتلهم وإبادتهم.

وكذلك السيدة زينب عليها السلام مارستْ دورًا عظيمًا عندما تعلّقت بالإمام السّجّاد عليه السلام وقالت: **(إن كنت عزمت على قتله فاقتلني معه)**[2] فالمشهد العاشورائي بحسابات القوم إنَّ الإمام زين العابدين عليه السلام لا بُدَّ أن يكون من ضمن القتلى، فلا مُبرّر لتركه؛ لكن الله سبحانه وتعالى أراد لهذا البيت أن يحفظ، وأراد للإمام زين العابدين عليه السلام أن يكون شاهد حقّ، ومكملاً لما يحدث بعد عاشوراء.

ومن جملة ما قام به الإمام زين العابدين عليه السلام هو هذا التّراث الضّخم (الصحيفة السجادية)؛ فهي ناتج كربلائي بعد واقعة الطّفّ، على أنَّ الإمام كانت جميع حركاتِه وسكناته مراقبة وملاحظة، وإلَّا فهو محكوم بالإعدام في يوم عاشوراء.

ولاحظوا نقطة أخرى؛ ألا وهي لم يكن عند القوم رأفة فتُرِك الإمام لمرضه، فلا رأفة عند القوم، فقد كانت لديهم فكرة أنَّ هذا البيت من بيوت الظّالمين، ولا بُدَّ لبيوت الظالمين أن تُحرق، وقد صوّروا أنَّ أهل هذا البيت للناس -كما في الشام-

١- اللهوف في قتلى الطفوف:٥٩.
٢- م.ن: ٥٩.

بأنّهم من الخوارج -وحاشاهم-خرجوا على خليفة الوقت، ومن المعلوم أنَّ عامّة الناس قد لا تتوفّق أن تكون بمستوى فهم الحدث؛ أي أنّ الناس في الشام وبعد واقعة الطَّف كانت تحتفل ليس من باب هو عيد وطني، وإنَّما كانت تحتفل لقضية دينية على أنَّ هناك مجموعة حاولت العبث بوضع الأمّة الإسلامية، والله تعالى نصر الأمير على هؤلاء الثّلة من الخوارج، فالمنظور للاحتفال هو منظور دينيّ، وليس منظورًا وطنيًّا، فعامّة الناس عندما لا تتوفّق إلى فهم الأحداث بشكلٍ دقيقٍ ستكون من العوامل المشجّعة على تمادي هؤلاء في ظلمهم، على أنّه إذا كانت المقاييس الصلاة فهؤلاء أيضاً يُصلّون، وإذا كانت المقاييس الحجّ فهؤلاء أيضاً يحجّون، وإذا كانت المقاييس الصّوم فهؤلاء أيضاً يصومون، لكن شتّان ما بين الفهم لمجريات الأحداث، ولذلك حريّ بنا عندما نتعامل مع سيّد الشّهداء عليه السلام أن نفهم طبيعة الأرض التي كانت يتحرّك بها عليه السلام واليوم في هذا القرن الواحد والعشرين الذين مع سيّد الشهداء عليه السلام سواء في إحياء مناسباته أو الحضور إلى المرقد المبارك أو التّعامل مع قضيّته فهماً وتعاملاً مبدئيًّا، هذا الحضور أضعاف مضاعفة ما شاء الله تعالى أن يكتب بالقياس مع الذين عايشوا سيّد الشهداء عليه السلام، فالنُّخبة التي جاءت مع سيّد الشّهداء عليه السلام نحن نُعظّمها ولكن تبقى علامة استفهام كبيرة.. أين البقيّة الباقية من الأمّة، ولماذا تخاذلوا عنه؟!

آلةُ الخذلانِ والنّصرة

تارة الإنسان لا يسمع ولا يعلم ويكون معذوراً، لكنهم كانوا على علم، وكان بعضهم يُبدي نصيحة بزعمه للإمام الحسين عليه السلام وهو في مكة، والإمام كان يُبيّن قائلاً: " والله لأن أُقتل خارجاً منها بشبر أحبّ إليَّ من أن أُقتل داخلاً منها بشبر، وأيمُ الله لو كنت في حجر هامة من هذه الهوام لاستخرجوني حتّى يقضوا فيّ حاجتهم، ووالله ليعتدنَّ عليَّ كما اعتدت

اليهود في السبت...[1]؛ لأنَّ هؤلاء أرسلوا من يحاول قتل الإمام سيد الشهداء عليه السلام والإمام أرسل الكتب واستنصر البعض فأين كان هؤلاء إذن؟

إنَّ الأمّة عندما لا تتوفّق إلى فهم مجريات الحدث بما هو ، وكيف تتعامل معه، سيكون وبالاً عليها، ويجعلهم من أنصار الظّالم على المظلوم، وهذه النّقطة حتى مع الأنبياء أنَّ هؤلاء الأنصار كانوا يحيطون النّبي عليه السلام وهؤلاء بالقياس إلى الأمم يكونون قلّة، بل في بعض الحالات يتّهمون كما في زمن نوح إذ قالوا: **(وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا)**[2] وكانوا يعنون أتباع النبي عليه السلام، والنتيجة هناك حروب شُنّت؛ ومنها حرب نفسيّة، وحرب اقتصادية ضدّ أتباع الأنبياء كما شنّت الحرب ضدّ النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وهكذا حرب عسكريّة مع سيّد الشّهداء عليه السلام؛ لأنّنا عندما نُدقّق في التاريخ نرى أنَّ الأمّة قد تقع في فخِّ الدّعاية والإعلام المضلّل، وترك الإمام عليه السلام أو من يُمثّله مكشوف الظّهر، ولا عذر لنا في عدم فهم وقائع الأحداث؛ فالإمام السّجّاد عليه السلام كان ضمن هذه المنظومة العاشورائية، وكان ركنًا ركينًا منها، وعندما كان يأتي إلى الكوفة ويتحدّث معهم أو زينب أو فاطمة الصغرى عليها السلام، وعندما كان في دمشق يتحدَّث في مجلس يضمّ الوجوه السّياسيّة والوجوه الاجتماعية يتحدث بهذا الحديث الضخم؛ لأنَّ هناك تضليل يريد أن يرفعه، وكما هو معروف عندما طلب الإمام السّجّاد عليه السلام أن يخطب وقال: يا يزيد، إئذن لي حتى أصعد هذه الأعواد، فأتكلّم بكلمات فيهنَّ لله رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب[3] لكن الحاكم يزيد ملتفت وهو أكثر شخص يعرف الإمام الحسين عليه السلام، ويعرف أنَّ الإمام الحسين عليه السلام يجب أن يُقتل ومن قبله أبوه، ومن قبله جده؛ فهو من عائلة تعرف من يكون الحسين عليه السلام ومن يكون أمير

١ – وقعة الطف: ١٥٢.

٢ – سورة هود، الآية: ٢٧.

٣ – بحار الأنوار (الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار (عليهم السلام) : ٤٥ / ١٣٧.

المؤمنين ومن يكون النّبي ﷺ، فلم يرضَ أن يصعد الإمام إلى المنبر فإنَّه إذا صعد لا ينزل إلَّا بفضيحته وفضيحة آل أبي سفيان، هؤلاء الذين بجانبه لا يعرفونه فقد ضلّل عليهم، ولم يعطوا لعقل فرصة أن يسألوا عنه، ولذلك الإمام عندما علم أنَّه لا يوجد أحد ينتصر له تصدّى عليه السلام هو وبيَّن حقيقة الأمر حتّى حصلت هناك ضجّة؛ لكونهم لم يسمعوا بكلامه من قبل.

الإمامُ السَّجّادُ عليه السلام وكشفُ الحقائِق

بدأ الإمام السّجّاد عليه السلام بقلب مفاهيم هؤلاء الناس المغلوب على أمرهم الذين لا يُفكّرون أصلًا، ولا يهمّهم دينهم، وإنَّما هذه الدِّيانة الظَّاهرية الشَّكلية الفارغة من المحتوى التي لا يعرفون عنها شيئاً، فبدأ عليه السلام من أدعية التّوحيد فهو يُشكّل عندهم مشكلة لا يعرفونه حق المعرفة، ثم بدأ بأدعية لها علاقة بالنَّبي وكيف يصلي الإمام عليه السلام على النبي وآله ﷺ، ويُبيّن شخصية النبي ﷺ، ثم بدأت هذه المفاهيم تتغير شيئاً فشيئاً من عقائد وأخلاق وأفكار هؤلاء.

فهذا نتاج فكري عظيم أفرزته أحداث كربلاء للظرف الخاص الذي هيمن على الإمام السجّاد عليه السلام وإنّما هو القائل عليه السلام بعد واقعة الطَّف:" ما بمكة والمدينة عشرون رجلًا يحبّنا"[1]، فهذه الفترة في سنة ٦١ للهجرة ليست فترة بعيدة عن السنة الأولى للهجرة.

فهكذا عبّر عليه السلام، وهذه قسوة أحداث تحمَّل وِزرها الناس، وقلنا -سابقاً- الإمام في كربلاء في هذا المكان الطَّاهر المقدس كان يخطب، ولم يتصدّى لقتال هؤلاء، فليس له وظيفة القتل؛ فهذا في مدرسة أهل البيت غير موجود، وإنّما بدأ يَعِظَهم، لعلَّ فيهم من يمكن أن يرجع بذاكرته، ويسأل نفسه أو أباه إن كان

١- الكافي: ٤٦/ ١٤٣.

موجودًا، ولذلك كان الإمام حريصًا على التبليغ وإلقاء الخطب؛ فتارة يلبس عمامة رسول الله ﷺ مذكّرًا إيّاهم وعلى فرس رسول الله، سائلًا إيّاهم:" ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟"[1].

فلا جواب لهم؛ لأنّهم خذلوا أنفسهم بخذلانهم سيّد الشّهداء عليه السلام، وبالتالي فقدت هويّتها وإرادتها، وسيّد الشهداء عليه السلام له فضل علينا ما حيينا، فقد أيقظ فينا كلّ إرادة من أجل رفض الظلامة، وأنا دائمًا أقارن مقارنة واقعية ما بين ما حدث وما بين ما يحدث الآن؛ فهؤلاء الأبطال الذين وقفوا ضدّ داعش بعزّة وشرف هم أنفسهم تربّوا عند سيد الشهداء عليه السلام، فالذي عمره ستة عشر عاماً بأيّ عقليّة فكّر فيها ومدركاته العقلية وفلسفته، فلا يوجد عنده شيء معقّد، فعمره غير مؤهّل لكن بهذا العمر أحبّ الحسين عليه السلام، وأصبح عنده من الأمر الطّبيعي الوقوف أمام هؤلاء وتحمّل ما تحمله القاسم عليه السلام أو مثلاً ما تحمله أصحاب الحسين، فالوضع طبيعيّ عنده لا يشعر بخذلان ولا بجبن ولا بأيّ اهتزاز، فمن أين جاء بهذا؟ نعم لقد استطاع الإمام زين العابدين عليه السلام أن يُبقي هذا النَّفَس الحسيني عند هؤلاء، فقد ساهم الأئمّة كلّهم في ذلك، ولم يقتصر الدّور على الإمام السّجاد عليه السلام فحسب، فهؤلاء الشّباب الذين وطَّنوا أنفسهم، وطلّقوا الدّنيا وما فيها، وأنتم تعرفون أنَّ أغلبهم أناس فقراء لا يملكون قُوْت يوم لدرجة أنّ بعضهم في الإجازة لا يذهب إلى عائلته معلّلاً ذلك بقوله: أهلي فقراء، ويتوقّعون أن أعود إليهم بمرتب أو بشيء، فأنا لا أريد الذّهاب، وأريد أن أبقى هنا وأدافع، كما يوجد بينهم من فَقَدَ أعضاء له من أيادٍ وأعين، وتراهم يقولون: لتذهب فداءً للإمام الحسين عليه السلام، فهم جعلوا قمر بني هاشم العباس عليه السلام مثالاً لهم، وكذلك أمّهاتهم عندما يستشهد أبناؤها

١ - الكافي: ٤٥/ ٧.

تقول: فداء للزّهراء، فقد طبّقوا هذه المفاهيم، ونحن الآن في أيام محرم الحرام، فأيّ مشهد هذا النّاتج، عندما نربط الأحداث مع سيد الشهداء ﷺ لا يكون ربطاً عفويًّا، ومشتبه كلّ الاشتباه من يرى أنَّ هذا الرّبط عفوي، هذا كهل قد بلغ من العمر ثمانين عامًا يقول: أنا أشبّه نفسي بحبيب بن مظاهر الأسدي الذي رفع حاجبيه بعصابة؛ ولا يظهر أمام الحسين ﷺ أنَّه رجل كبير حتّى يقول للحسين ﷺ: أنا معك وأنا شابّ ائذَن لي حتّى أُقاتل دونك، فهذه المسألة ليست عاديّة، لا يجرؤ عليها أيّ أحد، وهؤلاء عندما يُطلَبون الآن بعضهم كبير السّن، يحاول أن يقول: إنّي لم آتي بالجنسية، أو يحاول أن لا يذكر تاريخ ميلاده صحيحًا خوفًا من إرجاعه وحرمانه من القتال، وهناك العشرات من هذه الحالات.

إنّ هذه المقاربات اضطرّتنا أن نُبيّن أنَّ الإمام زين العابدين ﷺ قد أسّس لها، وجعلها ناتجاً عاشورائياً.

المبحث الثالث

أَنصارُ الحقِّ

إنّ المسيرة المظفّرة التي سار بها الإمام الحسين عليه السلام كانت محسوبة الخطوات بدقّة، وواضحة المعالم، ومعلومة النّتائج، لذلك لا يزال صداها يرنّ في أسماع الدّهر، ويعلن أنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو المنتصر، ولا بأس إلى الإشارة لمجموعة من الأمور:

الأمر الأول: إنّ الظّروف التي أحاطت بالإمام الحسين عليه السلام كانت ظروفاً قاسية، ومن جهات متعدّدة، فالظّلم الذي انتشر منذ عهد معاوية[1] طال المدينة المنورة ومكّة المكرمة، وكان النّاس في أصقاع البلاد الإسلامية يتملّكهم الخوف من جرّاء السياسة الأموية التي كانت تعتقل، وتقتل على الظّنّة والتّهمة، ومعلوم أنّ الخوف يولّد حالة من عدم الاستقرار في النّفس، ويشلّ التّفكير الحر إلى حدٍّ ما؛ وهذا يعني أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان يتعامل مع مجتمعٍ خائفٍ قد يصعب تغيير قناعاته عن طريق الحوار، ومبادلة الحديث؛ خصوصاً إذا كان الإمام الحسين عليه السلام بنفسه الشّريفة يُمثّل عامل تهمة لكلِّ من يلتقي به، أو يُبادله الحديث، ومن جهة أخرى فإنَّ النّاس تميل إلى الدّعة، وحلاوة العيش، ولا تريد أن تشغل أنفسها بأمور أخرى ما دامت دنياها جارية بشكلٍ منتظم، فهي لا يهمّها إن كان الإمام الحسين عليه السلام على رأس الدّولة، أو يزيد، أو معاوية، أو أمثالهما، وهذه الفكرة غالباً ما تُسبّب الخذلان، وإن ادّعت أنّها ترقى إلى نهاية الطّريق، وهناك ظرف آخر كان يعيشه الإمام الحسين عليه السلام وهو الحالة النّفسية المتردّية

---

١ -- عن سليم بن قيس نَادَى مُنَادِي معاوية: ((وَكَتَبَ بِذَلِكَ نُسْخَةً [إِلَى جَمِيعِ الْبُلْدَانِ] إِلَى عُمَّالِهِ أَلَا بَرِئَتِ الذِّمَّةُ مِمَّنْ رَوَى حَدِيثاً فِي مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَوْ فَضَائِلِ أَهْلِ بَيْتِهِ [وَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ الْعُقُوبَةَ]))، كتاب سليم بن قيس الهلالي: ٢/ ٧٨١.

- وَقَالَ الحسين عليه السلام فِي جَوَابِ كِتَابٍ كَتَبَ إِلَيْهِ مُعَاوِيَةَ عَلَى طَرِيقِ الِاحْتِجَاجِ: ((أَلَسْتَ قَاتِلَ حُجْرِ بْنِ عَدِيٍّ أَخِي كِنْدَةَ وَأَصْحَابِهِ الصَّالِحِينَ الْمُطِيعِينَ الْعَابِدِينَ كَانُوا يُنْكِرُونَ الظُّلْمَ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْمُنْكَرَ وَالْبِدَعَ- وَيُؤْثِرُونَ حُكْمَ الْكِتَابِ وَلَا يَخَافُونَ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ فَقَتَلْتَهُمْ ظُلْماً وَعُدْوَاناً بَعْدَ مَا كُنْتَ أَعْطَيْتَهُمُ الْأَيْمَانَ الْمُغَلَّظَةَ وَالْمَوَاثِيقَ الْمُؤَكَّدَةَ)).

- وقال ايضا: ((أَوَ لَسْتَ قَاتِلَ عَمْرِو بْنِ الْحَمِقِ صَاحِبِ رَسُولِ اللهِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ الَّذِي أَبْلَتْهُ الْعِبَادَةُ فَصَفَّرَتْ لَوْنَهُ وَنَحَّلَتْ جِسْمَهُ بَعْدَ أَنْ آمَنْتَهُ وَأَعْطَيْتَهُ مِنْ عُهُودِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمِيثَاقِهِ مَا لَوْ أَعْطَيْتَهُ الْعُصْمَ فَفَهَّمْتَهُ لَنَزَلَتْ إِلَيْكَ مِنْ شَعَفِ الْجِبَالِ ثُمَّ قَتَلْتَهُ جُرْأَةً عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتِخْفَافاً بِذَلِكَ الْعَهْدِ)). الاحتجاج على أهل اللجاج، الطبرسي، أحمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ)، نشر المرتضى، مشهد١٤٠٣هـ، الأولى: ٢/ ٢٩٧.

عند كثير من المسلمين؛ بسبب الحروب الطّاحنة التي راح ضحيّتها من الدّولة الإسلامية ومن المسلمين خصوصاً في عهد الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام راح ضحيّتها ما كانوا بحسب الظّاهر من المسلمين، ولا شكّ أنَّ البُعد النّفسي مهمّ جدًّا في أيّ صراع؛ خصوصاً إذا كان طويل المدى.

إنَّ هذه الظّروف، وغيرها قد تداخلت مجتمعة، وأثّرت في رسم الصّورة الحقيقية لواقعة الطّف، وبيّنت مدى المعاناة التي عاناها الإمام الحسين عليه السلام؛ لكي ينهض نهضته المباركة، ومدى انعكاس هذه الواقعة على بقيّة الأمّة الإسلاميّة.

الأمر الثّاني: إنَّ الإمام عليه السلام كان عالماً بمشروعه الإصلاحي بكلِّ تفاصيله وحيثيّاته بحيث لا يمكن أن يصدّه عنه شيء، ولا مجال ليتبدل رأيه برأي آخر، وهذه مسألة مهمّة جدًّا في العمليات الإصلاحيّة؛ حيث لابُدَّ أن تتوفّر عند المصلح المعلومة الكافية والأفق الواسع، وأن يعرف بالتّحديد ماذا يريد؟ وكيف يطبق ذلك على أرض الواقع؟، ولقد فشلت بعض الحركات الإصلاحية والتّاريخية بسبب تراجع قياداتها، وتحيّرهم وهم في منتصف الطّريق، ولقد رسم القرآن الكريم صورة واضحة عن ذلك ما جاء في قوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**قُلْ هذِهِ سَبيلي أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلى بَصيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَني وَسُبْحانَ اللهِ وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكينَ**﴾[1]، ولاحظوا تعبير القرآن الكريم وهو يقول: ﴿**أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾، ولقد كان الإمام الحسين عليه السلام على بصيرة من أمره، وقد بصرَ أصحابه أيضًا؛ لذا لم يتراجع أحد منهم قط، وظلّوا محافظين على عهدهم معه عليه السلام إلى آخر لحظة؛ حتّى توّجوا بتلك الصّفة التي دانت صفات جميع أصحاب الأئمّة عليهم السلام عندما يقول: ((**فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي وَلَا أَهْلَ بَيْتٍ أَبَرَّ وَلَا أَوْصَلَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي فَجَزَاكُمُ اللهُ عَنِّي خَيْرَ الْجَزَاءِ**

١ - يوسف: ١٠٨.

أَلَا وَإِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكُمْ فَانْطَلِقُوا جَمِيعاً فِي حِلٍّ لَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنِّي ذِمَامٌ هَذَا اللَّيْلُ قَدْ غَشِيَكُمْ فَاتَّخِذُوهُ جَمَلًا. فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ وَأَبْنَاؤُهُ وَأَبْنَاءُ أَخِيهِ وَأَبْنَاءُ عَبْدِ اللهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَمْ نَفْعَلْ ذَلِكَ لِنَبْقَى بَعْدَكَ لَا أَرَانَا اللهُ ذَلِكَ أَبَداً بَدَأَهُمْ بِهَذَا الْقَوْلِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ فَاتَّبَعَهُ الْجَمَاعَةُ عَلَيْهِ وَتَكَلَّمُوا بِمِثْلِهِ))[1].

البصيرةُ ورسوخُ العقيدةِ

هناك مجموعة من الرّوايات تدلّ على أنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أفضل من أصحاب الإمام الحجّة (عجّل الله تعالى فرجه)[2]، وهذه الصّحبة قد وفّقوا فيها إلى أن يستفيدوا مع أبي عبدالله الحسين عليه السلام.

الآن نحن وبين الشهداء أمتار معدودة، ولا أظن أحدنا يستطيع أن يعدّ أسماء هؤلاء الشّهداء، بل بعضهم كانوا غير معروف قبل أن ينتمي إلى سيّد الشّهداء عليه السلام، وليس معلوماً أنّهم كلّهم كانوا على رأس عشيرة في مجتمعاتهم، بل كان بعضهم من النّاس الفقراء؛ ولكنّهم سمعوا الحقَّ، وأعطوا آذانهم له، فأشغل قلوبهم حبَّ الإمام الحسين عليه السلام، فخرجوا مع الإمام الحسين عليه السلام، لكنهم كانوا على بصيرة افتقدها الآخرون؛ ولذلك لم يذكر التأريخ أنَّ أحدًا من هذه الصّفوة تراجع أو انهزم في واقعة الطّفّ؛ نعم هناك شخص واحد كان قد عقد اتفاقًا مع الإمام الحسين عليه السلام على أن أبقى أنصرك ما دام لك ناصر، فإذا قتل أصحابك فأنا في حل، وفعلاً بعد استشهاد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام التفت له وقال: ((**إن قدرت عَلَى ذَلِكَ فأنت**

---

١ – إعلام الورى بأعلام الهدى، الطبرسي، الفضل بن الحسن (ت: ٥٤٨هـ)، الإسلامية، طهران ١٣٩٠هـ، الثالثة: ٢٣٨.

٢ – وقد ورد في الحديث ما نصه: ((عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ أَحْمَدَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ هِلَالٍ عَنْ أُمَيَّةَ بْنِ عَلِيٍّ عَنْ رَجُلٍ قَالَ قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللهِ عليه السلام أَيُّنَا أَفْضَلُ نَحْنُ أَوْ أَصْحَابُ الْقَائِمِ عليه السلام قَالَ فَقَالَ لِي أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ أَصْحَابِ الْقَائِمِ...)). ينظر: الإختصاص: ٢٠.

فِي حل))[١] يُسمّى بالضّحّاك[٢]، استخرج فرسه من الفسطاط في مكان ما حاول أن يتخلّص وصعد على ظهر فرسه وانطلق، كان الإمام وفيًّا حتّى مع هذا الشخص والتزم بعهده في هذه الظّرف، وكان يحتاج إلى ناصر، فالقصد أنَّ هؤلاء كانوا على بصيرة من أمرهم، بل كانوا كما يقول عليه السلام: كانوا ((يستأنسون بالمنيّة))[٣]، وهذه العبارة فيها مغزى كبير، فنحن نعرف أنَّ الإنسان يستأنس بالدّنيا؛ نعم الإنسان يستأنس بالدنيا ولا يستأنس بالمنيّة، ولكن هؤلاءعندما كانوا في واقعة الطّف يقدّمون أنفسهم ويعتذرون من الإمام الحسين عليه السلام، هذه البصيرة تحتاج إلى توفيق، وليس كلّ من عرف الحقّ اتبعه، بل لابُدّ للإنسان إضافة إلى معرفة الحق وجوب اتباعه؛ وإلّا فذلك الذي يقول:

امْلَأْ رِكابِي فِضَّةً أَوْ ذَهَبا ... إِنِّي قَتَلْتُ السَّيدَ الْمُحَجَّبا[٤].

فقد عرف الحقّ لكنّه لم يتبعه.

إنّ الصورة التي نقلها القرآن الكريم: ﴿**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾ تجسيدها ومصداقها الأكمل هو الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، فقد كانوا على بصيرة، وهذه نقطة يجب الإشارة إليها؛ لنعرف مدى القوّة التي كانت في واقعة الطّف.

---

١ – تاريخ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(ت:٣١٠هـ)، (صلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، (ت٣٦٩ هـ)، دار التراث – بيروت، الثانية – ١٣٨٧ هـ: ٥/ ٤٤٥.

٢ – الضحّاك بن عبد الله المشرقي الهمداني. وقعة الطفّ، أبو مخنف الكوفي، لوط بن يحيى(ت: ١٥٨هـ)، جماعة المدرسين، إيران؛ قم١٤١٧هـ، الثالثة: ٣٤.

٣ – معالي السبطين، الشيخ محمد مهدي الحائري(ت: ١٣٥٨هـ)، صبح الصادق، الأولى: ١/ ٣١٩.

٤ – الخرائج والجرائح، قطب الدين الراوندي، سعيد بن هبة الله(ت: ٥٧٣هـ)، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، قم١٤٠٩هـ، الأولى: ٢/ ٥٨٠.

الابتلاءُ ميزانُ الشّخصيّة

الأمر الثالث: إنَّ القاعدة الجماهيرية التي ارتبطت بالإمام الحسين عليه السلام من أصحاب كانت على مستوى رفيع من الإيمان ورسوخ العقيدة، فالعقيدة ليست كلامًا نتفوه به فقط، بل هي موقف صلب وحازم لأيَّام المحن والشّدائد، ولاشكَّ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان يتعامل في حياته الشّريفة مع كثيرين، ويتردّد على مجلسه المبارك كثيرون أيضاً؛ بين سائل وبين مستبصر وبين متعلّم، لكن هذا التّردد لا يكشف الرّقم الحقيقي لأنصار الإمام الحسين عليه السلام، فهذا التّردد، وهذه الكثرة لا تكشف القاعدة الحقيقية التي تنضوي تحت لواء الإمام الحسين عليه السلام إذا طلب مثل هذا الأمر، وهناك مجموعة من الصفات ينبغي أن نهتمّ بها في استقراء بعض مواقف الأنصار بوصفهم من أتباع الإمام الحسين عليه السلام لابُدَّ أن نحظى بشكلٍ من التّوجّه للإتباع حتَّى نكون أتباعًا له، وأتباعًا لأولاده، وأتباعًا لحفيده الذي ننظر إليه بعين الشّوق، وعسى أن يكحل أبصارنا بنظرة منه عليه السلام، ولا بأس بالإشارة إلى بعض هذه الصفات:

١. الطّاعة لإمامهم وقائدهم عليه السلام، وعدم الخروج عن قوله طرفة عين أبدًا، والانضباط والالتزام بجميع ما يأمر به، أو ينهى عنه، فإنَّ ذلك له دخل كبير في تماسكهم ونجاحهم، ولقد عانى أمير المؤمنين عليه السلام من جملة ما عانى، من خيانة أصحابه وتمرّدهم؛ إذ يقول: ((**صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُم**))[1]، وهذه الحالة لم توجد عند الإمام

١ - شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله(ت: ٦٥٦هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم١٤٠٤هـ، الأولى: ٧/ ٧٠.

الحسين عليه السلام؛ فإنَّ أصحابه كانوا طائعين، ومستميتين من أجله، ولم يخرجوا عن أمره قط، بل كانوا كما يصفهم عليه السلام يستأنسون بالمنيّة، فقد قال عليه السلام لمولاتنا زينب عليها السلام فقالت له: ((**أخي هل استعلمت من أصحابك نياتهم فإنّي أخشى أن يسلموك عند الوثبة، واصطكاك الاسنة. فبكى عليه السلام وقال: أما والله لقد نهرتهم، وبلوتهم، وليس فيهم الأشوس، الأقعس يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل بلبن أمه**))[1].

٢. عدم الانخداع والاستمالة من قبل الأعداء، فإنّ العدو إذا شاهد قوّة تماسك الأتباع يحاول أن يجد الفرقة بينهم بشتّى الوسائل، ومن جملتها شقّ صفوفهم بالتلوين بمنصب أو دنيا أو مال؛ فيهلك من يهلك، وينجو من ينجو؛ كما لوَّح معاوية لعبيد الله بن عباس بمال وفير، فترك إمامه الحسن عليه السلام بين عشيّة وضحاها، وهذه الحالة أيضاً لم تحصل عند أصحاب الإمام الحسين عليه السلام إذ لوح لكثير منهم ومنهم العباس عليه السلام بأن يحقن دمه، ويجعل له أمانًا، ولكنّه كان يتكلم مع العباس عليه السلام؛ والعباس عليه السلام جبل أشم أُشرِب إيماناً ومحبَّة بالإمام الحسين عليه السلام، وعاد ذلك المتكلّم خاسئًا يجرُّ أذيال الفشل، فقد أشارت الرّوايات أنّ العبّاس عليه السلام وإخوته وهكذا أصحاب الإمام الحسين عليه السلام تلقّوا عروضًا مغريةً لأجل أن يتركوا الإمام الحسين عليه السلام؛ فهذا شمر بن ذي الجوشن يذهب إلى العبّاس عليه السلام ومعه الأمان له، ولإخوته؛ وينادي: ((أَيْنَ بَنُو أُخْتِي عَبْدُ اللهِ وَجَعْفَرٌ وَالْعَبَّاسُ وَعُثْمَان؟

فما كان من العباس عليه السلام وإخوته عليهم السلام إلَّا الإعراض عنه، وعدم الرّدّ، لكن الإمام الحسين عليه السلام قال لهم: «أَجِيبُوهُ وَإِنْ كَانَ فَاسِقا فَإِنَّهُ بَعْضُ أَخْوَالِكُمْ فَقَالُوا لَهُ: مَا شَأْنُك».

فردّ اللعين: يَا بَنِي أُخْتِي أَنْتُمْ آمِنُونَ فَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ أَخِيكُمُ الْحُسَيْنِ عليه السلام

١ - معالي السبطين: ١/ ٣١٩.

وَالْزَمُوا طَاعَةَ الأَمِيرِ يَزِيد))[1].

وهنا تجلّت بصيرة أبي الفضل العباس عليه السلام، في أبهى صورها عندما رفض عرض شمر وقرّر أن يتمسّك بولايته لإمامه الحسين عليه السلام وآثرها مع إخوته على العيش في الدنيا بأمان؛

((فَنَادَاهُ الْعَبَّاسُ بْنُ عَلِيٍّ عليه السلام تَبَّتْ يَدَاكَ وَلُعِنَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنْ أَمَانِكَ يَا عَدُوَّ اللهِ أَتَأْمُرُنَا أَنْ نَتْرُكَ أَخَانَا وَسَيِّدَنَا الْحُسَيْنَ بْنَ فَاطِمَةَ عليها السلام وَنَدْخُلَ فِي طَاعَةِ اللُّعَنَاءِ وَأَوْلَادِ اللُّعَنَاءِ قَالَ: فَرَجَعَ الشِّمْرُ لَعَنَهُ اللهُ إِلَى عَسْكَرِهِ مُغْضَباً))[2].

٣. عدم الشّك بقائدهم فإنَّ من موجبات العقيدة والنّجاح عدم السّماح للنفس أن تنساق مع الوساوس والتّشكيكات؛ خصوصاً إذا كان العدو يملك الأسباب الكثيرة لإيجاد الشّك والارتياب فإنَّ من وسائل الأعداء محاولة التّقليل من شأن القائد أو الإمام أو الزعيم، وتنسج مجموعة من الأباطيل والأكاذيب حوله لغرض إضعاف التّأييد في نفوس المؤيّدين وأتباعه؛ وبالتالي تفرقهم عنه.

وقد مارست قريش هذه الدّعايات مع النبي صلى الله عليه وآله إذ اتهمته بأنَّه ساحر، أو أنَّه معلم، وليس عنده شيء إلَّا الأساطير وقصص الأوّلين، وكم من تخاذل حصل بسبب الاستسلام للدعايات والتّشكيك، ولقد كان أهل الشام قد سيطرت عليهم الدّعاية الأموية كما ذكرنا في أكثر من مورد؛ حتَّى إنّهم كانوا يتقرّبون إلى الله تعالى بشتم عليٍّ[3] عليه السلام. ومعاوية هو من قد أوجد سُنّة سبّ الإمام عليّ عليه السلام في حياة الإمام عليّ عليه السلام، حيث قنت عليه ولعنه بالصلاة وخطبة الجمعة، وأراد بذلك تشييد وتأكيد ما فعله الأسلاف، وأن يقرّر في أنفس الناس قضيّة جوهرها إنّ بني هاشم لا حظَّ لهم في هذا الأمر، وأنَّ سيّدهم الّذي به يصولون،

١ – اللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس(ت: ٦٦٤هـ)، جهان، طهران١٣٨٩هـ، الأولى: ٨٨.

٢ – م.ن: ٨٨.

٣ – ينظر: تاريخ الطبري، أبو جعفر الطبري(ت: ٣١٠هـ)، الناشر: دار التراث – بيروت الطبعة: الثانية – ١٣٨٧هـ: ٥/ ٢٥٣. شرح نهج البلاغة: ١٣/ ٢٢٠. إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات، الشيخ الحر العاملي، محمد بن حسن(ت: ١١٠٤هـ)، الأعلمي، بيروت١٤٢٥هـ، الأولى: ٣/ ٣٨٧.

وبفخره يفخرون، هذا حاله وهذا مقداره، فيكون من ينتمي إليه ويدلي به عن الأمر أبعد، وإذا سأل أحدهم من هذا الذي يُشتم في كلِّ صلاة؟

قالوا: هذا بقّال من بقّالي أهل الكوفة.

وهذا التّشكيك نفس قد حصل عند الأئمّة عليهم السلام وأهل التاريخ يقولون: إنّ بعض أهل الشام كان متدينًا لكنه كان جاهلاً، وهذا الجهل مرض يصعب استئصاله، ولا يستأصل إلَّا بالعلم؛ فالعلم يجعل الإنسان على بيّنة من أمره، لا أن ينخدع بالدّعاية والوعود الكاذبة، ويدخل ذلك التّراث الموحول المكذوب الذي أعطى لمعاوية تلك المفاتيح الكبيرة للجنّة بعدّه مثلاً كاتب الوحي[١]، وأنّ علي بن أبي طالب عليه السلام جزء من مدينة العلم[٢]، وليس بابها الوحيد، بل هناك أبواب أخرى يمكن الرّجوع إليها.

عندما نقرأ تاريخ الإمام الحسين عليه السلام لانقرأ الحسين عليه السلام وحده، نعم فيه الكفاية لكن الظّرف يجب أن يخضع لمجموعة موازنات؛ حتَّى نستطيع أن نكون من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام، الذين لم يتأثّروا بأيّ كلمة أو دعاية، وأن لا نكون مثالًا للذين انساقوا وراء الشّهوات والمناصب كقيادة الجيش في زمن الإمام الحسين عليه السلام مع علمهم بأنَّ هذا الشخص هو من يمثّل الرّسول الأعظم محمّد صلى الله عليه وآله.

أعاننا الله تعالى وإيَّاكم على نصرة الحقّ وأهله، وعدم خذلان أهل الحقّ، وأعاننا الله سبحانه وإيّاكم على إذلال الباطل وأهل الباطل، وجنّبنا الله تعالى وإيَّاكم زلّات اللسان، وحفظكم من كلِّ سوء، وبارك الله بكل جهدكم وجهادكم إنّه سميع الدّعاء، وآخر دعوانا الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطّيبين.

---

١ - ينظر: مسند أحمد، أحمد بن محمد بن حنبل(ت: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م: ٥/ ٢١٧.

٢ - روي عن رَسُول الله صلى الله عليه وآله بإسناده عن الرضا عليه السلام انه قال: (أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا- فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ فَلْيَأْتِ الْبَابَ). صحيفة الإمام الرضا عليه السلام علي بن موسى(ت: ٢٠٣هـ)، مؤتمر الإمام الرضا عليه السلام العالمي، مشهد١٤٠٦هـ، الأولى: ٥٨.

المبحث الرابع

حقيقةُ النَّصرِ الإِلهيّ

إنّ الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام يمكن أن يبدأ؛ لكن لا يُمكن أن ينتهي؛ أي أنّنا كلّما تكلّمنا عن سيّد الشهداء عليه السلام اكتشفنا أشياء أخرى، وكلّ هذه المسألة تدور في فلك الفضائل والمعارف التي نهض بها الإمام الحسين عليه السلام، لكن دعونا نأخذ سويّةً ونستشرف بعض ما فعله سيّد الشهداء عليه السلام أو الذي جاء به، ولعلّ سائلاً يسأل: ما الذي صنعه الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من محرّم؟ وهذا يصلح أن يكون عنواناً ضخماً وكبيراً : ما الذي صنعه سيّد الشهداء عليه السلام؟

هل نستطيع أن نكتشف ذلك المشروع الكبير الذي ضحّى من أجله الإمام الحسين عليه السلام؟

ومن حقّنا أن نسأل؛ لأنّنا نوالي سيّد الشهداء عليه السلام، ولأنّنا نجد شاهدًا يدفعنا لهذا السؤال؛ خاصّة ونحن نرى هذا الزّحف المليونيّ المتصاعد كلّ عام في كربلاء؛ هذه الرّقعة الجغرافيّة التي استُشهِد فيها الإمام الحسين عليه السلام، وكذلك في خارج كربلاء نرى الناس مشدودة الى الإمام الحسين عليه السلام، وهذا يدفعنا إلى تأكيد حقيقة عدم الشّكّ أنّ هناك معاني جاء بها الإمام الحسين عليه السلام، والله سبحانه وتعالى شاء لهذا الإمام عليه السلام أن يُرينا فيه عليه السلام ما نرى.

من القضايا الجديرة بالملاحظة عند الأدباء جمل يُعبّر عنها بالجمل الشّرطيّة؛ والقضية نفسها موجودة عند الأصوليّين، ولا أريد أن أُدقّق وإنّما أذكر شيئاً بسيطاً فيما يتعلق بها؛ ومعنى الجمل الشرطية أنّ هناك شيئاً معلّقٌ على شيء، وهذا التّعليق فيه نحوٌ من الارتباط، وهذا الأسلوب متكرّر في القرآن الكريم؛ وسأذكر آية حتّى نُبيّن عن طريقها أهمّيّة هذا الأسلوب؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ**﴾[1] والتفتوا معي إلى هذه الآية الشريفة، وأنَّ الجملة الشرطيّة كما قلنا يتوقّف الشّرط على الجزاء، والآن حينما نُدقّق في الآية المباركة فنجد المتحدّث هو الله تعالى يقول: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ**﴾ وفي هذه الآية الشريفة لعلّ النّظر ليس منظوراً للآخرة؛ وبعبارة أخرى لا تريد الآية القرآنية أن تتحدّث وتقتصر على الجانب الأخروي؛ فالآية المباركة لم تقل:

١ - محمد: ٧.

إن تنصروا الله يُثبّكم ويُدخلْكم الجنّة، وإنّما جعلت النصر لله تعالى بصورة مطلقة ولم يُقيّد بأيّ قيد، وأقصد بذلك إنّنا إذا نصرنا الله تعالى؛ فشرط هذا الفعل أنَّ الله تعالى ينصركم، وهذه القضيّة غير مقتصرة بالآخرة، وهناك آيات أخرى تدلّ على ذلك، وأنا في هذا المقام أتحدّث عن النّصّ التّركيبي، كيف ننصر الله تعالى؟

وقبل أن نُجيب عن هذا السؤال؛ لابُدّ أوّلاً أن نلتفت إلى أنّ جميع الأنبياء والمرسلين جاءوا بركيزتين أساسيّتين في جميع دعواهم، والحالة المشتركة بين الجميع أن تؤمنوا بالله واليوم الآخر[1]، وإذا تأملتم وتدبّرتم في القرآن الكريم ستجدونه عندما يتحدّث عن الأنبياء عليهم السلام تجد أنّ بدء الدّعوة لجميع الأنبياء هو هاتين الرّكيزتين؛ الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر، ونتيجة التّصديق بهاتين الرّكيزتين الاستقامة والاعتدال والتّحوّل إلى إنسان سويٍّ متواضعٍ.

نحن نؤمن أنَّ الله تعالى لا يحتاج إلى نصرنا، وكلمة(لا يحتاج) تعني لا يُمكن أنّ الله تبارك وتعالى في يومٍ من الأيّام يُمكن أن يحتاج، لا الآن ولا في السّماء، ولا في الأرض؛ لأنّ الله غنيٌّ عن العالمين، فإذا كان ذلك ما معنى ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ﴾؟

ومعرفة الإجابة هي أنَّ الله تعالى كلّفنا بتكاليف، وهذه التكاليف هي ما يُعبّر عنها الدّين؛ ونصرة دين الله تعالى ونصرة مبادئ الله تعالى ونصرة الحقّ الذي أنزله الله تبارك وتعالى هو نصرة له سبحانه، ومن هذا الفعل والشرط والنّصر تتعمّق العلاقة بين الإنسان وبين الله تعالى؛ وعندها سيتحوّل سلوكه إلى شيءٍ آخر.

نحن لا نجد من يعرف الله تعالى حقّ معرفته غير الأنبياء والمرسلين والأئمّة الأطهار عليهم السلام، والإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام كانت كلّ حركاته وسكناته هي فزعٌ إلى الله تعالى، والنبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله هو سيّد الكائنات وسيّد الرّسل وأكثر شخصٍ

---

١ – قال تعالى:" وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ" الأنبياء:٢٥. وقال تعالى" الله لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ الله حَدِيثًا"النساء:٨٧.

يعلم ويعرف بالله تعالى، قال: ((**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْن**))[١]، فنستنتج من ذلك عظمة المعرفة التي كان يتّصف بها سيّد الشهداء عليه السلام بالله تعالى؛ ولا يُمكن أن تكون هناك معرفة أعلى من معرفته بالله تعالى بعد جدّه وأبيه وأمّه وأخيه عليهم السلام، وأنا هنا لا أتحدّث عن ذات الله تعالى؛ وهذه نقطة أرجو الالتفات إليها، فهذا الإمام الباقر عليه السلام يقول: ((**وان الملأ الأعلى يطلبونه. كما تطلبونه أنتم**))[٢]، فالذّات الإلهيّة لا نعرف عنها شيئاً، لكن الله بآثاره وبصفاته لابُدّ أن نعرفه ونعلم به سبحانه، ولا توجد معرفة أعلى من معرفة النبيّ صلى الله عليه وآله؛ ثمّ لا توجد معرفة أعلى من معرفة الأنبياء والأئمّة عليهم السلام، وسيّد الشهداء عليه السلام تميّز واختصّ بخصيصة ولا أقول إنَّها مختصّة به دون غيره من بقيّة الأئمّة عليهم السلام بل هم كلّهم تميّزوا بها؛ لكن الخصيصة التي جَعلت هذه السّمة ظاهرةً عنده عليه السلام هو ما أعطاه في يوم العاشر من المحرّم، ولذلك بعد أن نصرَ الإمامُ الحسينُ عليه السلام دينَ الله نصره اللهُ تعالى، وأنا لا أقيّد ذلك بعالم الآخرة.

جزاءُ النَّصرِ الإلهيّ

يبقى التّساؤل المهم يلحّ علينا، ما هو النّصر الذي التزمه الله تعالى بمقتضى هذه الجملة الشرطيّة -إن تفعلْ أفعلْ-، وسيّد الشهداء لم يترك هناك شيئاً قابلاً الى أن ينصر دين الله إلّا وفعله؟؛ ولذلك أرانا الله تبارك وتعالى في الإمام الحسين عليه السلام هذه المشاهد، وهي لا شكّ ولا ريب دون المنزلة والمشاهد الحقيقيّة له يوم القيامة بل دونها بكثير.

وحين نطلب إجابة التّساؤل من القرآن الكريم نجده عندما يتحدّث عن مفهوم النّصر في بعض الآيات هكذا: ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٣]، وفي آية أخرى قال

---

١ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٢٧.

٢ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي(ت: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤١٥ هـ: ٤/ ٢٤٣، بحار الأنوار: ٦٦/ ٢٩٢.

٣ - الروم: ٢.

تعالى: ﴿**وَأُخْرى تُحِبُّونَها نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ**﴾[٢]، ولذا ومن خلال هذا التّساؤل نحاول أن نقرأ ونعرف ونعلم بالله تعالى من خلال الإمام الحسين عليه السلام أليس هو القائل: ((**فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنَا**))[٣].

إنَّ من يُريد المعارف الإلهية وخاصّة فيما يخصّ التوحيد؛ فأقرب الطّرق إلى ذلك حينما نتأمّل ونتدبّر في دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام لمن كان في الحج أو كان عند الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة؛ فهناك مضامين هائلة في دعاء الإمام الحسين عليه السلام، وهناك لاحظوا مدى ارتباط الإمام الحسين عليه السلام بالله تعالى، وعندما تقرأون دعاء عرفة ستجدون كلّ هذا الدّعاء هو عبارة عن ثناء وعبارة عن حمد لله تعالى، يبدأ الإمام عليه السلام دعاءه: ((**الْحَمْدُ للهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ وَلَا كَصُنْعِهِ صُنْعُ صَانِع**))[٤]، وحينما تستمر بالدّعاء سترى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام يذوب في الله تبارك وتعالى ولا يرى شيئاً غير الله سبحانه ولا يُفكّر بشيء إلّا في الله تعالى، يدور رضاه مع رضا الله تعالى، وكلّ سكناته وحركاته لله تبارك وتعالى، بل لا يعرف شيئاً غير الله تبارك وتعالى.

إقرأ هذه الأدعية ولاحظ مدى الارتباط الذي كان عند الإمام عليه السلام مع ربّه تبارك وتعالى؛ وهنا أَذكر من باب الشاهد على ما أدّعي، صورة ومشهداً من هذه الصور والمشاهد الرّائعة فقد قال عليه السلام: ((**لَمْ تَرْضَ لِي يَا إِلَهِي بِنِعْمَةٍ دُونَ أُخْرَى، وَرَزَقْتَنِي مِنْ أَنْوَاعِ الْمَعَاشِ وَصُنُوفِ الرِّيَاشِ بِمَنِّكَ الْعَظِيمِ عَلَيَّ**))[٥]، إنَّه اعترافٌ لله تعالى بفضله وبمنّه وبرحمته، إنّه انصهار سيّد الشّهداء عليه السلام في الله تبارك وتعالى.

إنّها حقيقة لا يمكن إلّا أن نعترف ونقر بها أنَّ سيّد الشّهداء عليه السلام يوم الطّفّ نصر

١ - الصف: ١٣.
٢ - الحج: ٤٠.
٣ - مناقب آل أبي طالب عليهم السلام: ٤/ ١٠٠، بحار الأنوار: ٤٥/ ٦.
٤ - إقبال الأعمال: ١/ ٣٤٠.
٥ - م. ن: ١/ ٣٤٠.

الله تعالى بكلّ ما تعني هذه الكلمة من النّصر؛ وأعطى ذرّيّته الطّاهرة، وأعطى أولاده وأصحابه وكلّه؛ حتّى يرضى الله تعالى، وقد تمثّلت هذه التّضحيات حينما قالت مولاتنا زينب عليها السلام في تلك اللحظات تقول: ((**اَللّٰهُمَّ تَقَبَّلْ مِنّا هٰذَا الْقُرْبانَ**))[1].

إنَّ من الجوانب المهمّة التي ركّز عليها القرآن الكريم جانب العاطفة والحزن والبكاء؛ فالإنسان فيه جنبة عاطفية؛ فهو يحزن ويتألّم ويبكي؛ وهذا يمثّل منهجاً نادى به القرآن الكريم، فالألم والبكاء منهجٌ قرآنيّ سلكه الأنبياء والأوصياء عليهم السلام؛ وكان من المظاهر الواضحة والجلية في حياتهم عليهم السلام؛ فقد نقل لنا القرآن الكريم بكاء يعقوب عليه السلام: ﴿**وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يٰأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[2]؛ ومما لا شكّ فيه أنَّ المنهج القرآنّي ليس فيه تناقض، فالبكاء منهج قرآنّي، والتّضحية لله تعالى منهج قرآنيّ، ومن ينصر الله وينصر دينه فإنَّ الله تعالى ينصره.

وأما حقيقة النّصر فهذا العمل، وطريقة النّصر ليس من اختصاصنا؛ لأنّنا علينا أن نبدأ بمقدّمة الجملة الشرطيّة -كما قلت-؛ علينا أن ننصر دين الله تعالى ثمّ أنَّ الله تعالى يتكفّل بنصرنا، وبيان ذلك وتقريبه للذهن نأخذه من واقعة كربلاء؛ فبعد واقعة الطّفّ مرّت العائلة والبيت الهاشمي والأئمّة الأطهار بظروفٍ قاسية، وقد يتوهّم القارئ المُخطئ للتاريخ أنّه لا يوجد نصر؛ فأين النّصر؟

العائلة في سبي!

الإمام زين العابدين عليه السلام في قيود.

الإمام الباقر عليه السلام مضيّق عليه.

الإمام الكاظم عليه السلام في السجن.

فأين النّصر الإلهي لمن نصر دينه؟

---

١ - العباس، السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، تحقيق: سماحة الشيخ محمد الحسون، الاجتهاد، قم، الأولى ١٤٢٧هـ: ١١٦.

٢ -يوسف: الآية ٨٤.

هذا تصوّر قد يُتصوّر، وهذا التصوّر خاطئ؛ بل هذا بنفسه نصر لله تعالى، فهذا الفعل الذي كان للإمام الكاظم عليه السلام وهو في السجن هو نصر لماذا؟

لأنَّ الله تعالى لا يوجد من هو أصدق منه، والإمام الكاظم نَصَر دين الله تعالى، والإمام الجواد عليه السلام نَصَر دين الله تعالى ولكلّ إمامٍ ظرفه الخاص الذي نصر فيه دين الله تعالى، وكلّ من يستحق النصر بعد أن قدَّم مقدمات النصر لا بُدَّ أن ينصره الله تعالى، ولو بعد حين؛ وثانياً لو قرّبنا هذه الصورة عن طريق ما يتعلّق بسيّد الشهداء عليه السلام، وكلماته عليه السلام في دعاء عرفة.

إنّ دعاء عرفة ليس معلوماً أنّه قبل السّنة التي استُشهِد فيها، فقد يكون قبل سنتين أو ثلاث أو أربع، لكن تعال إلى الإمام الحسين عليه السلام في يوم واقعة الطّفّ ويوم الابتلاء، هل تضعضع موقفه بالارتباط مع الله تعالى؟ ليس هو فقط، بل -لاحظوا- أهل البيت عليهم السلام الذين هم أبوابُ الله تعالى، إذ لا يوجد مدخل واقعيّ واضح حقيقيّ إلّا عن طريق أهل البيت عليهم السلام، دعاء عرفة نفسه فيه مقطع نهائيّ إن كان هذا جزءً من الدعاء؛ لأنّ هنالك رأي يقول إنّ المقطع أُلْحِق بدعاء عرفة وهو ليس من دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام، لكن لو كان فعلاً قد يرى أحدُ المحقّقين أنّه للإمام الحسين عليه السلام في هذه العبارة قال: **((مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ))**[1].

التَّوحيدُ الحسينيّ

فهذه العبارة تنبّه الإنسان إذا وجد الله تعالى؛ فأيّ شيء ليست له قيمة عندما يفقده لأنّه زائل، فما دمت وجدت الدَّائم فهل تتمسّك بالزَّائل؟، والإنسان عندما لا يجد الله تعالى وجد أشياء زائلة، ما قيمتها؟ وما قيمة هذه الأشياء؟، وهنا تكمن أهمّيّة الموضوع إنَّ الإمام الحسين عليه السلام في ليلة العاشر جمع عليه السلام أصحابه

١ - إقبال الأعمال: ١/ ٣٤٩، بحار الأنوار: ٩٥/ ٢٢٦.

ليخطبهم وكان علي بن الحسين السجّاد عليه السلام مريضاً، فروى عنه وقال: دنوت منه لأسمع أبي فسمعته يقول لهم -أي لأصحابه-، هذه ليلة العاشر من محرّم -يعني مساء التاسع-، والإمام الحسين عليه السلام يعلم أنّها آخر ليلة ولم يبقَ ما بينه وبين الشهادة إلّا ساعات، حتى ينقضي هذا الليل وتبدأ الملحمة الكبرى والفاجعة، وأيضاً يبدأ الفتح، ماذا قال الإمام عليه السلام؟ قال: ((**أُثْنِي عَلَى اللهِ أَحْسَنَ الثَّنَاءِ وَأَحْمَدُهُ عَلَى السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ اللهُمَّ إِنِّي أَحْمَدُكَ عَلَى أَنْ أَكْرَمْتَنَا بِالنُّبُوَّةِ وَعَلَّمْتَنَا الْقُرْآنَ وَفَقَّهْتَنَا فِي الدِّينِ وَجَعَلْتَ لَنَا أَسْمَاعاً وَأَبْصَاراً وَأَفْئِدَةً فَاجْعَلْنَا مِنَ الشَّاكِرِين**))[١]، هذه هي العلاقة مع الله تعالى والإمام عليه السلام يذوب في الله تبارك وتعالى، ويوم العاشر من المحرّم وبعد أن رأى ما رأى سواءً كان في مصرع بعض أصحابه أو اقترب الوعد الحقّ يقول: ((**اللهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّة**))[٢]، إخواني كلام سيّد الشهداء نور، كما ورد في الزيارة الجامعة الكبيرة من تراث الإمام الهادي عليه السلام: ((**كَلَامُكُمْ نُور**))[٣] وواقعًا هي تراث كبير جدّاً، علينا جميعاً بها، وأن يتأمّل الإنسان كيف يَقْدِم إلى الأئمّة وكيف يزور الأئمّة عليهم السلام، وما هذه المنزلة؟ ((**كَلَامُكُمْ نُورٌ وَأَمْرُكُمْ رُشْدٌ وَوَصِيَّتُكُمُ التَّقْوَى وَفِعْلُكُمُ الْخَيْرُ وَعَادَتُكُمُ الْإِحْسَانُ وَسَجِيَّتُكُمُ الْكَرَمُ**))[٤]، وكلّ هذه الفضائل هي واحدة.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر من المحرّم يقول: ((**اللهُمَّ أَنْتَ ثِقَتِي فِي كُلِّ كَرْبٍ وَرَجَائِي فِي كُلِّ شِدَّةٍ وَأَنْتَ لِي فِي كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بِي ثِقَةٌ وَعُدَّة**))[٥]، من منّا يقوى أن يبقى على هذا النّهج الى آخر لحظةٍ في حياته؟ وآخر لحظة ليست لحظةً عاديّة؛ فالنّساء

١ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩١، روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ١/ ١٨٣.

٢ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩٦.

٣ - تهذيب الأحكام، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، تحقيق: الخرسان، دار الكتب الإسلامية، طهران،١٤٠٧هـ، الرابعة: ٦/ ١٠٠.

٤ - م. ن: ٦/ ١٠٠.

٥ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩٦.

والرّضّع والأطفال والعائلة في وضعٍ صعبٍ للغاية، ويبقى سيّد الشّهداء عليه السلام شامخاً لا يتزعزع أصلاً، وهو عليه السلام يقول في موطنٍ آخر: ((**هَوَّنَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ الله**))[1]، نحن نعلم أنَّ الإنسان يتعرّض للجراحات والألم، والإمام عليه السلام أيضاً يتألّم، والإمام عندما يُجرح يتألّم، وعندما يعطش يتألّم، لكن ماذا يقول عليه السلام، يقول: (**هَوَّنَ عَلَيَّ مَا نَزَلَ بِي أَنَّهُ بِعَيْنِ الله**)، أي أنَّ كلَّ ما نزل بي هو أمرٌ هيّن، ما الذي هوّنه؟ يوجد طبيب يعالج؟ وهل بالإعجاز الإمام يُعالج جروحه؟ لا أبداً، التفتوا هذه نكتةٌ مهمّة، ما الذي هوّن المصيبة؟ الذي هوّنها أنّها بعينك يا ربّ، هذا كلّه لأجل أن ترضى.

إسماعيل عليه السلام فتى شاب عندما أبلغه أبوه إبراهيم عليه السلام -ورؤيته صادقة- أنَّ هناك أمراً إلهيّاً ﴿**قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ**﴾[2]، وهذه حالةٌ تقبُّلُها ليس أمراً سهلاً، ولكن إسماعيل عليه السلام استسلم؛ لأنّه من الله تعالى ﴿**قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾[3]، وهذا التّسليم لإسماعيل عليه السلام شيءٌ كبير أمام الله تعالى، وحينئذٍ الله تعالى فداه. وحينما نقول: ما الذي صنع الإمام الحسين عليه السلام يوم الطّفّ؟ نعم الإمام أظهر التّوحيد في يوم الطّفّ بأبهى صورة، وجعل كلّ ما يتعلّق من أسماء الله وصفات الله وجسّدها يوم الطّفّ، فنصَرَ دين الله ونصَرَ صفات الله ونصر أسماء الله، والله جلّ وعلا نصره أيضاً ولم يجعل للحسين عليه السلام مكاناً إلّا ونصره فيه، فذلك التّضرّع لله تعالى يُبيّن عظمة التوحيد الموجود عند الإمام الحسين عليه السلام: ((**كَمْ مِنْ هَمٍّ يَضْعُفُ فِيهِ الْفُؤَادُ وَتَقِلُّ فِيهِ الْحِيلَةُ وَيَخْذُلُ فِيهِ الصَّدِيقُ وَيَشْمَتُ فِيهِ الْعَدُوُّ أَنْزَلْتُهُ بِك**))[4]، ولاحظوا هنا « كم » التي عبَّر عنها أهل النحو: هذه (كم) الخبريّة وليست (كم) الاستفهاميّة، يعني ليس أنّك تسألني كم عندك؟ فأجيبك، بل هي كم الخبريّة

١ - اللهوف على قتلى الطفوف: ١١٧.
٢ - الصافات: ١٠٢.
٣ - الصافات: ١٠٢.
٤ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩٦.

يعني أنّ الإمام يريد أنّ يُبيّن حاله وهو في يوم العاشر، يقول: هناك نِعَم كثيرة ومشاكل كثيرة كلّها أنزلتها بك، ((**أَنْزَلْتُهُ بِكَ وَشَكَوْتُهُ إِلَيْكَ رَغْبَةً مِنِّي إِلَيْكَ عَمَّنْ سِوَاكَ**))[1]، فهو لا يرى شيئاً إلّا الله تعالى، ولا يعرف شيئًا آخر إلاّ الله سبحانه، وكلّ شيءٍ يعرفه لأنّ الله تعالى أمرَهُ بمعرفته.

مظهرُ الصّفات الإلهيّة

نحن نعرف التّوحيد بأنّ الله تعالى واحد، لكن ملازمات التّوحيد ما هي؟

و كيف نتعامل مع صفات الله سبحانه؟

و كيف نتعامل مع صفة الرّازق؟

بعض الناس إذا تأخّر رزقه يغضب وينزعج، وإن كان يؤمن أنّ الله تعالى رازق، أمَّا الإمام الحسين عليه السلام ليس هكذا، وإنْ حبس الله تعالى عليه النّصر على العدوّ في حينها؛ فالإمام الحسين عليه السلام لا ينزعج ولا ييأس، والإمام الحسين عليه السلام لا يضجر؛ لأنّه لا يرى شيئاً إلّا الله تعالى، إن قال له: مُتْ يمُتْ، ابقَ يبقَ، وهذه خصيصةٌ جُسّدت يوم العاشر؛ أنا أقول: جُسّدت يوم العاشر لكنّها عند الإمام زين العابدين عليه السلام موجودة وعند الإمام الباقر والإمام الكاظم عليهما السلام أيضاً موجودة، لكن المشهد العاشورائيّ لم يكن عند بقيّة الأئمّة، يُسمّ الإمام عليه السلام ثمّ يستشهد، أمّا هذا المشهد العاشورائي بهذه الطّريقة؛ طريقة أن يقدّم كلّ شيء لله تعالى؛ لأنّ الله تعالى هو الذي يريد ذلك، ويُضحّي هذه التَّضحية التي ليس لها مثيل في التأريخ يُمثل صورة استثنائية؛ ونحن في عقيدتنا أنَّ الله تعالى أَذِنَ للإمام الحسين عليه السلام أن يطلب النّصر من الملائكة[2] والإمام وهذا الوجود البشريّ المجسّد لكلّ صفات الله تعالى لم يفعل.

---

١ – الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩٦.

٢ – ينظر: بحار الأنوار : ٤٥/ ٢٢٠.

بعض أرباب المقاتل عندهم جملة لطيفة حينما يريدون ذكر الإمام الحسين عليه السلام يقولون: يا رحمة الله الواسعة، ويا باب نجاة الأمّة؛ والقرآن الكريم قبل ذلك يعبّر عن النبيّ صلى الله عليه وآله ويقول: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾[1]، والنبيّ صلى الله عليه وآله يقول: (**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْن**)، وهذه الرّحمة التي تكون عند النّبيّ صلى الله عليه وآله وهي فيضٌ من تلك الرّحمة الإلهيّة الواسعة، لكن النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله هذا الوجود الكامل هو رحمة من الله تعالى، ووجود الإمام الحسين عليه السلام هو وجود الرحمة، وهذه المدركات مدركاتٌ مهمّةحتّى نعرف كيف نتعامل مع سيّد الشهداء عليه السلام حتى لا نضل كما كانت الأمّة في ضلال عندما رفضت رحمة الله تبارك وتعالى، ولا شكّ أنَّ العذاب حلّ بها، والله تعالى كما ينصر بحساباته يمنع الرحمة عن الناس بحساباته، والله تعالى يخذل بحساباته الظّالمين؛ لأنّهم تركوا الحقّ.

إنَّ التاريخ يعيد بعضه بعضًا؛ ولو أنَّ طاغوتًا جبّارًا عنيدًا تصدّى لأن يمنع كلّ ما يتعلّق بالإمام الحسين عليه السلام أيضاً سيُخذل كما خُذِل من تصدّى قبله، ولو أنَّ عبدًا سعى لأنْ ينصر الإمام الحسين عليه السلام أيضاً الله تعالى سينصره، معادلة لا تقبل الخطأ، والله تعالى ينتصر ولو بعد حين، والله تعالى يُرينا أنَّ هذا الإمام عليه السلام عندما اجتاز هذه المرحلة في سويعات من العاشر خُلِّد أربعة عشر قرنًا، وهذه الآية ناظرة إلى الدّنيا، أمّا نظر الآخرة شيءٌ آخر، ومقام الإمام الحسين عليه السلام يوم الآخرة شيء آخر، وأنا شخصيًّا لا أفقه ذاك المقام الكبير جدًّا، وكلّما حاولت أن أتصوّر مقام الإمام الحسين عليه السلام حقيقةً يرجع البصر إليّ خاسئاً، والعقل يرجع كليلاً للمقام الهائل والكبير الذي سيقدّمه الله تبارك وتعالى لسيّد الشّهداء يوم القيامة، ما برز من فوائد هذه النّهضة المباركة هذا شيء، ونحن نتحسّس هذه الرّحمة الإلهيّة التي كانت في النّبيّ، والرّحمة الإلهيّة التي كانت في أمير المؤمنين والتي كانت في الحسن وفي الزهراء عليها السلام، والرّحمة

١ - الأنبياء: ١٠٩.

الإلهيّة التي كانت في سيّد الشهداء عليه السلام، وعندما يقول القائل: يا رحمة الله الواسعة فهذا كلامٌ صادق وكلامٌ صحيح، والله تعالى هو فيضُ الرّحمة، والإمام الحسين عليه السلام نصر دينَ الله تعالى، فالله تعالى تكفَّل ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ﴾.

لقد تحقّق الأوّل بلا شكّ على الرّغم من أنّه طبّل من طبّل وأخرج الإمام الحسين عليه السلام عن السمت المستقيم، وتحرّكت الماكنات الإعلاميّة والعهود والظلمة حتّى شاهدنا قبل عشرين عاماً وأكثر أنَّ بعض من كان يمشي الى الحسين عليه السلام سُجن، والتُّهمّة ممارسة دينيّة خاطئة، لأنّه يمشي إلى الإمام الحسين عليه السلام. إنَّ هذا الأمر ليس بيدك وانظرْ الى التاريخ ولمن ذهبتَ بلعنات الدنيا والآخرة، وقد فاز من مشى إلى الإمام الحسين عليه السلام، وهذا أمرٌ خارج عن الحسابات الجزئيّة، فقد فعَلَها من هو أكبر منك، والأمر خارجٌ عن حساباتنا؛ لأنّ الإمام سيّد الشهداء نصر الله تعالى، ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ﴾ والله وعَدَ أن ينصره ونَصَره، وما نشاهده الآن هو شيء يسير من المقام الهائل لسيّد الشهداء عليه السلام.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمعنا وإيّاكم مع سيّد الشهداء عليه السلام، وأن يجعلنا من الذين ينصرون الله تعالى وينصرون دينه حتّى نوفّق في ذلك اليوم المبارك الكريم الذي نرى فيه سيّد الشّهداء عليه السلام وهو يشفع فينا ويقبل الله تعالى شفاعته، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين وصلّى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطّاهرين.

المبحث الخامس

تجدُّدُ عَاشوراء

إنَّ الحديث عن عاشوراء حديثٌ يتكرّر؛ بمعنى أنّ الأحداث التاريخيّة دائماً فيها منهج يمثّل منهج الإمام الحسين عليه السلام وإن كان صاحب المنهج ليس من الأئمّة الأطهار عليهم السلام وليس معصوماً كشخص المعصوم، ولكن كمنهج دائماً يوجد منهج أو توجد جهة أو شخص يمثّل هذا المنهج سواء أطلقنا عليه المنهج العاشورائيّ أو المنهج الحسينيّ أو المنهج المحمّدي وما شئت فعبّر، وكذلك في الطَّرف الآخر يوجد منهج منحرف عن الحقّ سواءً أطلقنا عليه المنهج الأمويّ، أو المنهج الشيطانيّ أو المنهج المنحرف، وما شئت فعبّر.

ولا بُدّ للمنهج الأوّل أن تكون له مقوّمات، والمنهج الثاني أيضاً له مقوّمات عبّر عنها بمقوّمات أو عبّر عنها بمبادئ منحرفة، أو عبّر عنها دنيا، أو عبّر عنها بما شئت، لكن عندما نعرض المشهدين معاً سترى المشهد الأوّل كالشمس في رابعة النّهار وضوحاً، والمشهد الثاني كالليل المظلم المعتم الذي لا يغيب عن الفاحص المتدبّر، فالأوّل حجّةٌ على كلّ منصِف وعليه أن يتّخذه، والباطل أيضاً حجّة لكن الابتعاد عنه من باب ((**اللهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَأَرِنِي الْحَقَّ حَقّاً حَتَّى أَتَّبِعَهُ وَأَرِنِي الْبَاطِلَ بَاطِلًا حَتَّى أَجْتَنِبَه**))[1]، فرؤية الحقّ ورؤية الباطل مهمّة لغرض اتّباع الأوّل واجتناب الثاني، والإمام الحسين عليه السلام كان يُمثّل الأنموذج الحقّ، فهو حجّةٌ على جميع الخلائق إلى أن يرث الله الأرض ﴿**وَمَنْ عَلَيْها**﴾[2]، والمنهج الآخر الذي يُمثّل الباطل هو أيضاً حجّة من باب كونه منهجاً منحرفاً أيضاً إلى يوم القيامة، وبعض أصحاب الإمام الحسين عليه السلام لِوَعْيه ولإدراكه قال: ﴿**إن الله قد ابتلانا واياكم بذرّيّة نبيّه محمّد**(صلى الله عليه وآله) **لينظر ما نحن وأنتم عاملون**﴾[3]، بمعنى ماذا تفعل إزاء هذا الأنموذج الذي أمامك؟ ومجرّد الدّعوى وأن يقول الإنسان: أنا مؤمن وهذه دعوى سهلة، لكن تطبيق هذه الدعوى ليس بالأمر السهل، بل يحتاج إلى مجاهدة ويحتاج إلى مزيدٍ من الدّقّة.

---

١ -مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، الطوسي، محمد بن الحسن(ت: ٤٦٠هـ)، مؤسسة فقه الشيعة، بيروت١٤١٤هـ، الأولى: ١/ ١١١.

٢ - مريم: ٤٠.

٣ - وقعة الطف: ٢١٠.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام له تعريفان؛ التعريف الأوّل هو التّعريف الشّخصيّ، والذي هو الإمام الحسين بن علي عليه السلام وابن فاطمة عليها السلام، وهذا التّعريف الشّخصيّ يسلّط الضوء على معرفة نسب الإمام عليه السلام ومعرفة إخوان وأخوات الإمام عليه السلام، وهذا التّعريف الشخصيّ عندما يُعرض نجد أنّه لا يوجد أسمى وأفضل من هذا الوجود المبارك، مع هذا التعريف الشخصيّ هناك تعريف آخر وهو التعريف المعنويّ، الذي تكون له جذوة في النَّفس، وإذا أدركها الإنسان يُفتح أمامه طريقٌ واسع من الحقّ لا يحيد عنه أبداً.

وكأمثلة واقعية وحقيقية على ذلك نذكر مجموعة منها:

لم يكن الحُرّ[1] من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام بل كان من أشدّ الناس الذين ضيّقوا على الإمام الحسين عليه السلام قبل واقعة الطّفّ، وعندما جاءته أوامر مَنْ كان يعتقد بهم أنْ جعجع[2] بالحسين عليه السلام، ولا تجعله في مكانٍ يمكن أن يقاتلنا منه بقوّة، وأبعدْه عن الماء، وأبعدْه عن مكانٍ لا تُسمع له واعية، ولذلك عندما جاء الإمام الحسين عليه السلام تسبّب الحرّ في تغيير طريقه، فقد ألّب الجموع على الإمام الحسين عليه السلام، لكن الحُرّ كانت تنقصه هذه الجذوة، وكانت تنقصه حالة الاتّقاد حتى يلتفت، وعندما جاء يوم عاشوراء بدأ هذا الرجل يُفكّر إلى أن حسم أمره ونِعْم ما فعل.

إنَّ القتل في جميع حالاته واحد، ولو فرضنا أنّ الحُرّ ممكن أن يعيش بعد واقعة الطّفّ كما عاش الذين قتلوا الإمام الحسين عليه السلام أياماً أو سنيناً معدودات لكن الخاتمة انتهوا إلى مزبلة التاريخ، أمّا الحُر تدارك وحسم أمره، والقول الذي قاله أصبح شعارًا لكلّ تائب: **(وَاللهِ إِنِّي أُخَيِّرُ نَفْسِي بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَوَ اللهِ مَا أَخْتَارُ**

---

١ - الحر بن يزيد بن ناجية بن قعنب بن عتاب الردف بن هرمي بن رياح بن يربوع، التميمي، جمهرة أنساب العرب، بن حزم الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م: ١/ ٢٢٧.

٢ - أي أَزْعِجْه و أَخْرِجه، وقال الأَصمعي: يعني احْبِسْه، وقال ابن الأَعرابي: يعني ضَيِّقْ عليه، فهو على هذا من الأَضداد؛ قال الأَصمعي: الجَعْجَعَةُ الحَبْس، قال: وإنما أَراد بقوله جَعْجِعْ بالحسين عليه السلام أَي احْبِسْه، ينظر: لسان العرب: ٨/ ٥١.

عَلَى الْجَنَّةِ شَيْئاً وَ لَوْ قُطِّعْتُ وَ حُرِقْتُ)[١]، وفي حقيقة الأمر إنَّ هذا درسٌ عاشورائيّ إيجابي جدّاً لكلّ تائب أن يقول: إنّي أخيّر نفسي بين الجنّة والنّار، وتأمّلوا عمر الحرّ من ولادته إلى يوم الطّفّ كان عمراً في حالةٍ أخرى؛ لأنّه لم يعرف سيّد الشّهداء عليه السلام، لقد كان يتخبّط وعندما عرف سيّد الشهداء عليه السلام جاء منكّسًا رأسه تائبًا مخاطبًا الإمام الحسين عليه السلام: (يَا ابْنَ رَسُولِ اللهِ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ)[٢]؟ لأنّه علم بعد أن التفت أنّ ما جاء به كان شيئاً إدّاً، وهو أن يمنع سيّد الشهداء من أداء مهمّته، ويضيّق على الإمام الحسين، ويقف ندّاً أمام الإمام الحسين عليه السلام، فأيّ جهالةٍ كان فيها؟ نعم.. كان عنده تردّد، ويقول: **(عندما خرجتُ سمعت منادياً ينادي أبشرْ بالجنّة يا حرّ)**[٣]، وكان يندب حظّه، أيّ جنّةٍ وأنا ذاهب لمقاتلة ابن بنت رسول الله؟ ولاحظوا هذه الحالة وُفِّق لها أيّما توفيق، وبعد أن تاب قدّم كلّ ما يملك خدمة لسيّد الشهداء عليه السلام، والإمام توّجه بكلمةٍ جليلة: **((أَنْتَ الْحُرُّ كَمَا سَمَّتْكَ أُمُّكَ حُرّاً فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ))**[٤]، وتدبّروا معنى أن يكون الإنسان حرًّا؛ فالإمام لا يتكلّم عن اسمه الشّخصيّ، وإنَّما يتكلّم عن الصفة **(أنت حرٌّ في الدنيا)**؛ لأنّه تحرّر من قيود العبيد وتحرّر من أن يكون عبداً لغير الله تعالى، وتحرّر من هذه الخصلة فصار حُرًّا، فأصبح الحرّ هو ذلك العبد الذي يكون عبدًا لله تعالى فقط، والحرّية لا تُكتسب بغير العبودية لله تبارك وتعالى، وإذا كان الإنسان عبدًا لغير الله وإن ادّعى أنّه حرّ فإنّه ليس بحرٍّ، وإنَّما هو عبدٌ للشهوات وهو عبدٌ للسلطة، وعبدٌ للمال ولغيرها من الملذّات والشّهوات؛ والإمام توّجه بهذا التاج (أنت حرٌّ في الدّنيا)؛ لأنّه كسّر هذه القيود التي حاولت أن تشدّه

---

١ - إعلام الورى بأعلام الهدى (ط - القديمة): ٢٤٢.

٢ - الأمالي(للصدوق): ١٥٩.

٣ - ينظر: بحار الأنوار: ٤٤ / ٣١٤.

٤ - اللهوف على قتلى الطفوف: ١٠٤.

إلى أمثال بعض نكرات التاريخ، (وسعيدٌ في الآخرة)، هذا المقام الكريم الذي استفاد منه الحرّ مَعْلَمٌ من مَعالم واقعة الطّفّ.

هذا الأمل الذي يكون عند المذنب ويتدارك ذلك في لحظةٍ من اللحظات بنيّة صادقةسيجرّه إلى توفيق الله تعالى، وتوبةُ الحُرّ كانت على يدي أبي عبد الله عليه السلام، فتأمّلوا المنزلة الكريمة الكبيرة العظيمة وأن يحظى برؤية الإمام الحسين عليه السلام وهو تائب ويدعو له سيّد الشهداء في أواخر حياته، والحقيقة والواقع أنَّ هذه سعادة ما بعدها سعادة.

قرابينُ الشَّهادَةِ

إنَّ أنصار سيّد الشهداء عليه السلام لم يتردّدوا ولم يشكّوا، وكانوا يتدافعون ليقدِّموا أنفسهم بين سيّد الشهداء عليه السلام، ومن الأمثلة التي كلّما أتذكرها أعجب من إيمانها وثباتها؛ شخصيّة سعيد الحنفي[1]، هذا الذي وقى الإمام الحسين عليه السلام ووقف أمامه عندما صلّى بالبقيّة الباقية من أصحابه، وتصوّروا الموقف وأنَّه يقف أمام الإمام الحسين عليه السلام؛ حتّى يقيه من الرّماح والنّبال وكلّ ما قد يُمكن أن يصدر من الأعداء، وهذا ليس أمراً سهلاً، لكن هذا الرجل مملوءٌ إيماناً من رأسه إلى قدميه، لقد وقف درعاً حتَّى لا تصيب السهام الإمام الحسين عليه السلام، إلى أن أُثخن بالجراح واستُشهِد، وهنا لم يُمثّل الوفاء فقط وإنّما عكس الشّجاعة بكلِّ درجاتها.

الإنسان في بعض الحالات عنده وفاء لكنه لا يملك الشجاعة، ويُمكن أن يكون صادقاً لا يكذب لكنّه لا تطاوعه نفسه أن ينزل إلى المعارك، وأمّا أصحاب الإمام

---

١ – سعيد أو سعد بن عبد الله الحنفي، من أنصار الحسين عليه السلام الذين استشهدوا معه في كربلاء، كما كان من وجوه الشيعة وأعيان الكوفة. لعب دوراً هاماً في دعوة الإمام عليه السلام إلى العراق، فكان حاملاً لكتب أهل الكوفة في مرحلتين إلى الإمام الحسين عليه السلام، وفي المرة الثانية حمل رسالة مسلم، وسلّمها للإمام عليه السلام، والتحق بالركب الحسيني عليه السلام، وجاء معهم إلى كربلاء. له خطبة في ليلة عاشوراء في الدفاع عن الإمام الحسين عليه السلام تكشف عن ولائه لآل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم. مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٩٧؛ وقعة الطف، ص ٢٦٦.

الحسين عليه السلام فقد حملوا مجموعة من الصّفات؛ الشّجاعة، والوفاء، والصّدق؛ إضافةً إلى العلقة مع الله سبحانه وتعالى؛ فقد روي أنّه في ليلة العاشر كان لهم دويّ كدويّ النّحل ما بين قائمٍ وقاعد وراكعٍ وساجد، بالإضافة إلى انصهارهم في سيّدهم الإمام الحسين عليه السلام كأنّهم أصبحوا جزءًا منه، يأتمرون بأمره وينتهون إذا زجرهم أو منعهم، لم يأتوا إلى القتال طواعيةً بل كانوا يستأذنون من الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ واقعة الطّفّ ليست معركة آنيّة، بل هي معركة مبدأ وهي معركة وجود وحضور الحقّ، وهذه من أصعب الأشياء، فالإنسان عندما يرى الحقّ أمامه وكيف يتعامل مع هذا الحقّ، وهؤلاء لم يستفيدوا من الإمام الحسين عليه السلام فقط؛ وإنّما أفادونا وعلّمونا كيف أنّ الإنسان إذا تعلّق بالحقّ لا يلتفت إلى أيّ شيء زائل، فكلّ شيء تركوه وراء ظهورهم، والإنسان عندما تكبُرُ نفسه ربّما يشتبه وبمجرّد أن يُنبّه ينتبه، وعلى سبيل المثال زهير بن القين -مثلاً- لم يكن على وفاق مع نهج الإمام الحسين عليه السلام أبداً، وإنّما كان كارهًا لهذا النّهج أصلاً، لكن كانت نفسه كبيرة وكان عاقلاً، لكنّه كان مشتبهًا يحتاج إلى هذا الذي عبّرنا عنه (بالجذوة)[1]، ويحتاج إلى انتباه أو إلى تنبيه، ويحتاج إلى شخصٍ يقول له كلمة لينتبه، وفعلًا الإمام الحسين عليه السلام عندما أرسل إليه بكلماتٍ قصيرة تهلّل وجهه فرحاً، وانتهى كلّ ما كان من خلفه، وانتهت الدّنيا بماضيها وبدأت دنيا جديدة له مع سيّد الشّهداء عليه السلام، لقد تغيّر وطلّق كلّ لذّات الدّنيا وذهب ليطلّق زوجته[2] حتى لا يعرضها لسوء، وجاء إلى الإمام الحسين عليه السلام وفعل ما فعل في واقعة الطّفّ، فكان سيفًا من سيوف الإمام الحسين عليه السلام على أعدائه، ولاشكّ أنَّ هذا توفيق، وعلى الإنسان أن لا تأخذه العزّة بالإثم، وإنّما إذا التفت إلى الحقّ اتّبع الحقّ.

---

١ - الجذوة: وهي النار التي تأْخذها في طَرَف عُود، لسان العرب :٦/ ١٦٧.

٢ - الإرشاد للمفيد : ٢/ ٧٢ ، بحار الأنوار : ٤٤/ ٣٧١.

-زهير بن القين -علامةٌ مشرقة من علامات الطَّفّ وهو ليس نصيراً فقط وإنّما أنصار الحسين عليه السلام كلّهم دخلوا في قول: ((**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَوْلِيَاءَ اللهِ وَأَحِبَّاءَه**))[١] لكن لكلٍّ منهم خصوصيّة، علّمونا نحن كيف تكون هذه الخصوصيّة إذا تعرّض الإنسان لحالةٍ من الضبابيّة وانكشف الحقّ.

أمّا برير[٢] فقد كان من العُبّاد، وكان يُقرأ القرآن في مسجد الكوفة، ومما لا شك فيه أن قراءته لم تكن بالقراءة العادية التي تقتصر على لفظ الكلمات؛ وإنّما كان لقراءته معنى آخر، ولا يزال هذا المصطلح عندنا الآن في الحوزة، نقول: ماذا تقرأ؟ يعني ماذا تدرس؟ وقد روي عنه أن كان يعلّم ويفسر القرآن الكريم[٣]، وفَهْمُ برير غير فهم الخوارج؛ فالخوارج أيضاً كانوا يقرأون القرآن ويتعبّدون، وهناك ثفناتٌ على جباههم من السجود، لكنّهم أناسٌ لم يعرفوا الحقّ أصلاً؛ لذلك وقفوا أمام أمير المؤمنين عليه السلام، وكان وقوفهم أمامه شديدًا، وأمير المؤمنين -كما تعرفون- لا يُقاتل أحداً ما دام للحوار بقيّة؛ أمّا برير عندما يقرأ القرآن يعرف أنَّ هذا القرآن على مَنْ نزل، ويفهم أنّ هذا القرآن مَنْ يفهمه، فلذلك لاحظوا عندما جاء الإمام الحسين عليه السلام لم يفكّر برير كزهير والحُرّ؛ لأنّ نهجه من الأوّل كان نهجًا واضحًا فاندفع إلى الإمام الحسين عليه السلام بلا رويّة، وهنا جعلت تركيزي على هذه الصّفات المميّزة في أصحاب الحسين عليه السلام، وإن كان كلّهم دخلوا في قوله عليه السلام: ((**فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَاباً أَوْفَى وَلَا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِي**))[٤]، لكن لاحظوا طريقة التّعامل في كلّ شخص منهم.

---

١ - مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ٢/ ٧٢٢.

٢ - برير بن خضير الهمداني، كان شجاعًا تابعيًا ناسكًا قارئا من شيوخ القراء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام له كتاب القضايا والاحكام يرويه عن أمير المؤمنين والحسن عليهما السلام وله يوم الطف قضايا ومواعظ تدل على قوة إيمانه وكماله منها قوله لمولانا الحسين عليه السلام: «والله يا بن رسول الله لقد من الله بك علينا أن نقاتل بين يديك فتقطع فيك أعضاؤنا ثم يكون جدك شفيعنا يوم القيامة»، مستدركات علم رجال الحديث، الشيخ علي النمازي الشاهرودي: ٢/ ٢٠.

٣ - ينظر: تاريخ الطبري: ٥، ٤٣٣.

٤ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩١.

وهذا حبيب بن مظاهر -رضوان الله عليه-[1] مملوءٌ من رأسه إلى قدمه إيماناً، وهو العالم بما علّمه -أميرُ المؤمنين مع ميثم التمّار-، وهو يعلم مصير الأمر إلى أين، ولذلك هو وأمثال- مسلم بن عوسجة[2] -طرازٌ نادر، وعندما وقعت الواقعة هؤلاء كان الأمر عندهم كأنَّهم شاهدوه من سنين فلم يتبدّل الحال عندهم، اندفعوا اندفاع الأبطال إلى أن ضُرِّجوا بدمائهم فأعطونا هذا المنهج العاشورائيّ الذي هو معينٌ لا يمكن أن يجفّ.

في كلّ يوم وفي كلّ شهر وفي كلّ سنة نقف إجلالاً أمام هؤلاء الصّفوة لنتعلّم منهم، إذا تعلّمنا منهم وإذا وصلنا إلى مرتبةٍ نبدأ نُفكّر كيف نعرف الحسين عليه السلام، ومما لا شكّ فيه أنَّ هؤلاء مع هذه العظمة التي عندهم لكنّهم أحاطوا بفناء الإمام الحسين عليه السلام، وبقوا في رحبةٍ خارجيّة، لأنّ الإمام الحسين عليه السلام مسألته مسألة أخرى.

أبوابُ المعرِفَة

الشَّاهد، أنّ هذه البصيرة التي تمتّع بها هؤلاء أنتجت واقعة الطّفّ، ولعلّ الله تعالى شاء أن نتعلّم منهم، وإلّا الإمام الحسين عليه السلام قد يكون في غنىً عن أصحابه واقعاً، ولو فرضنا أن أصحابه جميعاً تخلّوا عنه لو فرضنا ذلك، والإمام الحسين عليه السلام حتماً لا يرجع بل يبقى يقاتل، فبالنتيجة هؤلاء الصفوة دخلوا في مشروعٍ عظيم هو مشروع سيّد الشهداء عليه السلام: ((**وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي** صلى الله عليه وآله))[3]، وهؤلاء دخلوا في مشروع الإصلاح فهم مصلحون في أمّة جدّ الحسين عليه السلام وهو النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله؛ لذلك هذه المقاطع التي يقرأها أرباب المقاتل لابُدّ أن نقف عندها، برز فلان وقُتِل وبرز فلان وقُتِل لكن نتأمّل، وتصوّر لو كنت الآن في واقعة الطّفّ وترى وتسمع صليل السّيوف والخيول وطبيعة المعركة، وتنظر

١ - حبيب بن مظاهر وقيل مظهر، بفتح الظاء و تشديد الهاء و كسرها، والأول بخط الشيخ رحمه الله ى، سين [جخ، كش] قتل مع الحسين عليه السلام وكان من السبعين الذين نصروا وصبروا على البلاء حتى قتلوا بين يديه، رحمهم الله تعالى، الرجال، لابن داود: ٩٩.

٢ - ينظر: جمل من أنساب الأشراف، البَلَاذُري(ت: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر - بيروت، الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م: ١١/ ١٨١.

٣ - بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٢٩.

النّساء تصرخ والخيام تُحرق، والإمام الحسين عليه السلام يستغيث، وأهلُ البيت صرعى، هذا ليس أمرًا سهلاً ومع ذلك يأتي هؤلاء يقدّمون أنفسهم لخدمة سيّد الشهداء عليه السلام ويدخلون إلى المعركة ويُقطّعون إربًا إربًا مع وحوش كاسرة.

إنَّ هذه النّماذج نحن نتشرّف بأن نتعرّف عليها؛ حتّى تكون مقدّمةً لأن نتعرّف على سيّدهم، وكثير من زيارات سيّد الشهداء عليه السلام لا تغفلهم بل تعرّج عليهم، وكأنّها تنادينا يا من تزورون الحسين عليه السلام تذكّروا هؤلاء، واعرفوا هؤلاء كيف وقفوا هذه الوقفة ولم يكونوا من أهل بيته، أمّا أهلُ بيته فلهم مقامٌ آخر، ولهم تعامل خاصّ مع سيّد الشّهداء عليه السلام وأحاطوا به هذه الإحاطة وكانوا أيضاً يمثّلون شمسًا ومجموعة من الأقمار حوله، ففازوا بحقيقة الخلود، والآن الدنيا كلّها تخضع للحسين عليه السلام شاء من شاء وأبى من أبى، لقد تمتّع الإمام الحسين عليه السلام بقوّةٍ بحيث يجذبنا حبّاً أو رغماً، حتّى الذي لا يعرف الإمام الحسين عليه السلام.

اليوم الإمام الحسين عليه السلام ملأ الدّنيا وستأتينا - أيّام الأربعين وسترى أنَّ الناس تتهافت إلى الحضور عند سيّد الشّهداء.

لقد كان بعضُ الخلفاء وبعضُ الحكّام وبعضُ أهل الساسة حمقى عندما حاولوا القضاء على هذا الحضور؛ فهؤلاء لا يفقهون شيئاً من التاريخ ولا يعرفون الأصحاب فضلاً عن الإمام الحسين عليه السلام، فازداد ذلك الحضور إصراراً ومحبّةً وما شاء الله ارتفعت القضيّة إلى شيءٍ لا يُصدّق، والآن لو استنطقنا هؤلاء وأحضرناهم أمامنا لماتوا أيضاً تحسّرًا على ما فعلوا، هؤلاء ليس لهم حظّ لا في الدنيا ولا في الآخرة، والعاقل -إن كان عاقلاً- يتّعظ بمن سبقه فلا يصل إلى محيط سيّد الشهداء ولا يصل إلى حرم سيّد الشهداء، لأنّ العاقبة ستكون عليه عاقبة وخيمة، كما شاهدناه في هذه العصور وكما قرأناه في التاريخ الذي لا يقبل التّزوير والخِداع.

المبحث السادس

قِراءَةُ الأَحداث

من الحقائق التّاريخيّة أنَّ المدينة المنورة ومكّة كانتا قلعة الإسلام، والكوفة عاصمة الإسلام أيضاً، وهكذا دمشق؛ بمعنى أنَّ الدَّولة الإسلامية كانت تتحرَّك في إطارهذه الدّول، وقد مرَّت بأحداث كربلاء عن طريق شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام والإمام الحسن عليه السلام في مكة والمدينة، والكلام جرى بشكلٍ علنيّ مع عُمَّال الخليفة، والإمام الحسين عليه السلام أمام الملأ، وهذا المكان الذي تحركت به واقعة الطّف كان في قلب التاريخ الإسلامي، فليس من الصحيح إغفال واقعة الطّفّ وقد انتجت مسارًا واضحًا، وأنتجت مسارين مختلفين، وهذان المساران المختلفان هما أُسِّسا قبل واقعة الطّفّ، لكنَّهما امتدّا بشكلٍ وصل إلى جذوته وإلى منتهى الصّراع، وأن يحدث الاقتتال، وأصبح هنا منهج، وأصبح هناك المنهج الآخر، وهذا المنهج له أهدافه وقيمه وآراؤه، وهذا المنهج أيضاً له أهدافه وقيمه.

من المهم أن يركِّز الإنسان على هذا المنهج العاشورائي وطبيعة هذه الإفرازات، وعندما يجتمع زمان ومكان وشخصيات صنعت التاريخ فلابُدّ أن نقرأ تلك الأحداث التاريخية بشكلٍ جيّد؛ لأنَّها لا تقف عند تلك الفترة، وليس المهم أن نصل إلى نتيجة ترضي زيداً ولا ترضي عمراً، بل المهم أن يقرأ الإنسان وأن يفهَم الحق ولا يزيغ عنه، فإن زاغ فتلك مشكلة؛ بيْد أنَّ قراءة التاريخ العشورائي بالشكل المنهجي الذي يُقرأ به التاريخ في وقائع أخرى فهذا أمر لابُدّ منه.

عاشوراء أنتجت أحداثًا مفصليّة في التاريخ الإسلامي والإنساني، ونحن مسؤولون عن ذلك الإنتاج، فما الذي أنتجته عاشوراء؟

وما الذي حصل في عاشوراء؟

ولماذا حصلت عاشوراء؟

وهل من الممكن أن لا تحصل عاشوراء؟

الجواب: كلَّا وألف كلَّا، أما في تلك الحقبة فالتّاريخ الإسلامي يكشف عن محصّلة

مفادها لابُدَّ أن تحدث عاشوراء؛ لأنَّ منهج الحق منهج لا يستسلم؛ لأنَّ ارتباطه – كما قلت– بالله تعالى؛وهناك حوادث وثوابت تدل على هذا الارتباط قال الإمام زين العابدين عليه السلام: (**بَكَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ**)[١]، ولم يجرؤ أحد الاعتراض على مقولة الإمام عليه السلام أو أن يَشْكل عليه، ويقول له من أين علمتَ بأنَّ السّماء بكت على الإمام الحسين عليه السلام، هذا كلام في الغيب، ولم يجرؤ أحد أن يقول له من أين لك هذا؟

ومن أين علمت أنَّ الجن ناحت؟

ومن أين علمت أنَّ الطير بكت؟

((**كأَنَّ على رؤوسِهم الطَّيرَ**))[٢] غاية ردِّهم: أخرجوه؛ لأنَّه ((**لم ينزل إلاَّ بفضيحتي أو بفضيحة آل سفيان**))[٣]. إذن المنطق العاشورائي منطق مؤسس.

لابُدّ أن يفهم جميع من في المشرق أو المغرب، ولابُدّ أن يعوا أنَّ التاريخ العاشورائي تاريخ لا ينضب، والتاريخ العاشورائي تاريخ كريم في إعطائنا الدّروس والعِبر عن عاشوراء.

إذن المنهج العاشورائي منهج يحتاج إلى وقفة، ولم يكن أحد يجرؤ على الكلام مع الإمام عليه السلام وهو في الأسر، ويقول له من أين علمت هذا؟

بينما السّيّدة زينب عليها السلام قالت للطاغية: ((**بِدِينِ اللهِ وَدِينِ أَبِي وَدِينِ أَخِي اهْتَدَيْتَ أَنْتَ وَجَدُّكَ وَأَبُوك**))[٤] وفرق كبير بين هذين المنهجين، فهذا منهج إلهي واضح، وذلك منهج مزيَّف ومنهج منحرف، ومهما أعطينا له من مسمّيات لا يرتقي، وكلّ ما عرفنا له من ألقاب لا يرتقي، إنّه منهج منحرف لا يرتبط بذلك المنهج الإسلامي الذي يمثّله خطّ النّبوة.

---

١ – بحار الأنوار ٤٥: ١٧٤.

٢ – الأمثال، أبو الخير الهاشمي(ت: بعد ٤٠٠هـ)، دار سعد الدين، دمشق، الأولى، ١٤٢٣هـ: ١/ ١٩٦. حياة الحيوان الكبرى، الدميري (ت: ٨٠٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الثانية، ١٤٢٤هـ: ٢/ ١٣٨.

٣ – كتاب الفتوح، احمد ابن اعثم الكوفي(ت: ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء، بيروت – لبنان، الأولى ١٤١١هـ: ٥/ ١٣٢.

٤ – الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١٢١.

إنَّ هذا المنهج العاشورائي لابُدّ أن نقف عنده وقفة متأمّل، ووقفة مستبصر قارئ للأمور؛ خاصة ونحن نرى أنَّ الظالم لم يرد على السّيّدة زينب عليها السلام وإنّما أراد أن ينكل بها، وأقصى ما أوتي من القول: ((هَذِهِ سَجَّاعَةٌ وَلَعَمْرِي لَقَدْ كَانَ أَبُوهَا سَجَّاعاً شَاعِراً))[1] -فتأملوا هذه النّكاية- مع أنَّ المطلوب أنَّ الحجّة تُقرع بالحجة، ولكن وجدنا الطَّرف المقابل يلجم أو يلجأ إلى القتل والتّصفية إذا غُلِب، أو يلجأ إلى الانحراف، واقرأ التّاريخ المزوَّر وستجد الكثير من الأحاديث التي تتضمّن إسباغاً وألقاباً وقيماً ومنافع ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولو كان الطّرف المقابل يملك عشر معشار الحق لقام بالاعتراض على الإمام زين العابدين عليه السلام في إخباراته وهو رجل أسير، والطّرف المقابل ملك كلَّ شيء؛ ولكن السلطان المؤقت الجائر على يقين بنفسه أنَّه ليس له علاقة بالله سبحانه ألبتَّة، فيُلجم، ولا يستطيع أن يعترض على الإمام، ويقول له من أين علمت؟بل بالعكس قال: ((إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتٍ قَدْ زُقُّوا الْعِلْمَ زَقّاً))[2]، والواقع أنَّ هذا ينضم إلى قاعدة أنَّ عاشوراء شيء أساسي وليس شيئاً كماليًّا، وأنَّ عاشوراء تاريخ يحتاج أن نقف قبله وفيه وبعده؛ حتَّى نكون على بصيرة من أمرنا، وستبقى عاشوراء صرخة مدوّية في وجه الظّالم، ووجه المنحرف ووجه المزوّر، ويبقى المنهج الحسيني منهجًا رصينًا ويملك منهج الحجّة، ويظل المنهج الآخر منهجًا منحرفًا ومنهجًا مزوّرًا مهما أعطيت له من ألقاب.

تجدّدُ الرُّؤية

إنَّ قضية الإمام الحسين عليه السلام واسعة تستوجب منَّا أن نتأمّل فيها، والذي يجعل تفكيره عند الإمام الحسين عليه السلام ليس بنادم، والذي يحاول أن يركِّز على شخصية الإمام الحسين عليه السلام ليس بنادم، والإمام الحسين عليه السلام له القدرة أن نأخذ منه في كلِّ

١ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد:: ٢/ ١١٦.

٢ - تسلية المُجالس وزينة المَجالس، الحسيني الموسوي، محمد بن أبي طالب، مؤسسة المعارف الإسلامية، إيران؛ قم١٤١٨هـ، الأولى: ٢/ ٣٩١.

عام عطاء، وقابل أن نقرأ الإمام الحسين عليه السلام في كلِّ سنة من زاوية ونستفيد منها.

ولعلّ الشَّخص عندما يهمّ بزيارة الإمام الحسين عليه السلام لديه هذا الهدف وأن يصل إلى الإمام الحسين عليه السلام؛ وهذا هدف نبيل، ولكن يحتاج أن يقرأ الإمام الحسين عليه السلام بقراءة تختلف عن سابقتها، وفي كلّ سنة تتجدّد المعرفة بالإمام الحسين عليه السلام، وعلى سبيل المثال في هذه السنة لو قرأنا الإمام الحسين عليه السلام من هذا المقطع الكبير الذي قاله الإمام عليه السلام فيه: ((**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاة**))[١]، وهذا الموقف وهذا المقطع وقفة كبيرة وجليلة كان يفعلها الإمام الحسين عليه السلام ومن أبرز مظاهر الإمام الحسين عليه السلام، إذ إنَّ الإمام الصادق عليه السلام عندما يزور جدَّه الحسين عليه السلام يذكر فيها هذا المقطع وهذا الجانب الذي تميَّز به الإمام الحسين عليه السلام أحرى بمن قصد الإمام الحسين عليه السلام، أن يتوِّج نفسه بهذا التاج، وأن يجعل شعاره ومحطَّته ووقفته (**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاة**)[٢]، وعندما يمشي ويأكل وينام يجعل هذا الشّعار نصب عينيه الكريمتين، وهذا الشّعار يوجِّه هذا الشّخص أو ذاك في كلِّ لحظة ويوقظه أنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو من شهد له الإمام الصادق عليه السلام (**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ الصَّلَاة**)[٣] فماذا سيحصل عند هذا الشّخص؟

لاشكَّ أنَّه ينتظر الصّلاة ويترقّب الأذان وهذا الشّخص سيفهم الصّلاة وعندما يأتي وقت الصّلاة يترك كلَّ شيء؛ لأنَّه جعل هذه المحطّة محطّة الاستفادة من الإمام الحسين عليه السلام، وأن يسير بأخلاقه بأن يكون شجاعًا، ومتحدّيًا للظالمين، ومقدامًا وكريمًا، وأن يكون له القدرة على فهم عاشوراء، وعندما تأتي هذه النّقطة تزيده إضاءة إلى إضاءته التي أفادها من الإمام الحسين عليه السلام.

هذا الشّعار عندما يتمثَّله الشخص منهجًا سيعتني بطهارته وسيعتني بملابسه وسيعتني بوقت صلاته ويسعى جاهداً للفضائل ويجعل شعار (**أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ أَقَمْتَ**

١ - كامل الزيارات: ٢١٠.

٢ - بحار الأنوار: ٩٨، ١٧٢.

٣ - م.ن: ٩٨، ١٧٢.

الصَّلَاة) غايته الأسمى، ولا شكَّ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام مربي ومعطاء لا يختلف على ذلك إثنان، وإنَّ الإمام الحسين عليه السلام سخيّ، وقد جعل هذه الوفود تأتي بلا دعوة، وجعل أهل الأموال يبذلون أموالهم بلا حساب؛ لأنَّهم فهموا من الإمام الحسين عليه السلام الشيء الكثير، وكلٌّ يفهم بحسب استعداده وعمق بنائه النّفسي والدّيني.

حينما نقول فهم الإمام الحسين عليه السلام نعني بذلك فهم الإمام الحسين عليه السلام بالمعنى العاشورائي الذي غايته الرّفعة في سلّم الكمال، وعندما أقارن بين الباذلين من أجل عاشوراء أجد صنفين من الناس؛ صنف استغل عاشوراء لأجل مكاسب ماديّة، وصنف آخر يبذل الأموال والطَّعام لمن يعرف ولمن لا يعرف، ويتحمّل المشاق في سبيل هذا الزّائر، فتكون المقارنة بين فهمين: بين فهم عاشورائي يدلُّ على وعي بهذا الزَّائر، وبهذا الذي بذل المال، والفهم النّاقص عند من يحاول استغلال مكاسب عاشوراء الماديّة، وهنا لا أتحدث عن مساحة حلال وحرام، وقد يقول: هذا ملكي ومن حقّي، لكنِّي أتحدث عن نسبة ارتقاء وعن نسبة الفهم العاشورائي، غير أنَّ الإنسان الدّنيوي قد لا يفهم من الإمام الحسين عليه السلام شيئًا، بل يفهم أنَّ هناك مناسبة ورصيدي سوف يرتفع، وهذا الفهم الذي يعيه، ولا يرتبط هذا الفهم بالإمام الحسين عليه السلام، وأنت بعيد عن فهم الإمام الحسين عليه السلام.

الفهم العاشورائي شيء آخر والفهم العاشورائي فهم يرقى إلى مستوى التَّسامي، فالناس تُعطي نفسها، وتُعطي أموالها صغار وكبار، وأتذكر ونقلت لإخوتي من هذا المكان قبل سنة أو سنتين عندما حدث انفجار في بعض المناطق كان من الزّائرين شخص فقدَ سبعة من ذرّيّته وكلُّهم بنات في انفجار وفي آنٍ واحدٍ وكان مستبشرًا، وهذا عنده فهم حسينيّ عاشورائيّ، فالنّاس في أذهانها تتفاوت؛ هذا فَهِم شيئًا، وآخر فَهِم شيئًا آخر؛ زهير بن القين عندما عرض عليه الإمام الحسين عليه السلام النصرة

أول ما جاء طلق زوجته أو أراد أن يطلقها، وقال: انتهت وأنا مع الحسين عليه السلام، ولكن عبيد الله بن الحر الجعفي لم يفهم الإمام الحسين عليه السلام، فتختلف الناس في فهم الإمام الحسين عليه السلام، والناس عندما تتعامل مع الإمام الحسين عليه السلام تتباين فيما بينها، وبعضها تفتح أبوابها وهي مغلقة، وهي فقيرة لا تملك شيئاً، والقليل الذي يملكه يجعله في خدمة الزّائرين، هي تريد هذا العمل في رضا الله ورسوله، و غيره غير مستعد إلى فعل هذا، ولكنَّ هذا لم يتأثر بالإمام الحسين عليه السلام، وأقولها بصراحة إنَّ الفهم يحتاج إلى توفيق، والإنسان عندما يذهب إلى الإمام الحسين عليه السلام، وعندما يدرك الإمام الحسين عليه السلام في هذه اللحظة وأنا أحاول أيضاً أن أُبيِّن هامشاً آخر إلى الإخوة المسؤولين في الدولة، وأقول لاحظوا وراقبوا بمجسّاتكم الحقيقية الواقعية التي تنقل لكم الواقع كيف تتعامل الناس مع قضية الإمام الحسين عليه السلام؟ وأنتم بوصفكم دولة ما هي جهتكم للحفاظ على أرواح الناس؟ وما هو البذل الذي يمكن أن تبذلوه؟ وهو ليس من أموالكم الخاصّة، وهل تبذلون من أجل الحفاظ على الناس؟، والساسة -الإخوة الأعزاء- عندما يرون شعبًا بهذا العطاء وبهذه القوة، فهل يستحق أن تراهنوا عليه؟ ألا يستحق أن تجتمع كلمتكم من أجل هذا الشّعب! إلى متى نبقى في عملية تناحر وقال وقلت، وعملية الخير تحتاج إلى مديات طويلة، وهذا الشّعب الأبي يحتاج السّعي لبسط الأمان والخير فيه، وأنا أذكر هذه الأشياء تمهيداً لكم، أنتم تملكون ذخيرة، وتملكون شعباً يستحق أن تراهنوا عليه، ويستحق منكم أن تبذلوا له شيئاً، و يستحق منكم أن تجتمعوا على كلمة، ويستحق أن تحلّ فيه مشاكلكم؛ هذه مواسم لا يمكن أن تكتفي بأن تعطل وتذهب من دون موقف ينفع الشّعب؛ فهذا الموسم يمرّ عليك في كلِّ سنة يحتاج منك القراءة ومعرفة ماذا يتوجّب عليك؛ فأنت مسؤول في دولة العراق! وتختلف من أن تكون مسؤولًا في دولة أخرى! وهذا يحتاج إلى وقفة، ويحتاج إلى رؤية، ويحتاج إلى دراسة، ولا نريد شيئاً معقّداً ولكنَّ

هذه أخوّة وهذه لُحمة، لا أفهم في الواقع هذا العطاء في الأيّام العاديّة فالناس تُقاتل من أجل تحصيل المال في الأيّام العادية، الآن في نصف ساعة كلّ أمواله يعطيها؛ إذًا هذه النّفس مهيَّئة أن تخدم البلد، فساعدوها! واعلموا عندما يساعد المسؤول الناس يكون رصيد له، وأنا لا أقول اعطِ أموالًا في الزيارة، فالأمور تجري ولكنِّي أقول اقرؤوا الزيارة، واعملوا لما بعد الزيارة، في كلِّ سنة نقول: وفروا السيارات، وفِّروا ساحات النقل، اهتموا بالزائرين، وعود كثيرة! أتمنى أن تكون صادقة ولو بعضها لا تُنال، نعم: التّحدّيات التي تواجه البلد، بل الطّفل أصبح يعلم أنَّ العراق فيه مشاكل، لكنَّ الحد الأدنى لابُدَّ أن يُوفَّر لهذا الزائر الذي بذل الجهد والتعب، وجاء يؤدّي الزيارة والشّعيرة ويرجع إلى أهله سالماً، وكذلك مطلوب من الإخوة الأعزاء والمحافظات الكريمة عليها أن تهتم بزائريها وأن تتعاون مع محافظة كربلاء الرّسمية، والحكومة الاتحادية الرّسمية، وأن تهتمّ بالزائرين، وهكذا منافذ الحدود والمطارات اهتموا بالزّائر وطريقة استقباله، لا بُدَّ أن تستقبل الزائر بشيء من التنظيم، وأنا قلت إذا كان مزاجك لا يتحمّل الزّائر اذهب في إجازة واجعل شخصًا بديلاً عنك؛ لأنَّ هذا يُمثّل واجهة البلد ولا أحد منَّا مستعد أن تُشوَّه واجهة البلد بسبب وجود بعض الأفراد المرضى، فالإخوة كلُّهم لا بُدَّ أن تتكاتف جهودهم، والإخوة الأعزاء الأطباء في وزارة الصحة، ووزارة البلديات كلُّ ما يتعلق بخدمة الزّائر وأنا أتحدّث الآن وإن شاء الله الإخوة لن يقصّروا، لكنِّي أقول: هناك موسم أصبح هو موسم الأربعين، وهذا الموسم وهذه الظاهرة لا توجد في العالم بحسب معلوماتي ومعلوماتكم، والإعلام ينقل كلَّ شيء في العالم ولم أعلم أنَّ هناك حالة تُنقل بهذه الصورة التي تُنقل من كربلاء لا في العدد ولا في النَّوع ولا في الكمّيَّة ولا في طريقة الأداء بهذه المسافات الطّويلة ليلاً ونهاراً، ولا هذا الاستعداد من الناس أيضاً، هذه ظاهرة غير موجودة في العالم.

إذن هـذه الظّاهـرة تحتـاج إلى رجـال يفهمـون هـذه الظّاهـرة حتّـى يتعاملـوا معهـا بطريقـة ناجحـة، وهـذا ليـس بأمـر متعـذر، وإنَّـما هـذا أمـر سـهل.

علـى كلِّ حـال وصيّتي إلى الإخـوة الزّائريـن الذيـن ذكرناهـم، وهـذا الشـعار المقدّس للإمـام: (أشـهد أنَّك قـد أقمـت الصـلاة) وأنـا لا أقصـد أنَّهـم لا يُصلُّـون، وإنَّـما أقصـد بوصفـه شـعاراً، ومعنـى الشّـعار هـذا الحـرص والمحبّـة عـلى الصـلاة، والشيء الآخـر إلى الإخـوة المسؤولين الرّجـاء الاهتـمام بالنـاس والاهتـمام بالشّـعب، وهـذا يتـمُّ عـن طريـق وحـدة الكلمـة بينكـم، والتّفاهـم، والحـوار، وأظهـروا لنا هـذه المودّة فيـما بينكـم أو التّفاهم فيـما بينكـم، أظهـروا لنـا إن كانـت حتّـى يشـعر النـاس بالأمـان والاطمئنـان والارتيـاح .

مِن مشاهدِ الشَّجاعَةِ والبصيرةِ في عاشوراء

لعـلّ مـن جملـة المشـاهد التـي نقـف عندهـا في المشـهد العاشـورائيّ شـجاعة أصحـاب الإمـام الحسين عليه السلام وبسـالتهم وإقدامهـم؛ فالشَّـجاعة ليسـت كلمـةً سـهلةً في مواطـن الجهـاد والدّفـاع، فالإنسـان قـد يقـول: (أنـا شـجاع) لكـن عندمـا تبـدأ سـاحة الوغـى تظهـر حقيقـة الدّعـوى، هـل الإنسـان شـجاع أو ليـس بشـجاع؟

والشّجاعة هي أن يُقدِم الإنسان على مصيرٍ يعلم أنَّ بينه وبين الموت لحظات.

إنّ التاريـخ لم يذكـر لنـا أنَّ أحـدًا مـن أصحـاب الإمـام الحسين عليه السلام قـد جبُـن وحـاول أن يخضـع للأعـداء أو أن يتراجـع خوفًـا مـن سـيوف الطّـرف المقابـل، ولـو اسـتعرضنا الطّريقـة التـي بـدأ بهـا أصحـاب الإمـام الحسين عليه السلام القتـال لقرأنـا مشـهدًا عظيـمًا، إذ اصطـفّ أصحـاب الإمـام الحسين عليه السلام عـلى قلّتهـم في صبيحـة عاشـوراء، وقـد وزّع الإمـام هـذا العـدد القليـل بطريقـةٍ عسـكريّة، والعـدوّ عـلى كثرتـه قـد مـلأ البسـيطة بجيـشٍ مدجّـج غليـظ، ليـس عنـده أيّ منطـق يفهـم فيـه كيفيّـة المعركـة، وعندمـا بـدأ أصحـاب الإمـام الحسين عليه السلام يـبرزون عـلى الطّريقـة التـي كانـت معروفـة عنـد

القتال في ذلك الزمن بأن ينتسب المقاتل ثمّ يرتجز ثمّ ينزل الى المعركة، والآخرون يُشاهدون هذا الصحابيّ الذي كان معهم قبل لحظات يستأذن من الإمام الحسين عليه السلام ثمّ يدخل الى المعركة فيقاتل ما وسعه أن يغمد سيفه في نحورهم، ثمّ بعد ذلك يحاول العدوّ بكثرته أن يقتله ويستشهد هذا البطل أمام ناظريهم، وهذه القضيّة فيها صراخ وفيها ألم الجراح، وفيها الرّجز والتكبير وصهيل الخيول، وفيها كلّ ما في المعركة من مشاهد، وهذا المشهد لم يرعبْ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام أصلاً، فقد كان الواحد منهم يمثّل جيشًا فإذا هجم حاول الآخر أن يفرّ منه، بل كان بعضهم ينزل الى المعركة وهو حاسرٌ؛ لأنّ جيش العدوّ كانوا جبناء ينهزمون.

لو استعرضنا عملية الرّجز[1]، وعمليّة الرجز كانت الطريقة المتعارفة فضلًا عن النسبة يُحاول أن يُبيّن أنّه شجاع وأنّ سيفه لا يُمكن أن يُغمد إلّا في نحور الأعداء، ويُبيّن أنّه سيترك جثثهم هذه لطير السّماء.

اقرؤوا الرّجز لأصحاب الإمام الحسين عليه السلام، فقد بيّن ابن شهر آشوب رحمه الله وغيره من أرباب المقاتل أنّ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام كان كلّ واحدٍ منهم يرتجز، وينادي، ويدخل إلى المعركة. هذه الشّجاعة تحتاج الى حالة من الإقدام وحالة من الاندفاع واليقين، حتّى إنّ هذه الشجاعة أرعبت العدوّ أيّما إرعاب.

هذا المشهدُ العاشورائيّ بعد (١٤٠٠) سنة تسلّل إلى نفوس الإخوة الأعزّة الذين يُرابطون الآن في ساحات الوغى، ورأينا منهم، وسمعنا أنَّ الحالة القتالية والبسالة استمدّوها من هذه المدرسة العاشورائية، فهي مدرسةٌ منتِجة على الرغم من تقادم الأزمان والأيّام، وقد سمعنا بعض منهم قال: عندما نكون في حالة نحتاج الى عشرة أشخاص كان يقفز إلينا أكثر من ثلاثين شخصاً،

---

١ – هو فن من فنون الادب العربي يقع على البحر يسمى الرجز، وسمي بذلك لمناسبة بينه وبين معناه اللغوي، وهو شعر يسهل في السمع ويقع في النفس لخفته. ينظر: لسان العرب؛ مادة (رجز).

وهـؤلاء يندفعـون إلى المـوت اندفاعـاً قويّـاً وباسـلاً عـلى الرّغـم مـن قلّـة الإمكانـات عنـد بعضهـم.

إنَّ أصحـابَ الإمـام الحسـين عليه السلام لم ينـجُ أحـد منهـم؛ إلّا واحـد أو اثنـان، وكان كلّ واحـد منهـم يكـرّ ويقتـل ثـم يرجـع وهكـذا الى أن استشـهدوا واحـداً بعـد الآخـر، الى أن انتهـى يـومُ عاشـوراء واستُشـهِدَ جميـع أصحـاب الإمـام الحسـين عليه السلام عـلى قلّتهـم. لكـن الشّـجاعة التـي كانـت عندهـم أمـدّت عُمْـر المعركـة؛ لأنَّ الأعـداء لم يُواجهـوا الحسـين عليه السلام بشـكلٍ واضـح، فعـدد (٧٢) أو (٨٢) مـع كثـرة جيـش العـدوّ لا يسـتغرق معركـة أكثـر مـن سـاعة أو أقـلّ، لـو كانـوا يهجمـون عليهـم هجمـةً واحـدة لكانـت المعركـة تنتهـي، لكـن شـجاعة هـؤلاء الأبطـال أمـدّت عمـر المعركـة بحيـث المعركـة بـدأت ضحـىً مثـلاً، وانتهـت إلى مـا بعـد الصّـلاة.

مـن جملـة هـذه الشّـجاعة أنّ الواحـد منهـم كان يقـف أمـام الإمـام الحسـين عليه السلام ويجعـل صـدره وقلبـه وقوّتـه أمـام السّـهام والنّبـال، ولا يتزعـزع، ولا يتزلـزل؛ ليمنـع مِـن إصابـة الإمـام الحسـين عليه السلام بالسّـهام حتّـى يُتـمّ الإمـام الحسـين عليه السلام صلاتـه[1]. ولم نظفـرْ بموقـف مـن مثـل هـذه البطولـة، ويُحـاول الأبطـال - وقـد نجحـوا - أن يسـتمدّوا مـن هـذه المدرسـة اسـتمداداً قويّـاً، وواجهـوا الأعـداء بقلـوبٍ قويّـة وشـجاعة، مـا بـين شـابٍّ ربـما لا يتجـاوز عمـره (١٧) عامًـا أو كهـل كأنّـه يشـبّه نفسـه بحبيـب أو مسـلم بـن عوسـجة اللذيـن كانـا يصـل عمرهمـا الى (٨٠) عامًـا، وهـذا مـا رأيناه بمعنويّـات عاليـة وقـوّة في دينهـم، وهـؤلاء يلتـذّون بالهجـوم وبالمنيّـة كالتذاذهـم بمحالـب أمّهاتهـم. فـإذن الـشيء المهـمّ في هـذا المشـهد هـي هـذه الشّـجاعة التـي تمتّـع بهـا أصحـابُ الإمـام الحسـين عليه السلام وصدّروهـا بنجـاحٍ، فاسـتورَدَها بنجـاحٍ المقاتلـون الـبررة الذيـن مـا زالـوا يقاتلـون الأعـداء.

١ - ينظر : اللهوف:١٧١.

أمَّا المشهد الآخر الذي نريد الإشارة إليه البصيرة -وأرجو الالتفات الى هذا المشهد-، قلّما يظفر قائدٌ - مهما يكن - بأصحابٍ أجمعهم عندهم بصائر، والإمام الحسين عليه السلام من جملة نعم الله تبارك وتعالى عليه وجود هؤلاء الأصحاب؛ لقد كانوا يتمتّعون ببصيرةٍ، وهذه البصيرة لا يُمكن أن تُخترق.

إنَّ النّاس في حالة السِّلْم تدّعي وفي حالة الرّخاء تدّعي، لكن عندما تبدأ المسألة في محكّ واختبار وافتتان تتبدّل النّفوس، وتبدأ تتضعضع وتبدأ حالة الشّكّ تنساب، ولأضرب مثالاً يُقرّب المسألة، النبيّ صلى الله عليه وآله عندما واعَدَ أصحابه أن يدخلوا مكّة لكنّه لم يدخلْها بسبب صلح الحديبيّة اعترض عليه بعض أصحابه بأنّك قلت لنا: إنّنا سندخل، فأصابته ريبة وأصابه شكّ[1]، وعندما كان يُقاتل أمير المؤمنين عليه السلام بعض من قاتلهم، جاءه أحدهم فقال: يا أمير المؤمنين، جاء فلان، وقال إنّ هؤلاء قد عبروا النّهر، والإمام يقول له: لم يعبروا. فأصبح يشكّ في كلام الإمام، فلم ترتقِ نفسه أن يُصدّق الإمام على المخبر[2]؛ لأنّه لم تكن عنده بصيرة.

وكذلك الإمام الحسن عليه السلام مع قلّة مَنْ كان عنده، لكن مع ذلك هؤلاء قد غرّهم بعضُ حطام الدّنيا وتركوا الإمام الحسن عليه السلام والتحقوا بركب عدوّه؛ إذ لم تكن عندهم بصيرة.

إنَّ هذا مطلبٌ مهمّ أن يكون الإنسان عنده بصيرة، يرى فيها كلّ شيء أمامه، ويرى حقائق الأمور بإيمانٍ راسخ، وهذه البصيرة لا يُمكن أن تنفى؛ لأنّ الإنسان فيها يرى بقلبه الحق واضحاً، كما روي عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام قال: ألسنا على الحقّ؟ قال: بلى، قال: إذنْ لا يهمّنا وقعنا على الموت أو وقع الموت علينا[3].

١ - وردت هذه القصة بأسانيد وألفاظ مختلفة راجع: صحيح البخاري ٢: ٩٧٤ كتاب الشروط، باب شروط الجهاد، وأيضاً كتاب التفسير في تفسير سورة الفتح، مسند أحمد ٣: ٤٨٦، ٤: ٣٣١، المصنف للصنعاني ٥: ٣٣٩، صحيح ابن حبان ١١: ٢٢٤.

٢ - ينظر: بحار الأنوار: ٣٣، ٤٠٠.

٣ - بحار الأنوار: ٤٤، ٣٦٧.

هذه البصيرة لم يظفرْ بها أيّ قائدٍ، ولم تحصلْ حتّى لبعض الأنبياء، فلم يكن جميع من كانوا معهم يتمتّعون ببصيرةٍ قويّة.

وهناك شهادات على هذه الحقيقة حتّى من أعدائهم؛ فهذا عمرو بن الحجّاج الذي كان في واقعة الطّفّ عندما شاهَدَ أصحاب الإمام الحسين عليه السلام يَبرزون، ويَقتُلون أراد إنقاذ الموقف فعبّر عن أصحابه وجماعته بأنّهم حمقى، قال: يا حمقى، أتدرون من تُبارزون ومن تُقاتلون؟ تُقاتلون فرسان أهل المصر تُقاتلون قوماً مستميتين، قال: توقّفوا، ارموهم بالحجارة[1].

ولذلك نُلاحظ عبارات وكلمات وردت في حقهم عظيمة الشّأن؛ فهذا الإمام الصادق عليه السلام يقول في زيارتهم: ((**السلام عليكم يا أنصار الله وأنصار رسوله وأنصار علي بن أبي طالب وأنصار فاطمة وأنصار الحسن والحسين وأنصار الإسلام**))[2].

جزاءُ البصيرةِ والشَّجاعة

إنّ هؤلاء الذين نصروا الإمام الحسين عليه السلام عندهم شيء ما وراء النّصرة وتمتّعوا بألقابٍ لا تُعطى لأيّ أحدٍ حتّى أنصار الإمام المهدي عليه السلام؛ لأنّ الإمام الحسين عليه السلام يقول عنهم: ((**إنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي**))[3] وجاء الإمام الصادق عليه السلام يوصينا كيف نتعامل معهم، نقول لهم: يا أنصار الله وأنصار رسوله وأنصار أمير المؤمنين وأنصار فاطمة وأنصار الحسن وأنصار الحسين، وهذا يجرّنا إلى تساؤل: ما القلوب التي كانت عندهم؟!! وما هذه البصيرة النافذة التي عندهم؟ وإليك نصّ آخر يُبيّن جزاء تلك البصيرة والشجاعة؛ نجده في زيارتهم في ليلة القدر: ((**السلام عليكم أيّها الصدّيقون السلام عليكم**

١ - بحار الأنوار:٤٥، ١٩.

٢ - المزار الكبير، ابن مشهدي، محمد بن جعفر(ت: ٦١٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين،قم ١٤١٩هـ، الأولى:١/ ١٤٧.

٣ - بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٩٤.

أيّها الشهداء الصابرون أشهد أنّكم جاهدتم في سبيل الله وصبرتم على الأذى في جنب الله ونصحتم لله ولرسوله حتى أتاكم اليقين...))[1]، ويأتي الإمام الصادق عليه السلام بعد حفنة من السنين يقول: **((كان عمّنا العبّاس نافذ البصيرة..))**[2] وهذا مشهد كما يعرضه القرآن الكريم عن لسان النبيّ صلى الله عليه وآله: **((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ))**[3].

البصيرة ليست أمراً هيّناً، حتّى زهير بن القين وحتّى الحرّ مع أنّهم لم يكونا في المشهد العاشورائيّ ابتداءً، لكن الحُرّ كان صاحب بصيرة، وكان عاقلاً وملتفتًا وموضوعيّاً، وبلحظة رؤيته الواقع أدار نفسه الى الإمام الحسين عليه السلام ولم يكن محتاجاً الى تفكير زائد؛ لأنّه شخصيّة عاقلة ورجل واقعيّ يفهم الأمور، وإن كان في بدايتها غافلاً لكن عندما رأى الأمور انكشف له الحال.

زهير بن القين[4] كان فارّاً من واقعة الطفّ، وكانت عنده عقيدة أخرى ولكن عندما تكلّم معه الإمام الحسين عليه السلام بكلماتٍ قليلة التحق به؛ لأنّه عاقل يفهم الأمور وفجأةً ترك كلّ شيء، وانتقل إلى الإمام الحسين عليه السلام، ودخل مع أنصار الله تعالى ومع أنصار رسوله صلى الله عليه وآله وأنصار أمير المؤمنين عليه السلام.

مع أنّ الإمام الحسين عليه السلام تكلّم مع الأعداء قبل العاشر من محرّم وفي العاشر بكلماتٍ في منتهى البلاغة وكثيرٍ من الأساليب هو وبعض أصحابه لكن هؤلاء لم يسمعوا شيئاً، والسبب في ذلك أنَّ البصيرة لا تُعطى لكلِّ أحدٍ بل تحتاج

---

١ -المزار: ١ / ١٦٩.

٢ -اعيان الشيعة: ٧ / ٤٣٠.

٣ - يوسف: ١٠٨.

٤ - زهير بن القين بن قيس الأنماري البجلي، من كبار شيوخ قبيلة بجيلة في الكوفة. كان زهير رجلاً شريفاً في قومه نازلاً فيهم بالكوفة شجاعاً. له في المغازي مواقف مشهورة ومواطن مشهودة. كان أبوه القين - بحسب بعض المصادر - صحابياً. التحق زهير بركب الحسين بن علي، فكان من كبار أنصاره والقادة البارزين في معسكره.(ينظر: الارشاد: ٢، ٩٥).

إلى تمرين وقوّة حتَّى يدخل الإنسان في موقع، وهذا الموقع ممّا لا شكَّ فيه يغبطه عليه كلُّ أحد. من منّا الآن لا يحبّ أن يكون من أنصار الله؟! الآن أحدنا إذا قال له الإمام عليه السلام: أنت من أنصار الله وأنصار رسوله وأنصار أمير المؤمنين وأنصار فاطمة والحسن والحسين.. كيف يكون حاله؟!.

هذه بعض صور المشهد العاشورائي، وكلامنا الآن ليس عن الإمام الحسين عليه السلام، وإنّما عن أصحاب أبي عبدالله الحسين عليه السلام، وهذا النصّ الصريح الفصيح فيهم وشهادة العدوّ -عمرو بن الحجّاج- هو لا يقصد الإمام الحسين عليه السلام بل يقصد أنتم فرسان المصر فهو يعرف الحسين عليه السلام، والإمام الحسين بمجرّد أن ينزل الى المعركة كانوا يفرّون -الرواية تقول- كالجراد المنتشر، لأنّهم يعرفون من هو الإمام الحسين عليه السلام، ويعرفون من هو العباس عليه السلام فهؤلاء لا يُمكن أن يواجَهوا إلّا من طريق الغدر، ولاحظوا تكرار هذا المشهد فقد انتقل الآن فهؤلاء لا يُمكن أن يواجهوا الإخوة المقاتلين إلّا بالغدر، والآن هؤلاء يغدرون ولا يواجهون الأبطال إطلاقاً، وإنّما يكمنون في زوايا ويحاولون أن يضربوهم في أماكن هم غير محتسبين لها، وتصوّر الآن أنت من أصحاب الإمام الحسين، وتَصوّر العباس عليه السلام يأتيه أحدهم من وراء نخلة وذاك يضربه بحجارة، أو مسلم بن عقيل عليه السلام يحفرون له حفيرة حتَّى يسقط فيها، هذه أساليب جُبن وغدر.

وهؤلاء الأبطال الآن يندفعون، فأغلب الإخوة الذين استُشهِدوا رأينا الإطلاقات تأتيهم في الجبهة أو في صدورهم أي أنّهم لم يفرّوا، بل كانوا يواجهون في المعركة وهذا استمدادٌ من عاشوراء. وأنتم تسمعون الآن أنّ هؤلاء الشهداء في جزءٍ من شهادتهم هكذا تأتيه الإطلاقة في جبهته إذن هو متقدِّم أو تأتيه في صدره وهو متقدِّم، لم تأتِه في ظهره ولم تأتِه من خلفه؛ لأنّهم لم يستشهدوا في حالة الانهزام، أمّا هؤلاء -الأعداء- كما يقول الشاعر: رأوا أشدّ بأسهم أن يُهزموا، لأنّهم لا يُمكن أن يسلموا إلّا بالهزيمة، لكن هؤلاء الذين تدرّعوا ولبسوا القلوب على الدّروع، وتعلّموا من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام هم

أهل بصيرة. إذا أمكننا أن نصف هؤلاء الإخوة بشيء نقول هؤلاء الإخوة بدؤوا يقتربون من هذا المشهد، وبدؤوا يتعلّمون من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وبدؤوا يتفاعلون، وكلّما طال الوقت كانت قوّتهم أكثر وكان بأسهم أشدّ، فالإنسان عندما يقرأ الزيارة لأوّل وهلة قراءة سريعة وعنده شغلٌ آخر لا يفهمها، لكن عندما يتأمّل يرى أنّ هناك مسألة أكبر من كلمات صغيرة، إنّما هناك معنى عندما يقول المعصوم عليه السلام ويتفوّه كلاماً بهذه القوّة لاشكّ أنّ أصحاب الإمام الحسين كانوا كذلك فلا مجاملة في ذلك (حتى أتاكم اليقين) ما بعده شيء.

هؤلاء الذين يُجاهدون، والذين يقفون الآن في سوح المعارك، نحن ندعو لهم ونطلب منهم -إذا كانوا يسمعوننا- أن يدعوا لنا، فهؤلاء الأعزّة أعطاهم الله تبارك وتعالى يقيناً وقوّةً وشجاعةً أنّهم يحمون الأرض والعرض والمقدّسات والبلاد، وإن شاء الله تعالى يكون النصّر هو حليفهم.

نسأل الله سبحانه وتعالى بمن نحن بجواره -سيّد الشهداء عليه السلام- أن يتعطّف علينا وأن يلتفت إلينا ويجعلنا نقترب من أنصاره ونحن بجوارهم -الشهداء السعداء- الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام، وأن يرزقنا الله تعالى مثلما رزقهم هذا اليقين الصادق والوثوق وحالة البصيرة التي كانت عندهم مع الحسين عليه السلام، اللهم انصرْ مجاهدينا وإخوتنا أينما كانوا، اللهمّ اربط على قلوبهم وشدّ على أياديهم، واحفظهم واكلأهم بعينك يا أرحم الراحمين، اللهمّ ارزقهم النصر المؤزّر في القريب العاجل، واجعلنا وإيّاهم ممّن تشملهم عنايتك ورحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على محمد وعلى آله الطيّبين الطاهرين والحمد لله أوّلاً وآخراً.

الفصل الثالث

من نَتَائِجِ

النَّهضةِ الحسينيّة

المبحث الأول

قضايا تَتعلّقُ بالأَهْدَافِ

من الصّعب الحديث عن واقعة الطّف وعن سيد الشهداء عليه السلام حديثاً يكون فيه جانب تفصيليّ عن كلّ ما يتعلّق بالواقعة وهذه الفاجعة، لكن من خلال الاستقراء لبعض الرّوايات الشّريفة ومضمون بعض رسائل الإمام عليه السلام أبانَ ثورته والوقوف على منهجه عليه السلام ممكن أنْ نرتشف رشفة، وأنْ نفتح كوّةً إلى هذا الإمام العظيم عليه السلام بيانًا وتحليلاً.

نعم ممكن أنْ يُقال: أنَّ بقاء هذا المدّ الشعبيّ المتواصل مع سيّد الشهداء عليه السلام خلال هذه السّنوات المتتالية والقرون المتوالية بنفسه يكون دليلاً على عظم هذه الواقعة، ولكن أرغب أن أدخل للحديث عن طريق طرح سؤالٍ يكون هو مفتاح ما أحب، وأنْ أعرض ما يتعلّق بواقعة الطَّف، والسّؤال هو: ماذا أراد الإمام الحسين عليه السلام؟.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام شخصية عظيمة وكبيرة، وهو كبير بني هاشم، ومحفوف عليه السلام برعاية على مستوى الأسرة، وكذلك من قبل أعظم شخصية وهو النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين، والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، وخلاصة الكلام هو شخص تتوافر فيه الحكمة الصّائبة والنّظرة الثاقبة؛ ويُقصَدُ لحلِّ كثير من المشاكل، وأخذ الحكم الشّرعي منه.

لكن هذه النَّهضة من الإمام عليه السلام ماذا أراد منها؟

وما هي دعوة الإمام الحسين عليه السلام؟

حتّى نستطيع معرفة الإمام الحسين عليه السلام كما ورد في زيارة عاشوراء، ونعرف أبا عبدالله الحسين عليه السلام كما وصفه الإمام الباقر عليه السلام، وبيّنه لنا، أو من خلال ما ذكره الإمام الصادق عليه السلام، أو من الزيارة الجامعة للإمام الهادي عليه السلام فأقوال الأئمّة تعطينا حالة من التّعريف للإمام عليه السلام، وممكن أنْ نظفر فيها ببيانٍ للإمام الحسين عليه السلام، ومن خلال هذه النّصوص الشّريفة يتعرّف القارئ والموالي لأهل البيت عليهم السلام، أو بوصفي مسلماً وإنسانًا يبحث عن تاريخ العظماء ممكن أنْ أَلِجَ إلى هذا الجانب.

أرجو الالتفات إلى نقطة بالغة الأهمية، وهي أنَّنا قد نكون أمام نصوص للإمام المعصوم عليه السلام، ونقول: النّص الأوّل، والنّص الثّاني، والنَّص الثّالث، وهذه النّصوص

مأخوذة من لسانه الشَّريف، وتارةً نكون في مقام تحليلٍ أشبه بربط الأحداث بعضها ببعض، وهنا نُحاول أنْ ننأى عن الجانب الثّاني، ونبدأ بالجانب الأوّل.

لا شك أنَّ هناك صورة في أذهان المسلمين أنَّ الخلافة التي كانت موجودة هي خلافة إسلامية استصحابًا للحالات السّابقة أو لانتهاء عصر الجاهلية بمجيء النَّبي ﷺ، والذي يتصدّى للأمور تحسب حركاته وسكناته على صعيد المبادئ العامّة للدّين من إقامة الصّلاة، ومن حجّ البيت، وعدم التعطيل لصيام شهر رمضان، والابتعاد عن المعاملات الرّبويّة التي فيها إشكال شرعيّ، وغير ذلك من الممارسات التي سادت في تلك الحقب، فيمكن للمتصدّي أن ينسلخ عن الإسلام حتّى في عقر الخلافة الأمويّة، ومثال على ذلك عندما جاءت السّيّدة زينب بنت علي عليهما السلام بعد الواقعة قالت: ((**بِدِينِ اللهِ وَدِينِ أَبِي وَأَخِي وَجَدِّي اهْتَدَيْتَ أَنْتَ وَجَدُّكَ وَأَبُوك**))[1].

هناك حالة تحكم ضابطة عامّة، وتحكم عموم المجتمع هي الحالة الإسلامية، وهذه الحالة الاسلامية أرجو أنْ نُفتّش في التّاريخ للتأكيد عليها، وهذه الحالة الإسلامية التي يدّعيها كثير ليس من السهل على كلّ أحدٍ أن يجد أو يمسك أو يظفر بالمزيّف منها والحقيقيّ منها، وهناك شخصيات عظيمة ممكن أنْ تتخذ موقفًا، فهي تعرف تكليفها بشكلٍ جيد، والإمام الحسين عليه السلام شخصية عظيمة ضمن هذه الشَّريحة وقد اتّخذ موقفاً كبيرًا وعظيمًا.

١ – الأمالي، للصدوق ابن بابويه، محمد بن علي(ت٣٨١هـ)، كتابچي، طهران، السادسة: ١٦٧.

وضوحُ الهدفِ

إنَّ الإمامَ الحسين عليه السلام عندما رفض الوضع القائم كفانا مؤونة التّحليل، فهو قد بيّن ذلك في كتابه إلى أخيه محمد بن الحنفية، وذلك عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الخروج اعترض عليه بعض المعترضين، واعتراض قسم منهم ليس في وقته، وفيه نظر، وعليه علامة استفهام، فقد قال الإمام في المحاورة التي جرت بينه وبين محمد بن الحنفية: ((**إنِّي لَمْ أخرُج أشِرَاً ولا بَطِراً، وَلا مُفسِداً وَلَا ظَالِماً**))[١]، فمقصد خروجه للعراق لا ظالماً، ولم يخرجْ أشراً، وليس شريراً يطلب الشر، ولا بطراً وإنّما لغايةٍ، وليس جزافاً، ولا مفسداً ولا ظالماً، فهذا النّفي من الإمام الحسين عليه السلام بشكلٍ واضحٍ بيّن فيه الجانب الآخر وهو الجانب الثّبوتي، فذلك جانب سلبي أنا غير أشرٍ ولا بطرٍ ولا ظالمٍ ولا مُفسدٍ، إذن ما هي دعوتك قال: ((**وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي**))[٢].

أرجو الوقوف عند هذه العبارات بمزيد من الدّقة، فهنا ليس طلب الإصلاح في أمّة الرّوم، وليس طلب الإصلاح في أمّة فارس، وليس طلب الإصلاح خارج المنظومة الإسلامية؛ وإنَّما طلب الإصلاح في أمّة جدّي، والإنسان لا يطلب الإصلاح إلّا مع وجود الفساد، قال: ((**وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي صلى الله عليه وآله أُرِيدُ أَنْ آمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ**))[٣]، ثم قال عليه السلام: ((**وَأَسِيرَ بِسِيرَةِ جَدِّي وَأَبِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين**))[٤].

لقد بيَّن الإمام الحسين عليه السلام الغاية حينما قال: خرجت لطلب الإصلاح، ونستطيع

١ - تسلية المُجالس وزينة المَجالس، الحسيني الموسوي، محمد بن أبي طالب:٢/ ١٦٠.
٢ - م. ن: ٢/ ١٦٠.
٣ - م. ن: ٢/ ١٦٠.
٤ - م. ن: ٢/ ١٦٠.

الآن سويّة أنْ نُعرِّف الحسين عليه السلام أنّه عليه السلام مُصلح، وهذا المصلح من نوعٍ خاصّ، وله خلفية خاصة، وله خلفية تربوية تنأى بنفسها عن الشتيمة، وتنأى بنفسها عن السِباب، وتنأى بنفسها عن استعمال العنف مع دعوة الإصلاح بقوله عليه السلام: ((**فَمَنْ قَبِلَنِي بِقَبُولِ الْحَقِّ فَاللهُ أَوْلَى بِالْحَقِّ وَمَنْ رَدَّ عَلَيَّ هَذَا أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ**))، فمن ردّ عليّ، ولم يقلْ: أضربه بالسيف، ولم يقلْ: لعنة الله عليه.

وهنا لاحظوا منهج الإمام الحسين عليه السلام، وكيف تعامل الإمام الحسين عليه السلام، وهل استطاع عليه السلام أنْ يبقى على هذا المبدأ إلى واقعة الطَّفّ أم لا؟

هذه الأمور قد يستشكل عليها مستشكل، فيقول: إنّ هذا كلام كان في المدينة، وكان في مكّة، والحرب لم تَقمْ، والعائلة لم تأتِ بعد، وهذه ضغوط على الإنسان، فهل الإمام الحسين عليه السلام بقي على هذه الطّريقة في الإصلاح؟

إنَّ المُصلح لابُدَّ أن يكون كلامه متصفًا بالصّلاح حتّى تكون الدّعوة مؤثرة، والمصلح ليس من الضّروري أنْ يرى نتيجة إصلاحه في حياته، والإمام الحسين عليه السلام خُير شاهد على ذلك، فكيف تعامل مع الذي رفض دعوته، وعبارته الشّريفة ((مَن ردَّ عليَّ هذا... **أَصْبِرُ حَتَّى يَقْضِيَ اللهُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْقَوْمِ بِالْحَقِّ**)).

إنَّ الإمام عنده وظيفتان؛ وظيفة الدَّعوة للحقّ ومن تبعه فمرحبًا به، والوظيفة الثانية: إذا لم يجد استجابة يصبر إلى أن يقضي الله بيني وبينهم، ولا توجد حالة ثالثة وهي التّنازل؛ لأنَّ تبدّل المبدأ حالة من الاختلاف كما يُعبّر عنه في العصر الحديث اختلاف الاستراتيجيات وأمثال ذلك، والعبارة واضحة وهذا مبدأ واضح وغايته واضحة، والكلام نفسه الذي قِيل في المدينة أو في مكّة هو نفسه إذا جُوبِهَ بالرّدِّ.

وعندما جاء الإمام الحسين عليه السلام وقبل أنْ يأتي ومن باب إثبات الحجّة كتب كتابًا لبني هاشم أيضاً، ليس فيه خديعة، وليس فيه أيّ لبسٍ، وعباراته واضحة، قال فيه: ((**أَمَّا بَعْدُ**

فَإِنَّهُ مَنْ لَحِقَ بِي مِنْكُمْ اسْتُشْهِدَ، وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ وَالسَّلَام))[1]، ولا توجد هناك أمنية لنصر أو لولاية، أو ما يشابه ذلك، **((وَمَنْ تَخَلَّفَ لَمْ يُدْرِكِ الْفَتْحَ وَالسَّلَام))**، فالذي تخلّف لا يتكلّم عنه عليه السلام بل بيَّنَ الذي تخلّف سيخسر، ولم يبلغ الفتح، وانتهى المطاف.

وكذلك ذهبَ إلى مكّة، وأثبت الحجّة، وقال هذه المقولة الشريفة: **((مَنْ كَانَ فِينَا بَاذِلًا مُهْجَتَهُ وَمُوَطِّناً عَلَى لِقَائِنَا نَفْسَهُ فَلْيَرْحَلْ فَإِنِّي رَاحِلٌ مُصْبِحاً إِنْ شَاءَ الله))**[2]، وبيّن أيضًا حقيقة ما سوف يكون، سيُقتل عليه السلام، ثمَّ أكّد في نهاية الخطبة إنّي سأقتل.

هذه حجج متعددة، وكذلك عندما أرسل مسلماً عليه السلام، ومسلم رجلٌ يُنسب للخير ويتّسم بالشّجاعة والحكمة، ولذلك أرسله سفيرًا عنه، وقيل: إذا أرسلتَ حكيماً سيكفيك المؤونة، ولكن الإمام عليه السلام بيّنَ وقال: **((إنّي موجّهك إلى أهل الكوفة، وهذه كتبهم إليّ، وسيقضي الله من أمرك ما يحبّ ويرضى، وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشّهداء))**[3]، وتأمل هذه العبارة الواضحة التي تُبيّن المصير النّهائي لأبطال النّهضة؛ ومع هذه المعرفة إلَّا أنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يتنازلْ، ولم يبدلْ الموقف إلى ليلة العاشر من محرم بعد أنْ جاءه خبر مسلم خطب في صحبه، وبيّنَ أنَّ مسلم قد اُستشهدَ وأنتم في حِلٍّ؛ حتَّى لا يكون هناك شخص مُشتبه ويتوقّع ستثنى له الوسادة، ولكن الأمر غير ذلك فمسلم قد قُتل، والقوم قلبوا لنا ظهر المجن.

فرحل من رحل، وبقيَ من بقي إلى ليلة واقعة الطَّفّ، وبعد أنْ تيقّنَ الإمام الحسين عليه السلام أنَّ كلَّ السُبل السّلمية استنفدت معهم، وثبتت الحجّة عليهم التفتَ إلى إصحابه وأذِنَ لهم بالرّحيل فقال: **((اتَّخِذُوا هَذَا اللَّيْلَ جَمَلا))**[4]، على اختلاف الرّواية، والقوم يطلبونني أنا الحسين بن علي إذا ظفروا بي لا يسألون عن فلان

١ – مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٧٦.

٢ – كشف الغمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٢٩.

٣ – تسلية المجالس وزينة المجالس: ٢/ ١٧٢.

٤ – الهداية الكبرى، الخصيبي، حسين بن حمدان(ت: ٣٣٤ هـ)، البلاغ، بيروت: ٢٠٤.

وفلان ممن كانوا مع الحسين عليه السلام، وفعلاً كان صادقًا عليه السلام، لكن الأصحاب الخُلّص بقوا على ما بقوا عليه.

الثَّباتُ على المبدأ

هناك مقولة للإمام الحسين عليه السلام عندما عُرضت عليه البيعة وهو لا يزال في المدينة، بعد حوارٍ طويلٍ بينه وبين الوليد ذكر هذه الجملة قال: ((**مثلي لا يُبايع لمثله**))[1]، ثمّ ذكر حديثاً آخر، وهذه الجملةُ الشرَّيفة من الإمام الحسين عليه السلام تمثّل خطًّا عريضًا وواضحًا لمسألةٍ؛ وهي إنّ الإمام الحسين عليه السلام لا يبايع الطَّرف الآخر لاختلافٍ واضحٍ بين الطَّرفين، وتارةً -كما يُعبّر الإمام- ويقول: ((**مثلي لا يبايع لمثله**)) كأنّه أشار إلى نقطةٍ أخرى، وهذه النّقطة الأخرى عامّة، يُمكن أن تنطبق على ما تفوّه به سيّد الشّهداء عليه السلام، ويُمكن أن تنطبق على ما قبله، ويُمكن أن تنطبق على ما بعده.

إنَّ الإمام عليه السلام في هذه الجملة الشّريفة رسم خطّين متوازيين لا يلتقيان أبدًا؛ خطُّ (مثلِي) مثّله هو عليه السلام، والخطّ الآخر هو خطُّ (مثلِه) وقد مثّله الطّرف المقابل، وعدم البيعة نفي الالتقاء أصلاً، ولا شكّ أنَّ هذا الطِّراز من البلاغة له من الأهمّية أيضًا بمكانٍ فهذا شعارٌ، والإمام الحسين عليه السلام بيّنَ طريقةً واضحةً للتعامل مع الطَّرف المقابل، أنّه مِثلي لا يُبايع مِثله تحت أيّ ضغطٍ من الضّغوط؛ لأنّ هذا منهج وهذا منهجٌ آخر يضادّه فلا يُمكن أن يجتمعا، والأمور المضادّة حتّى الأطفال يعرفونها، والآن عندما يأتي طفلٌ وتقول له: هذه الورقة سوداء وبيضاء لا يُصدِّق، يقول: لا يُمكن للسواد والبياض أن يجتمعا في ورقةٍ واحدة هي بيضاء وسوداء؛ إمّا سوداء

---

١ - الفتوح، احمد ابن اعثم الكوفي(ت: ٣١٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الاضواء، بيروت- لبنان، الأولى١٤١١هـ: ٥/ ١٤.

أو بيضاء؛ لذلك أراد الإمام عليه السلام أن يُبيّن أنَّ هذا منهجٌ ممتدّ والمنهجُ الآخر أيضاً هو منهجٌ ممتدّ، لكن هذين المنهجين لا يُمكن أن يلتقيا؛ لأنّ بينهما تمام المنافرة وبينهما تمام المضادّة، وإنْ أدّى ذلك إلى سفك دمه، فمسألة البيعة والالتقاء لا يُمكن أن يَحصُلا، ولذلك نقرأ هذه القضيّة بإمعانٍ حتّى نعرف أنّ نتيجتها شهادته عليه السلام في كربلاء، والعالِم الآن يقتدي بسمعته ويقتدي بخطّه وبفكره وبحياته، وأنّ ((**مثلي لا يبايع لمثله**)) أصبح شعاراً، وتباين الخطين أصبح أمراً واقعًا لا يمكن لأحد إنكاره، وهما لا يُمكن أن يجتمعا، لأنّ هناك عند الإمام صلاح وذاك عنده فساد، والصّلاح والفساد لا يجتمعان، وعند الإمام استقامة وذاك عنده اعوجاج وانحراف، فكيف تجتمع الاستقامة مع الاعوجاج والانحراف؟ والإمام عليه السلام عنده أمانة وهؤلاء عندهم خيانة فلا يجتمع الأمينُ مع الخائن، ولاحظوا الأمانة كيف تجلّت في هذا المنهج، والإمام السّجّاد عليه السلام له مقولة: ((**لَوْ أَنَّ قَاتِلَ أَبِيَ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام ائْتَمَنَنِي عَلَى السَّيْفِ الَّذِي قَتَلَهُ بِهِ لَأَدَّيْتُهُ إِلَيْه**))[1]، وقبل ذلك أميرُ المؤمنين عليه السلام في إحدى معاركه حين مسك الماء قال: ((**اتركوهم يشربوا من الماء**)) قالوا: هؤلاء أعداؤنا! قال: وإنْ، دعوهم يشربوا من الماء فمنهجي مختلف، وهم لّما مسكوا الماء منعوه عن أمير المؤمنين عليه السلام.

في الطّريق إلى كربلاء يُجعجع الحرّ بالإمام الحسين عليه السلام بألف مقاتل والإمام عليه السلام قال: اسقوهم، ولّما قالوا له: هؤلاء آذونا في الطّريق! قال: اسقوهم؛ لأنَّ منهج الإمام يختلف، فهو منهج استقامة وأمانة وعدل ورحمة، وهم مسكوا المشرعة وقالوا: لا تذوق الماء، ومنعوا عن العائلة وعن الأطفال والنساء الماء، فهذا المنهج، كيف يلتقي مع ذاك؟.

فالإمام الحسين عليه السلام يُعلمنا الأمانة، ويعلّمنا النزاهة، ويعلّمنا الصّدق، ونأخذ منه هذه

١ - الأمالي، للصدوق: ٢٤٦.

المعارف، والطَّرف المقابل يسرق ويغصب ويقتل، فكيف يجتمع هذا مع هذا؟، والإمام عليه السلام منتهى العدل ولا يُمكن أن يظلم، حتّى في واقعة الطّفّ وضع خدّه على خدّ ولده عليّ الأكبر ووضع خدّه على خدّ جون مولى أبي ذر، وكان يأتي لهذا المقاتل كما يأتي لولده، والطّرف المقابل ظالمٌ وغشوم يقتل النّفس المحترمة المحرّمة، كيف يستقيم هذا مع هذا؟.

لذلك كما كانت مقولة الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الوقت مستمرّة إلى أن يرث اللهُ الأرض ومنْ عليها، لابُدّ أن تكون هناك ((**مثلي لا يُبايع لمثله**)).

إنَّ استحالة التقاء الفضائل مع الرّذائل استحالة متضادّين؛ ولذلك ذكرنا في أكثر من مناسبة أنّ المنازعة الدّينيّة لا تقبل المصالحة، وهي تختلف عن المنازعة الدّنيويّة؛ لأنّ المنازعة الدينيّة شعارُها (مِثلي لا يُبايع مثله)، وهذه قاعدةٌ ضربها سيّد الشهداء عليه السلام مستقاة من جدّه المصطفى صلى الله عليه وآله في قوله: ((**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْن**))؛ فالنّبيّ صلى الله عليه وآله عُرض عليه كلّ شيء على أن يترك هذا الأمر، ولم يتركه حتّى حقّقه الله على يديه.

الجهل مشكلة سواء كان صاحبه جاهلاً أو متجاهلاً، والمتجاهلُ قد يكون شأنُه أصعب، فأولئك عرضوا على النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله كلّ شيء مقابل ترك الدّعوى التي تدعوهم إلى نبذ عبادة الأصنام، واتخاذ آلهةٍ من دون الله تعالى، في حين كان منهجُ الرّسول الأعظم صلى الله عليه وآله منهج التّوحيد؛ وهذا غير ذاك، ولا يُمكن أن يجتمعا، وكذلك أميرُ المؤمنين عليه السلام مرّ بقصصٍ من هذه القِصص التي يضيق المقام عن ذكرها، وسيّد الشهداء كذلك وهو في المدينة يقول: ((**مثلي لا يبايع لمثله**))، فأنا أختلف منهجيًّا مع الطّرف الآخر، لا الإمام السّجّاد عليه السلام يُبايع المقابل ولا الإمام الصّادق عليه السلام وحتّى الإمام الرّضا عليه السلام، وتعرفون جيّدًا تلك المعاناة التي مرّ بها الإمام الرّضا عليه السلام أثناء البيعة له بمقدار معيّن ولمصلحة معيّنة، وهي امتداد لـ (**مِثلي لا يُبايع مثله**)، وامتداد لـ(لاءات) سيّد الشهداء عليه السلام، وأرجو أن نقف عندها، وهذه ليست (لاءات) شعاراتٍ وإنَّما (لاءات) حقيقيّة، والإنسان عندما

تكـون عنـده مصداقيّـة يقـترب مـن سـيّد الشّـهداءعليه السلام خطـوةً خطـوةً، وقولـه: ((**لا أُعطيكـم بيـدي**)) حقيقـةً هـو شـعارٌ حقيقـيّ ولم يُعـطِ، و((لا أقـرّ)) هـو لم يقـرّ، ((ومِثـلي لا يُبايـع)) لم يبايـعْ؛ لاختـلاف المنهجـين.

في كلّ أوقاتنا وأزماننا وعصورنا هـذان المنهجـان موجـودان وهمـا امتـدادٌ إلى صراع قابيـل وهابيـل، وإلى الحـقِّ والباطـل، وإلى الخـير والـشّرّ، وأحدهمـا لا يُمكـن أن يلتقـي بالآخـر، ومعنـى ذلـك أنَّ الخـير لا يخضـع للباطـل وإن كان الباطـل أقـوى، وإن كان الباطـل اسـتعدى، وإن كان جنـود الباطـل أكثـر، لكـن الحـقّ لا يخضـع إطلاقـاً.

وبحمـد الله تعـالى اليـوم نـرى سـيّد الشّـهداءعليه السلام هـو الصـوت الأقـوى حتّـى بعـد أربعـة عـشر قرنًـا -كـما يتصـوّرون- وهـو دائمًا الصّـوت الأقـوى، يتصـوّرون كـما قلـت أنَّ المُكنـة لهـم؛ لأنَّ هـذا الخـطّ لا يُمكـن أن يكـون تحـت هـذا الخـطّ.

إنَّ صاحـب المبـدأ لا يمكـن أنْ يتنـازل عن مبدئه وعن إصلاحـه، وإنْ لم تأتِ الظّروف معـه؛ لأنَّهـا رسـالة؛ والرّسـالة لا تقبـل التَّنـازل لوجـود بُعد في الآفـاق والنَّظـر، لكن قصير النَّظـر يتوقّـع أنْ يعيـش في الدّنيـا خمسـين؛ أو سـتين، أو سـبعين سـنة، ويجب أنْ يحتـل العالم فيهـا، ولـو كان مُصلحًـا لما تكلّم بهذه المسـألة، لأنَّ ذلـك يُنافي أهـداف الأنبياءعليهم السلام.

مـن هنـا أقـرأوا القـرآن الكريـم وتدبّـروا فيـه، وتابعـوا معانـاة الأنبياءعليهم السلام مـع الأمم، ثم بعـد ذلـك سـتعرفون أنَّ النَّتيجـة بقـاء دعوة الأنبيـاءعليهم السلام وما كانـوا يدعون إليـه من صلاح، ولا زلنـا نحـن نعيـش آثارهـا الإيجابيّـة، والإمـام الحسـينعليه السلام رجـل مـع غـض النَّظـر عـن جانـب العصمـة اسـتوعب جميـع مـا يمكن أن يحدث، فسـار وبيَّن لأصحابه حقيقـة وغاية مـا عنـده؛ فـكان صادقًـا مـع أصحابـه، وهـذا شـكّل اختبـارًا حقيقيًّـا لهـمعليهم السلام بحيـث الـذي خـرج طمعـاً أو اشـتباهاً تراجـع في المراحـل الأولى مـن المسـير، وخروجـه بمسـيرة طويلـة كانـت بمثابـة عمليـة التّشـذيب لأصحابـه نتـج عنهـا أنَّ الذيـن وقفـوا في واقعـة الطَّفّ لم يتراجـعْ أيَّ أحـد منهـم، وهـو تمحيـص دقيـق صدّقـهعليه السلام وصـدقُ فيـه مـع صحبـه، فهـم

تخلّوا عن كلّ شيء في الدّنيا لأجل الإمام الحسين عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام رجل مصلحٌ، ورجل ألمَّ بكلّ خصوصيّات مسيرة الإصلاح، لذلك أنتج هذا الإنتاج المُثمر.

والآن ممكن أنْ نقرأ التاريخ لنرى أنَّ دعوة الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطَّفّ كانت حقيقة، وحصلت بسببها مجزرة بمعنى الكلمة، والجانب المأساوي فيها لا يمكن أنْ يصل إليه أيّ جانب مأساوي في كلّ بقاع الدّنيا، من آدم إلى أنْ يقوم صاحب الأمر؛ مجزرة حصلت في واقعة الطّفّ بكلِّ معنى الكلمة:

أَنْسَتْ رزيتُكُم رزايانا التي ... سلفت وهوّنت الرزايا الآتيه

وفجائعُ الأيامِ تبقى مدّةً وتزولُ وهي إلى القيامةِ باقيه[1].

لقد كان جسم الإمام الحسين عليه السلام على أرض كربلاء ثلاثة أيّام، وخيل الأعداء فعلتْ ما فعلت، وجيش يزيد فعل ما لم يُفعَل في الجاهلية، وحُزَّت الرّؤوس حتّى رؤوس الأطفال، وكلُّ مثلبة فعلها القوم، فهي هتكٌ حقيقيّ للحرمات، وكُشِفَ ذلك اللباس المُبرقع للأعداء في واقعة الطّف، لكن بعض الأقلام تبقى أقلاماً مأجورة، لم تُقِرْ بأنَّ هذا الفعل كان فاصلاً بين الحق والباطل، بل وحتّى الخُلق العربي الذي يتفاخر به الآخرون تنازلوا عنه، فقد أُثِرَ عن العرب أنَّ مجير ربيعة الذي يُعبّرون عنه في الأدب العربي؛ أجار جرادًا أراد جماعة أن يصطادونه فانتقل من المكان المشمس إلى مكان الظل، فحين خرج ربيعة قال: ماذا تفعلون؟ قالوا نصطاد جرادًا، قال: مستحيل لقد استجار بي فأنا مجير الجراد[2]، وفعلاً دافع إلى أنْ جاءت الشّمس وطار الجراد.

لقد تجسّدت الرّذائل بكلّ صورها في معسكر الأعداء، وهناك مساوئ موجودة

١- القصيدة للشيخ محمد علي الأعسم النجفي.

٢ - مجير الجراد: أبو حنبل حارثة بن مر الطائي أجار جراداً نزل به ومنع من صيده حتى طار من أرضه فسمي بذلك، ينظر: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله(ت: ٦٥٦هـ)، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم ١٤٠٤هـ، الأولى: ٣/ ٢٧٥. وقيل مُدْلِجُ بن سُوَيْدٍ الطائيّ، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الحسيني الزبيدي، محمد مرتضى(ت:١٢٠٥هـ)، دار الفكر، بيروت ١٤١٤هـ، الأولى: ٤/ ٣٨٩.

عند بعضهم في واقعة الطّفّ لا تجد لها مثيلاً، وتدلّ على ضحالة ما يمتلكون من خُلق، حتّى إنَّ الأرض تشمئز من المشي عليها، ونتجت عن تلك الفئة السّيّئة قتل الإمام الحسين عليه السلام وأسر العائلة وسبي نساء وبنات النبي صلى الله عليه وآله أمام الملأ وأمام المسلمين، والرّؤوس تطوف في بلاد المسلمين.

الإصلاح عند أبي عبدالله الحسين عليه السلام إصلاح حقيقيّ، وإذا تكلّم تكلَّمَ بصدقٍ، واليوم نعيش بعض ثماره، ولا أقول كلَّ ثماره، ومع هذا العالم كلّه يُطأطئ رأسه لسيّد الشّهداء الحسين عليه السلام بلا مبالغة، ومَن يريد أنْ يرى حقًّا يأتي للإمام الحسين عليه السلام، ومن أراد الدّنيا فعليه بالحسين عليه السلام، ومن أراد الآخرة فعليه بالحسين عليه السلام.

من جملة النّتائج أيضاً قضيّة التّثقيف التي تحصل عن طريق المنبر الحسيني، فقد حشّد الأئمّة الأطهار عليهم السلام بعد واقعة الطّف كلّ جهودهم من أجل الحسين عليه السلام؛ زيارةً وبكاءً وندبًا وتشييداً لقبره، وذكره في مناسبات متعدّدة، بحيث لا يوجد إمام لم يتحدّث عن الإمام الحسين عليه السلام، واستمر التّحشيد أكثر من مئتي سنة من قبل الأئمّة عليهم السلام لجميع محبّيهم حول قضيّة الإمام الحسين عليه السلام، وبعد ذلك أنتجت المنبر الحسيني شعراً وتثقيفًا ورسالةً وكلّ شيء، بحيث برزت حالة من حالات المدرسة السّيارة التي ثقّفت جمهور المسلمين اتجاه قضيّة واقعة الطّف، بحيث أصبحت المنابر مدارس جوّالة حفظت لنا ليس قضية الإمام الحسين فقط، وإنّما أصول المذهب، وكلّ ما يتعلّق بالتّعاليم التي أرادها الأئمّة عليهم السلام؛ وهذه حالة غير موجودة إلّا في قضيّة الإمام الحسين عليه السلام، ولو لم يوجد شيء إلّا هذا المنبر لكفى بها حالة من حالات الإصلاح، فما دام المنبر موجودًا يعني فكر الإمام الحسين عليه السلام موجود، وما دام المنبر موجودًا يعني الباطل ممكن أنْ يُشخَّص من خلال المنبر، ولذلك كلّ الطّواغيت حاولوا محاربة الإمام الحسين عليه السلام من خلال المنبر منعاً وقتلاً لأصحابهِ وسبّاً لهم، وهناك محاولات فاشلة أُريد منها توظيف المنبر لمدح السّلاطين ومدح أعداء الإمام الحسين عليه السلام فتهاوى الجبابرة واحدًا بعد الآخر.

إنَّ هذه الحالة التي برزت في المنبر المبارك هي إحدى النّتائج الأساسية في واقعة الطّف، وما زال في يومنا هذا علماء ومراجع يقرأون المجالس بهذه الطّريقة المنبرية التي أَثْرَتْ الأدب اثراءً كبيرًا، ونعني به الأدب النَّافع، فهناك أدب خاصّ يُنعت بأدب الطَّف، كالمرثية الحسينيّة الآن في كلّ جوانبها هي مرثيّة خاصّة بقضية الطّفّ، وهناك بعض القصائد الطوال التي يُطلق عليها تسمية الملحمة الحسينيّة، قد يصل طولها إلى أربعة آلاف بيت من الشّعر، تتضمّن أصول الخليقة وأصول الدِّين وكلّ ما جرى ثمَّ تعرج على الحسين عليه السلام، فكأنَّ القارئ لها يقرأُ تاريخًا كاملاً من خلال المنظومة الشّعرية، وهذا كلُّهُ ببركة سيّد الشّهداء عليه السلام.

والأمر الآخر الذي أشير إليه ممارسة الشّعائر المتعلّقة بالإمام الحسين عليه السلام، وهنا لا أتحدّث عن أنواع الشَّعائر أو عن شعائر خاصّة، بل أتحدّث عن المعنى العام للشعائر ووقوعها تحت ضوابطنا الشَّرعية، ومن فوائد هذه الشّعائر أنّها شعائر جماهيريّة وشعائر شعبية بحيث لا يمكن القضاء عليها إطلاقًا؛ لأنَّها لا تنحصر بطائفة محددة وإنّما لها رقعتها الجغرافية الواسعة، ولهذا أصبح من الصَّعب على الحاكم مهما كان جائرًا أنْ يقضي عليها ويعدمها نهائيًّا؛ لأنَّ ذلك مستحيل، فإذا أُقبِرتْ في مكانٍ ما تولدت بأكثر من مكان آخر؛ بسبب المشاركات الشَّعبية الواسعة في شعائر الإمام الحسين عليه السلام، ولو كانت الشعيرة مختصّة بطائفة ضيّقة جدًّا لَما كُتِبَ لها البقاء على هذا المستوى، وإنّما هذه الشعائر تبدأ من الطّفل وتنتهي بالشَّيخ، ويكفينا في العراق عندنا تجربة لمن يُريد أنْ يسمع بتجربة العراق مع هذه الشّعائر الجماهيرية الواسعة التي يُشارك فيها الكلُّ خصوصًا في أيّام محرم وصفر، كلّ العراق -وأتحدّث عن مكانهِ في العالم- يلبس السّواد ويعيش في أجواء الحسين عليه السلام.

هذه الحالة حفظت العلماء، وحفظت الشّريعة، وحفظت مَواطنَ اعتقادنا عن طريق هذا الكمّ الهائل من الإصرار على الشَّعائر؛ نعم دفع محبّو أهل البيت عليهم السلام أرواحهم

الزَّكية، ودماءهم لكن لم يستكينوا كلّما قست الظّروف عليهم، وقسى السّلطان، فكلّما هدأت الأوضاع في مكانٍ ما تفجّرت في مكانٍ آخر، والعدو عندما يتّصف بالحماقة فإنَّه يُعادي شعائر الإمام الحسين عليه السلام، وعندما يكون هكذا فإنَّ الشَّعائر تبقى والعدو ينتهي، هذه الحالة حالة الانجذاب نحو الإمام الحسين عليه السلام حقيقة بنفسها تُعطي لمن أراد أنْ يفهم درسًا أنَّ المسألة وراؤها سرّ عميقٌ، والمسألة وراؤها شيءٌ كبير، فكانت نبوءة السّيّدة زينب عليها السلام صادقة، أنّه سيبنى مَعلَمٌ والناس تَفِدُ إليه ولا تنقطع هذه الشَّعائر، وأنَّ السيدة زينب قد أخبرها الإمام عليه السلام عن ذلك.

هذه الحالة الوجدانية التي نعيشها الآن كلّها من ثمرات فاجعة الطَّف، ولا يمكن أنْ يجعل الله تبارك وتعالى وليّه يتعرّض لما تعرّض له الحسين عليه السلام من دون أجرٍ كبيرٍ، عندنا في الرّوايات أنّ زكريا عليه السلام عندما كان يدعو ويتوسّل بالنّبي وأهل البيت يقول: كلّما ذكرت النبي انشرح صدري، ذكرت أمير المؤمنين وذكرت فاطمة والحسن ينشرح صدري، وحينما أصل إلى ذكر الحسين أشعر بحالة من الانقباض.

والقصد من كلّ ما مرّ لا نريد أنْ ننظر إلى الإمام الحسين عليه السلام من جنبةٍ ضيّقة، فواقعته بلا شكّ مهيمنة وعظيمة، ولكن ننبّه إلى أنّ هذه المشاركات الجماهيرية الكبيرة مهمّة جدًّا، وحافظت على أواصر ارتباطنا بأهل البيت عليهم السلام وتشعّبت.

إنْ حافظنا على قضايا جميع الأئمّة عليهم السلام في كلّ مناسبة فإنَّ هذه المشاركات تزداد وتكبر، وإنْ شاء الله تعالى يرينا ما وعدنا به على لسان الأئمّة في حقِّ سيّد الشّهداء عليه السلام من أنَّ الدّعاء تحت قبّته مستجابٌ، وأنّه عليه السلام له الحظوة الكبرى في الشفاعة يوم القيامة؛ ولعلّ من موارد التقوى هو استذكار أبي عبدالله الحسين عليه السلام والنّخبة الخيّرة من أهل بيته عليهم السلام ومن أصحابه عليهم السلام؛ الذين تركوا الدّنيا للآخرة، وتركوا الأبدان للأرواح، وفازوا بنعيمٍ أبديّ سرمديّ، ونالوا مثلما نال الإمام الحسين عليه السلام سيّد الشهداء أيضاً، وهم سادة الأصحاب وسادة الشّهداء.

المبحث الثاني

إِحياءُ الدِّيْنِ

لقد تميّزت منهجية الإمام الحسين عليه السلام أنّها منهجية نبويّة، واستصراخ الإمام الحسين عليه السلام هو استصراخ الحقّ واستصراخ الأنبياء، وهي دعوة الأنبياء من غير نبيّ، ويمكن لنا أن ننظر إلى هذه الحقيقة من منظارٍ آخر ووجود بعض المبادئ التي يمكن للإنسان أن يقتنصها وتتوضّح له معالم الصورة بشكلٍ جليّ من خلال تتبّعه سواءً لآيات كثيرة أو لأقوال الأئمّة الأطهار عليهم السلام؛ وأنّ قيمة كلّ عمل بمقدار ما يؤثّر هذا العمل، وإذا كان هذا الأثر أثرًا منقطعًا فتكون قيمته بمقدار ما يُوجد إلى أن ينقطع، وإذا كان العمل ممتدًّا وطويلاً لاشكّ في أنَّ الأثر يبقى ما بقي، أي يبقى العمل ما بقي هذا الأثر؛ ولذلك ورد في مجموعة روايات أنَّ (**من سنّ سنّةً حسنةً**...) وهذه السّنّة الحسنة تكملتها أنَّه (**له أجرُها وأجرُ من عمل بها**...)[1]، على أنَّ هذا الخطّ الذي خطّه سيستمرّ، وتكون هذه الحسنة نماءات الحسنات وآثار الحسنات عند من يعمل، وفي مقابل ذلك السّنّة السّيئة، فالإنسانُ يُجزى بالوزر، ولا يُكتَفى وإنَّما وزر من عمل بها؛ لأنّه كان مبتدئًا لسنّ هذه السّنّة السّيّئة، فالسّنّة الحسنة ما استمرّت يكون صاحبها في أجرٍ ومثوبة، وإن مات وانقطع عن الدّنيا لكن الأثر يبقى وكذلك السّنّة السّيّئة، ولذلك نقرأ: (**اللهم العَنْ أول ظالمٍ**...)[2] وهذا يستمرّ ما دام هناك ظلم قد تأسّس، وكذلك نسلّم على تلك الأرواح والنّفوس التي بايعت ووقفت وقفةً مشرّفةً مع الصّلحاء ومع الأنبياء ومع الأولياء ومع الأئمّة عليهم السلام.

إنَّ الاهتمام بشخص الإمام الحسين عليه السلام أمرٌ يستوقفنا كثيراً لاهتمام شخص النّبيّ صلى الله عليه وآله واهتمام أمير المؤمنين واهتمام بقيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام، وما وصل إلينا منه نعجز عن فهمه، ونحار في تفسيره، ونحن نريد أن نصل إلى قضيّة مؤدّاها، ما هو العمل الذي عمله الإمام الحسين عليه السلام بحيث استوجب هذا الاهتمام الكبير الهائل؟

١- الكافي: ٥ / ٩.

٢- كامل الزيارات: ١ / ٣٣١.

لابُـدّ مـن وجـود عمـل خـارج إطـار القتـل والاستشـهاد، فالإمـام عليه السلام إمـامٌ مفـترض الطّاعـة عـلى الأمّـة -في وقتهـا- وعليهـا أن تطيعـه، وأن لا تجادلـه، فضـلاً عـن أن تُناجـزه وتقاتلـه، وممّـا لا شـكَّ فيـه أنَّ الإمـام الحسـين عليه السلام هـو مقـدار الحـقّ، ولابُـدّ مـن وجـود حالـة مـا بعـد قضيّـة الاستشـهاد، وهـي عمليـة إحيـاء؛ بمعنـى أنّـه لا ديـن بعـد ديـن الإسـلام، وهـذا الدّيـن الإسـلامي لابُـدّ أن يبقـى ولابُـدّ أن يصمـد بالأسـباب الطّبيعيّـة، ومـن الممكـن لهـذا الدِّيـن أن يُـزوّر، ومـن الممكـن أن يوضـع فيـه مـا ليـس منـه؛ وخاصّـة مـع مكنـة بعـض السّـلاطين وقـدرات الدّولـة في وضـع مـا تضـع تحـت التّرهيـب والتّرغيـب فمـن الممكـن لهـذا الدّيـن أن يحـرّف، ونحصـل عـلى ديـن معـوج ينسـب الى السّـماء ولكـنّ السّـماء ليسـت لهـا علاقـة بـه، وإحيـاء هـذه الحالـة -مـع أنّـه لا يوجـد بعـد ذلـك نبـيّ- يسـتوجب أن يكـون العمـل الـذي عملـه الإمـام الحسـين عليه السلام عمـلاً عظيـمًا، والمقصـود مـن العمـل العظيـم نهايـة العمـل في حفـظ الدّيـن؛ فمثـلاً أمـير المؤمنـين عليه السلام في واقعـة الخنـدق، والـكلّ يعـرف أنّ واقعـة الخنـدق كانـت واقعـة حرجـة أمـام المسـلمين، بحيـث أنَّ الطَّـرف المقابـل كان يتمثّـل ببطـلٍ مـن أبطالـه معـروف في الوسـط الحـربي، ومعـروفٌ مَـنْ هـو عمـرو، والقتـال في تلـك الفـترة يحتـاج الى المكنـة الشَّـخصية، والقابليـة الشّـخصية تهـزم المعركـة أو تُبقـي المعركـة، وهـو رجـلٌ شـجاعٌ وشـجاعته معروفـة في الوسـط القتـالي، والـذي يُـمارس القتـال يعـرف مـن هـو عمـرو، وعندمـا اجتـاز عمـرو الخطـوط الحمـراء التـي وضعهـا المسـلمون، وهـي الخنـدق حينـذاك، أُصيـب المسـلمون بحالـةٍ مـن عـدم الاسـتقرار إذ إنَّ الديـن تعـرّض بالوضـع الطبيعـي إلى خطـر، ولذلـك عـرض النّبـيّ صلى الله عليه وآله هـذا الفخـر عـلى الأصحـاب جميعًـا؛ إنَّنـا نتعـرّض الآن الى خطـورة، ونحتـاج أن يـأتي أحـد ويجعـل المسـلمين في راحـة، ولابُـدّ أن يُقتـل عمـرو، وعمـرو غـير مسـتعد أن يكـون مسـلماً في تلـك اللحظـة ولابُـدّ أن يُقتـل؛ مَـن الـذي يتصـدّى لقتلـه؟ وأنـا أتحـدّث

بالأسباب الطّبيعية، ولا أتحدّث عن طريق الإعجاز، لكن بالأسباب الطّبيعية من يتصدّى الى عمرو، ولذلك النّبيّ صلى الله عليه وآله عندما عرض هذه المسألة على الأصحاب لم يقم إلّا عليّ عليه السلام، ولذا النّبيّ صلى الله عليه وآله شيّع عليًّا بعبارة تبقى محفورة في جبين التاريخ إلى الأبد: (**برز الإيمان كلّه إلى الشّرك كلّه**)[1]، وهذا التّعبير من النّبيّ صلى الله عليه وآله في أحلك الظّروف كان مهمّاً، والنتيجة أنّ أمير المؤمنين كعادته انتصر، فماذا كان قول النّبي صلى الله عليه وآله في ذلك قال: (**لَضربة علي خير من عبادة الثّقلين**)[2].

قد لا يفهم بقيّةُ المسلمين القيمة الحقيقية لهذه الضَّربة وإنَّما يفهمون أنَّ رجلًا قتل رجلاً، ولكن المسألة ليست كذلك؛ بل المسألة أنَّ الإيمان تغلّب على الشّرك في تلك اللحظة، ولذا فإنَّ جزاء هذه الضّربة بيّنه النّبيّ الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وقيمة هذه الضَّربة التي قد أخذت من اليوم ساعة أو نصف ساعة أو ثلث ساعة جزاؤها وعطاؤها يمتدّ إلى عمق التاريخ وإلى يومنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقيمة العمل لا تتحدّد بالمقدار الزَّمنيّ وإنَّما بمقدار ما تترك من أثر.

كذلك الإمام الحسين عليه السلام، فالنّبي له كلمة في حقِّ الإمام الحسين عليه السلام وهذه الكلمة في غاية الأهمّيّة، يقول: (**حسينٌ منّي...**)[3] وعبارة النّبيّ يذكرها كلّ الجمهور، وعندما نأتي إلى شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام على لسان النّبيّ فالكلّ يذكر هذه المقولة أنّ النبي قال في حقّ سبطه: (**حسينٌ منّي وأنا من حسين**)، فلاحظوا قوله: (**..وأنا من حسين**) فالنّبيّ خاتم الأنبياء والرسالة لابُدّ أن تبقى، وهي تحتاج الى من يكون بمستوى الإمام الحسين عليه السلام حتّى يبقيها، فالقضيّة ليست مسألة بين طرفين في كربلاء، وليس أنَّ الإمام الحسين عليه السلام وصحبه وفتيته شجعان فقط، والقضيّة ليست ذلك فحسب، فهذا جزء بسيط من الحدث، والإمام السّجّاد والإمام الصّادق عليهما السلام عندما يتحدّثان عن أبي الفضل

١ بحار الأنوار : ٢٠ / ٢١٥.
٢ – م.ن: :٣٩/ ٢.
٣ كامل الزيارات : ١ / ١١٦.

العباس عليه السلام يقولان عنه إنّه: (**نافذ البصيرة**)[١] ونافذ البصيرة ليس لها علاقة بالاقتتال، وإنَّما نافذ البصيره لها علاقة بالعقيدة، ولها علاقة بقدرة العبّاس عليه السلام على فهم طبيعة المعركة، والأصحاب كذلك عندما كانوا مع الإمام الحسين عليه السلام ويستأذنونه في الحرب، ومعنى ذلك أنّهم كانوا يعلمون مَنْ هو الإمام الحسين عليه السلام، فالمسألة ليست مسألة شجاعة فقط، لذلك ثقف الإمام الصّادق عليه السلام وكثّف الاهتمام بقضيّة سيّد الشّهداء عليه السلام، وجزءٌ مهم من معرفة الإنسان لسيّد الشّهداء الحضور عنده، ولذا تأسّس مفهوم ثقافة الزيارة، والزيارة للإمام الحسين عليه السلام معناها وجود حالة فهمٍ خاصّ للإمام الحسين عليه السلام، وهذا الفهم لا يبقى في بطون الكتب وإنّما الحضور بالبدن وتحمّل المشاق له دورٌ كبير في تثبيت الولاء للحسين عليه السلام، وقبل أن آتي إلى بعض مقاطع كلام الإمام الصّادق عليه السلام أنقل هذه الرّواية أيضاً عن الإمام الصادق عليه السلام، ولاحظوا هذا العمق الذي اختطفته كربلاء في يوم العاشر، وعبّرت به إلى مسافات شاسعة تضيق بها حتّى الكرة الأرضية.

الزّيارةُ والمعرِفة

كان اسحاق بن عمار يتردّد على الإمام الصادق عليه السلام ويقول: سمعت أبا عبدالله عليه السلام: (**ليس نبيٌّ في السماوات إلّا ويسألون الله تعالى أن يأذن لهم في زيارة الحسين عليه السلام ففوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد**)[٢]؛ هذه الزيارة من الأنبياء، وعندنا روايات عن الملائكة، وتوجيه ذلك أنّ هذه الشخصية -شخصية الإمام الحسين عليه السلام- حفظت نهج الأنبياء ودعوتهم من نبي الله آدم عليه السلام إلى يومنا هذا، وهذا معنى الوراثة الذي تحدّثنا عن بعضها فيما سبق، فعندما يكون الإمام الحسين عليه السلام هو وارث لآدم؛ والوراثة ليست الوراثة النّسبية على مقدار متاع الدّنيا؛ فالإمام

١ - عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١ / ٣٥٦.

٢- كامل الزيارة :١ / ٢٢٠.

الحسين عليه السلام لم يرث آدم بمقدار ما عند آدم من مال وما عنده من أراضٍ، لكن هذه الوراثة باعتبار حفظ دعوة الأنبياء في شخص الإمام الحسين عليه السلام، والإمام الصادق عليه السلام في روايةٍ عن معاوية بن عمار أيضاً من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام يقول: دخلت على الإمام الصادق عليه السلام بعد أن أذن لي وجدته ساجداً، ومن جملة ما دعا قوله: (**يا من خصّنا بالكرامة ووعدنا الشفاعة وحمّلنا الرسالة...**)[1] ولاحظوا المضامين الثّقيلة المهمّة التي يتحدّث عنها الإمام الصادق عليه السلام (...**وجعلنا ورثة الأنبياء وختم بنا الأمم السالفة وخصّنا بالوصيّة...**)[2] وختم بنا الأمم السَّابقة تشير إلى وجود قضيّة ختام وليس بعدها شيء يبتدأ، ولا دين بعد دين النّبيّ صلى الله عليه وآله، قال: (...**وأعطانا علم ما مضى وعلم ما بقي وجعل أفئدة الناس تهوي إلينا**....)؛ هذه مضامين عظيمة وراقية وفيها مداليل مهمّة، فالإمام الصّادق عليه السلام يقول: يا من خصّنا بالكرامة وغيرها من الخصائص يريد مطلبًا، ويريد أن يدعو الله تعالى بدعاء قدّم له هذه المقدّمة: (...**اغفر لي ولإخواني وزوّار قبر أبي عبدالله الحسين بن علي(صلوات الله عليهم) الذين أنفقوا أموالهم وأشخصوا أبدانهم رغبةً في برّنا ورجاءً لما عندك في وصلتنا، وسروراً أدخلوه على نبيّك محمد صلى الله عليه وآله وإجابةً منهم لأمرنا وغيظاً أدخلوه على عدوّنا أرادوا بذلك رضوانك...**)[3]، فقوله:(**أرادوا بذلك رضوانك**) إذا كانت الأنبياء تستأذن الله تبارك وتعالى أن تزور الإمام الحسين عليه السلام والرواية تقول (**فوجٌ يصعد وفوجٌ ينزل**) أو (**فوجٌ ينزل وفوجٌ يصعد**)، فزيارة الإمام الحسين عليه السلام فيها سرورُ ورضا الله تبارك وتعالى، والأنبياء لا يفعلون فعلاً بحسب الأهواء، وإنَّما هو نبيّ في السموات

١ - ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، دار الشريف الرضي للنشر، قم١٤٠٦هـ، الثانية: ١ / ٩٥.

٢ - م.ن: ١ / ٩٥.

٣ - م.ن: ١/ ٩٥.

وهو نبي منزلته منزلةٌ عظيمة ومقامه مقامٌ كبير يستأذن من الله تعالى حتّى يزور الإمام الحسين عليه السلام والله يأذن له؛ ومعنى ذلك أنّ هذا العمل ليس فيه طاعة فقط؛ وإنّما من أفضل القربات إلى الله تعالى، والإمام الصّادق عليه السلام يؤكّد هذا المعنى أيضاً أنّ هؤلاء الزّوار أشخصوا أبدانهم، وتعبوا، وفي تتمّة الرواية: (**أنّ أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم**)[١] في هذه الفترة لم يكن أعداؤهم يعيبون عليهم فقط، وإنّما ترصّدوا لهم بالقتل أيضاً، لكنّ هذا يزيدُ في عدد الزّائرين، ويزيد في قوّة الزّائرين ليس عدداً كمّيًّا فقط، وإنّما عددًا نوعيًّا أيضاً.

المُصيبةُ الرَّاتبة

أعداءُ الإمام الحسين عليه السلام حمقى؛ فقد حاولوا بكلّ ما يسعفهم به الظَّرف من قتلٍ ومن تهديدٍ ومِنْ ومِنْ ومِنْ، والنتيجة ازدادت المسألة وكانت على خلاف ما أرادوا، نحن قلنا: إنَّ الإمام الصَّادق عليه السلام يقول: (أَشخَصوا أبدانهم)، فهناك رغبة في المثول والثبات على المجيء وعلى الحضور؛ حتّى يعرف الإنسان قوّة هذه الشّخصية التي يأذن الله تبارك وتعالى للملائكة والأنبياء أن يزوروها، وهي شخصية الإمام الحسين عليه السلام، ومن جملة الزّيارات قول الإمام الصّادق عليه السلام: (**أشهد أنَّ دمك سكن في الخلد...**)[٢]، وهذه العبارة عرضنا لها سابقاً، وسَكَنَ في الخلد دماً، (...**واقشعرّت له أظلّة العرش...**)[٣] قال: (...**وبكى له جميع الخلائق...**)، وتأمّلوا الجانب المهم في أنّ الخلائق تبكي الحسين عليه السلام، وهذا ليس جانباً عاطفيًّا فحسب، فالإنسان عندما يبكي ويستمرّ في البكاء، فمعنى ذلك أنَّ هناك شيئًا كبيرًا وعظيمًا قد اعتُدِيَ عليه، فضلاً عن القضيّة الشّخصيّة، فالقضية الشّخصيّة أنَّ الإنسان يحزن ثمّ ينسى بعد

١ -كامل الزيارات: ١ / ٢٢٨.
٢ - م. ن: ٣٦٤.
٣ - م. ن: ١ / ٢٢٨.

ذلك، والإنسان الآن يتعلّق بأبيه وبولده أيّما تعلّق ثمّ تجري المقادير فيفقده، ويبكي عليه سنة أو سنتين لكنّه ينسى وينشغل، أمّا أن تكون هناك وظيفة، أنبياء يستأذنون لزيارة الإمام الحسين عليه السلام والإمام في الزيارة يقول: (...**أشهد أنَّ دمك قد سكن في الخلد واقشعرّت له أظلّة العرش وبكى له جميع الخلائق وبكت له السّماوات السّبع والأرضون السّبع وما فيهنّ وما بينهنّ ومن يتقلّب في الجنّة والنار من خلق ربّنا ومن يرى ومن لا يرى**...).[1] لا يوجد شيءٌ بعد ذلك، أهل الجنّة يبكون وهم في نعمة، وأهل النّار يبكون لا لألم وإنَّما يبكون للإمام الحسين عليه السلام، لمجرّد أن يفهم الإنسان شخصيّة سيّد الشّهداء عليه السلام الحسين ومصيبته وما حلّ به عليه السلام، وهذه العظمة لسّيّد الشّهداء عليه السلام فاقت تصوّراتنا، فشخص تبكي له السماوات والأرض وما فيهنّ وما بينهنّ وجميع الخلائق، أهل الجنّة والنّار وما يُرى وما لا يُرى[2]، وهناك من الخلائق الشيءَ الكثير الذي نعجز أن نراه، فكم ملكًا خلق الله تبارك وتعالى؟ الكثير.. كلّ هؤلاء يبكون الحسين عليه السلام كما في نصّ الزّيارة، وهذا الذي نراه في كلّ سنةٍ وفي كلِّ عام من ازدياد المسيرة نحو الإمام الحسين عليه السلام ازدياد كمّيّ وازدياد نوعيّ، على الرغم من ظروف البلد، وفي الحقيقة إنّ كثيرًا من الناس تُعيقه العوائق عن الزّيارة، لكنهم يتمنّون الزيارة، بيد أنّهم قد يكونون خارج البلاد، والشّقّة بعيدة، وصعوبة تحصيل الأذونات الرّسميّة، وإلّا لوجدت شيئًا عجيبًا فهذا الكمّ الهائل لزوّار سيّد الشّهداء، هذا كمّ الدّنيا ولاشكّ أنَّنا نحن لو بقينا مع هذه الرّواية فإنَّنا نرى أنّ هذه الأعداد الغفيرة البشرية أنبياء وملائكة وسكّان السّماوات والأرض وما بينهنّ وأيّ شيء وأهل الجنّة وأهل النار، فمعنى ذلك أنّه لن يبقى أيّ عاقل إلّا وقد عرف الإمام الحسين عليه السلام ولا يوجد شيء ولا يوجد أحد

١ -كامل الزيارات: ١ / ٢٢٨.
٢ - م. ن: ١ / ٢٢٨.

إلّا وقد عرف الحسين عليه السلام، فتارةً يعرفه الإنسان قبل فوات الأوان فهنيئاً له، وتارةً يعرفه بعد فوات الأوان وهؤلاء الذين قَتَلُوا الإمام الحسين عليه السلام كان البعض منهم يعرفه عليه السلام لكن إرادته مسلوبة بطمع الدّنيا، والبعض لم يعرفه إلّا بعد فوات الأوان، فخسروا بالنّتيجة شفاعة الإمام الحسين عليه السلام، وخسروا النّصرة للحسين عليه السلام، والنّتيجة مثلما يقول الإمام الصادق عليه السلام: خسروا رضا الله تبارك وتعالى، ولاشكّ في أنّ أنصار الإمام الحسين عليه السلام قد بذلوا مهجهم الغالية وبذلوا أبدانهم وأجسادهم وحلّوا بفِناء سيّد الشهداء عليه السلام، وهم كانوا من الأصحاب البررة والأخيار ورفعوا بالنّتيجة رقم واقعة الطّف الى مصافٍّ أكثر وأكثر.

المبحث الثالث

مِن أَسْرارِ عظمةِ سيِّدِ الشُّهداءِ عليه السلام

من الأحاديث التي لا تنتهي الحديثُ عن سيّد الشهداء عليه السلام، ولعلّنا ذكرنا في أكثر من مناسبة ما للإمام الحسين عليه السلام من أثرٍ بالغٍ وكبير في الحفاظ على دين جدّه النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد مارس سيّدُ الشّهداء عليه السلام كلّ الوسائل المتاحة من أجل أن يبقى هذا الدّين كما جاء به النّبيّ، ومن خلال وجوده مع أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ومع الإمام الحسن عليه السلام إلى ما بعد شهادة الإمام الحسن عليه السلام، وهنا أُلفت النَّظر إلى أنَّ كلَّ انحرافٍ لابُدّ أن يظهر للملأ، وإذا كان يُمكن أن تدلّس الحقائق فإنَّ عمر التَّدليس قليل، والحقائق تظهر ولو بعد حين.

الانحرافُ عن مبدأ الحقّ

ولذلك فالزّيفُ الذي واجهه الإمامُ الحسين عليه السلام كشفه للعيان، وأظهره للملأ؛ وذلك لأنَّ الذين واجهوا الإمام الحسين عليه السلام لم يكونوا على المسيرة النّبويّة الصَّالحة، ويعني ذلك لم يكن أحدٌ من الذين واجهوا الإمام الحسين عليه السلام يُعلن انتماءً حقيقيًّا وسلوكيًّا للنبيّ صلى الله عليه وآله، أمَّا في مقام التّدليس على عامّة النَّاس فهم كانوا يُظهرون أنَّهم ورثوا النبيّ بطريقٍ شرعيٍّ، ولكن السّلوك الخارجيّ كلّه كان مقرونًا بالاستهتار والظّلم والفسوق وتجاوز الحدود، ولا شكّ أنَّ هذا المعنى يكشف أنَّ هذه الطَّبقة التي تسنّمت زمام الأمور هي طبقة بعيدة كلّ البُعد عن دين النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وفي بعض الحالات الأمّة تقع تحت تخدير السّلطة، وهذه السّلطةُ تُحاولُ بما عندها من إمكانات أن تصنع تاريخًا جديدًا ليس له واقع، ولكنّه يُمكن أن يُنقش في بطون الكتب، وذلك عن طريق بذل الأموال والمناصب وشراء الذّمم، من أجل أن يُخترَع تاريخٌ جديدٌ، وأنتم تعلمون أنَّ التاريخ هو وقائع خارجيّة، وهذه الواقعة الخارجيّة إذا وقعتْ لا يُمكن أن تُنفى أو تَفنى، فالشّيء إذا وقع لا يُمكن أن يرتفع، فالتاريخ له جنبتان؛ هناك تاريخٌ واقعيّ، ونعني بذلك أنَّ هناك أحداثًا قام بها النبيّ وقام بها الإمام أمير المؤمنين وقام بها الإمام الحسن والحسين عليهم السلام هي أحداث واقعيّة، ولكن

الكمّ الذي وصل إلينا قد يكون قليلاً؛ لكن حديثنا عن الأمر الواقعيّ.

والقضية نفسها يمكن تطبيقها في مجال النّبوّة؛ فمَنْ جاء بالنّبوّة وجاء بالكتاب (القرآن) قد فعل أشياء كثيرة، لكن بعض الأشياء نقلها التاريخ، وبعضُ الأشياء التاريخ لم ينقلْها؛ لأنَّ النّقل يضرّ النّاقل في أحيان كثيرة، وهناك وقائع تاريخيّة ليس لها وجود إنَّما هي محض افتراء؛ لكنّها تُكتب.

ونحن نحاول أن نخلقَ تاريخًا جديدًا، وبالنّتيجة نخلق أبطالاً جددًا، ونخلق أحداثاً مثيرة جديدة تحتاج إلى جُهدٍ ومالٍ وسلطان؛ لندحض ما كُتبت من صحائف مزيّفة من التاريخ وأكاذيب كثيرة جدّاً حتّى تلقّاها الناس كأنَّها حقٌّ صُريح، وهذه محنةٌ تُبتلى بها الأمم، فسرقة التاريخ وتبديله أقلّ ما يُقال فيها أنَّها محنةٌ تواجه الأمم، ومن يميّز ويكشف هذا التَّدليس هم عقلاءُ القوم، فتارةً الذي يُميّز هو الشّاهد على الحادثة في ذلك الوقت، فنحن عندما تمرّ علينا حادثة قبل عشر سنوات أو عشرين سنة ونحن أحياء فيها، فعندما نُسأل يُمكن أن نُجيب عن واقع القضيّة، ولكن بعد الموت الذي سيُجيب بدلاً عنّا هم الكتاب والوثائق.

تبديلُ الحقائِق

من المحطّات التّاريخية المهمّة حدوث الفصل الحقيقيّ ما بين مقرّ الوجود النّبوي في مكّة والمدينة، ثمّ بعد ذلك الانتقال إلى الكوفة وإلى الشّام، فقد أصبح بين هذه المناطق الثلاث فصلٌ كاملٌ، وهناك العديد من الحقائق الموجودة في هذه البلدان الثلاثة، وهناك زيفٌ لم يكن موجودًا أصلاً، ولكن كُتِبت كثير من الأحداث الموضوعة حتّى جُنّدت أقلامٌ لذلك، والنّتيجة كتبوا، والذين كتبوا لم يطّلعوا بشكلٍ حقيقيّ، خصوصاً مع الأزمان المتأخّرة التي لم يطّلع معاصروها على حقائقَ أُخَر تكشف محوريّة الحقّ.

ولذلك الإمام الحسين عليه السلام عانى معاناةً كبيرة وكثيرة جدّاً في إقناع الناس أنّ ما عندهم ليس دين النبيّ صلى الله عليه وآله، وهذه العملية مع ما معها من المعاناة أكملها الإمام السّجّاد وعمّته زينب عليهما السلام.

وهنا أشير إلى نقطة في غاية الأهمّية؛ ألا وهي؛ ليس من السّهل على الإمام الحسين عليه السلام أن يُعطي دمه، وهذا الدّمُ لابُدّ أن يكون ثمنُه أيضًا شيئًا باهظًا وكبيراً، فحينما أقدم عُتاة المجرمين على محاولة التّسلّط على سيّد الشّهداء عليه السلام، وعلى أهل بيته عليهم السلام، وسفك دمه في كربلاء، فهذا المعنى بنفسه جريمةٌ نكراء، وفي الوقت نفسه كان الإمام الحسين عليه السلام يعلم أنَّ هناك معركةً سيُقتل فيها، وهذا العلم بذلك المصير لم يقتصر علمه على الإمام الحسين عليه السلام؛ وإنّما كان يعلم بهذا النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله، وأمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام؛ الذي كان يقول في لحظات موته : ((**لا يومَ كيومِك يا أبا عبد الله**))[1].

إنَّ الثَّمن الذي سُفك فيه هذا الدّمُ الحرام في الشهر الحرام له حرمته العظيمة، والإمام الحسين عليه السلام يعلم أنَّه لابُدّ أن تحصل هناك نتيجة كبيرة إزاء هذا الدّم، وهي أنَّ هؤلاء الناس كانوا ينسبون أنفسهم للنبيّ صلى الله عليه وآله بغير وجه حقّ، وكانوا يعتقدون أنَّ الحقّ ليس مع هذه الوراثة للنبيّ؛ وإنّما الحقّ مع أشخاصٍ يعتقدون أنّ هؤلاء هم أقرباء النبيّ صلى الله عليه وآله من جهة أخرى؛ وهم أحقُّ بالأمر من جهةٍ أخرى.

تأثيرُ الإعلام

وحينما نرجع للأحداث نجد أنَّ بعض السّذّج يعتقد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام رجلٌ خارجيّ، وكان يعتقد بأحقّيّة الطّرف الثّاني؛ لأنّه فتح عينيه على وجودٍ يرى أنَّ هذا الوجود هو وجود النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّهم أقرباء النّبيّ، وأنَّ هؤلاء الذين جلسوا مجلس النّبيّ بأمر النّبيّ، وهؤلاء هم الذين يُمثّلون دين الله تعالى، وهؤلاء السّذّج لم يعرفوا المدينة، ولم يعرفوا مكّة، ولم يعرفوا الكوفة، فشبّت أعوادُهم وأذهانُهم على هذه

١ – الأمالي، للصدوق: ١١٦، بحار الأنوار: ٤٥/ ٢١٨.

الثّقافة، وأنتم تعلمون أنَّ هذا التاريخ عندما يكون هو التاريخ الرسميّ للدولة، وهو التاريخ الذي يجب أن يُدرّس، وهو التاريخ الذي يجب أن يُبلّغ، يقولون: اجلسوا في المساجد، وانشروا هذه الفضائل، ولا تنشروا فضيلةً لأبي تراب، وهذا تدريسٌ مُمنهج، فهؤلاء فتحوا أعينهم على هذا الوجود، وأثر هذه الثقافة انقياد الناس لهؤلاء المنحرفين.

إنّ هناك مسألة اجتماعيّة، يلزم الإشارة لها ما دمنا نتحدث عن هذا التّوجّه؛ والمسألة هي؛ في بعض الحالات نجد الناس هي من تصنع الظّلم، وتُشجّع عليه، وتنقاد له، وتقبل به، ويكون أغلب حالهم طلب العافية؛ ولسان حالهم يقول: ما لنا وهؤلاء، بحيث يتصوّر أنَّ الإمام الحسين عليه السلام صارعهم على مُلكٍ، وأنَّ هؤلاء يملكون والإمام الحسين عليه السلام يريد أن يملك؛ فهو من طُلّاب الدنيا، وينتهي الأمر بالناس أنَّها تنكفئ، وتبدأ بالاعتقاد أنَّ الإمام الحسين عليه السلام طلبه ليس طلباً شرعيًّا فلم يطلبْ حقّه وإنَّما الحقّ ليزيد، والإمام الحسين عليه السلام نازعه في ذلك، ولذلك هذه القناعات عندما تتبدّل وتكون قناعات أخرى تقع الأمم فريسة ذلك، وكلَّما كانت الأمّة جاهلةً قَبِلتْ أن تقع في هذا الزَّيف، وهذه مسألةٌ اجتماعيّة خطرة جدًّا.

سِلسِلةُ المشروعِ الحُسينيّ

الحقّ إنَّ سيّد الشهداء عليه السلام والتراث الخاصّ للأئمّة عليهم السلام وللنبيّ وأمير المؤمنين وللإمام الحسن والعائلة يعرفون الأمور كيف بدأت تجري، ولذلك الإمام الحسين عليه السلام بدأ يطرح مشروعًا وهذا المشروع غير منفكٍّ عن مشروع جدّه، ((**وَإِنَّمَا خَرَجْتُ لِطَلَبِ الْإِصْلَاحِ فِي أُمَّةِ جَدِّي**))[1]؛ وأمام كون الإمام الحسين عليه السلام قاد هذا المشروع، فقد واجه أمامه تداعيات في منتهى الخطورة، فقد برز الواقعٌ المزيّف؛

١ - بحار الأنوار: ٤٤/ ٣٢٩.

وكان واقعاً يتّصف بالصّعوبة، ويضم مجموعة من الشّخصيات التي لها امتداد عنصريّ وطائفيّ؛ ومنها شخصيات عُلمائيّة، ورواة يُنسَبون، ويروون عن النّبيّ صلى الله عليه وآله، فلاحظوا هذا الوجود الخطر؛ والذي ليس من السَّهل أن يغيّره الإمام عليه السلام؛ لولا أنَّ الإمام له القابليّة على أن يفهم هذه الأمور، وله المقدرة أن يزعزع هذه الأمور، وإلّا المنهجيّة التي اتّخذها سيّدُ الشّهداء والإمام السّجّاد وزينب عليهم السلام في غاية الأهمّية، بحيث زعزعت كياناً فكريّاً قائماً على اللاشيء، وقائماً على الانحراف، وقائماً على تزييف الحقائق في التاريخ.

إنَّ معرفة التّاريخ مهمّة للغاية في معرفة الأشياء، معرفة علميّة، لكنه لا يصنع العقيدة، بل العقيدة هي التي تصنع التاريخ، ولكن الناس عندما تندفع، ويُنقل لها تزييفُ الأشياء، تعتقد بهذا المنقول وبالتالي ترتّب عليه أثراً عقائديّاً أو فقهيّاً، ولذلك قيل: ((**اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفْ أَهْلَه**))[1]، وبدأ هذا الزّيف ينتشر حتّى أصبحت النّفوس مهيّأة إلى أن تقتل سيّد الشهداء عليه السلام، وذكرنا سابقاً أنَّ الإمام الحسين عليه السلام في يوم العاشر من المحرم لم يبدأ القوم بقتال؛ وإنّما بدأ يخطب في تلك الألوف المؤلّفة التي جاءت يوم عاشوراء لقتاله، وبدأ الإمام يحتجّ عليهم بِقَتِيلٍ، قَتَلْتُه؟[2]، أو بسنّةٍ بدّلتها؟ إنْ كانوا يعرفون السنّة، وهم لا يعرفون ولا يوجد جواب عندهم، لماذا نُقاتل؟

ولكنهم في النّهاية أفصحوا عن أمرين في سبب القتال؛ الأوّل: لأنَّك ابنُ قتّال العرب، فنقاتلك بُغضاً لأبيك؛ -فلاحظوا الجاهليّة في منطقهم-، والأمر الثاني لسبب القتال: لابُدّ أن تنزل على «حُكْمِ الْأَمِير»[3]، ولا يوجد شيء آخر.

فأصل القضيّة عندهم إنَّما عصبيّة قبليّة، وكأنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد قتل الناس الذين كانوا على غير حقّ؛ مع أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله أمر بذلك الأمر الرّبّاني، والذين قتلهم

١ - روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ١/ ٣١.

٢ - ينظر: مثير الأحزان: ٥١.

٣ - ينظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ١١٨، ومثير الأحزان: ٩٨.

أمير المؤمنين كانوا على باطل، فوقوفهم بوجه الإمام عليه السلام الذي قتل هؤلاء الظلمة هو وقوف بوجه النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وخلاصة الواقع في ذلك العصر أنّ الدِّين لم يصل إلى قلوب أولئك، والإمام حين سألهم لماذا تُقاتلونني؟ قالوا: لابُدّ أن تنزل على حكم الأمير.

لكن من هو الأمير؟

وما هو تاريخ الأمير النّسبيّ والفكريّ؟

هل يُمكن الآن أن نصدّر للعالم تاريخاً مشرقاً للأمير الذي قاتل الإمام الحسين عليه السلام؟

فإذا أردنا أن نصدّر ألآن للعالم، وبعد أربعة عشر قرناً تاريخاً مشرّفاً فلا يمكننا أن نقدّم سيرة يزيد، ذلك السلطان الذي قاتَلَ وقتَلَ الإمام الحسين عليه السلام على غير حق، فليس له مروءة، ولا عِرق، ولا تاريخ، ولا أثر فكري؟

فمن هؤلاء الذين انقادوا ليزيد؟

هم العُمي الذين طُبِعَ على قلوبهم، وهذا العمى الذي كان عليهم دفعهم لقول: «انزلْ على حكم الأمير»، والإمام عليه السلام بدأ يخطب لعلّ فيهم مَنْ اشتبه عليه الأمر، ولعلّ فيهم أحدًا لا يفهم، فبدأ يذكّرهم بأبي سعيدٍ الخدريّ[1] وكان موجودًا حيًّا. فقال عليه السلام: ((**وَاللهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ابْنُ بِنْتِ نَبِيٍّ غَيْرِي**))[2] اسألوا هذا العالم هل يوجد أحدٌ غيري أنا وأخي الحسن؟

لا يوجد، وهذا من الحُجَج على هؤلاء، إن كانت عقولهم وقلوبهم قد تشبّعت بذلك النّهج الأمويّ فإنّ الإمام الحسين قد ألقى الحجّة عليهم، وكانوا لا يسمعون حتّى بعد أن استُشهِد الإمام الحسين وجيء برأسه الشّريف إلى مقرّ الحكم الإسلاميّ، الذي يفترض أنّه جاء بنهج النّبيّ صلى الله عليه وآله، ولكن يزيد حينها

١ - أبو سعيد الخدري الأنصاري عربي مدني، واسمه سعد بن مالك الخزرجي، رجال الطبقات، البرقي، أحمد بن محمد(ت:٢٧٤هـ)، منشورات جامعة طهران١٣٨٣هـ، الأولى: ٢.

٢ - الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩٨.

كان يقـول، ويترنـم بقـول الشَّـاعر[1]:

ليـت أشيـــــــاخي ببـدر شـهدوا	جـزع الخـزرج مـن وقـع الأسـل
قـد قتلنـا القـــــــرم مـن سـاداتهم	وعدلنـــــــاه ببـــــدر فاعتـدل
لعبـت هاشـــــــم بالملـك فـــــلا	خـبر جـــــاء ولا وحـــــيٌ نـزل

بهـذه الصَّراحـة والصَّلافـة والخبـث والانتقـام سـخّرت الدّولـة كلّ إمكانياتهـا مـن أجـل قتـل سيّد الشّـهداء عليه السلام.

الفداءُ الحسينيّ

أمام هذه التّوجهات المنحرفة ما هو الجهد الذي لابُدّ أن يُبذل في مقام أن ترجع الناس إلى ما كانت عليه؟ ولذلك نفهم عن طريق كلمة الإمام السّجّاد عليه السلام البليغة، عندما سألوه عن المنتصر في هذه المعركة؛ وإن كان بعض الناقلين لم يفهموا سرّ هذه الكلمة، فقد جاء الإمام السّجّاد عليه السلام مع العائلة من دون الحسين وأبي الفضل والأصحاب والإخوة، فالجميع قد استُشهِدوا، فأين النَّصر والفتح الذي أخبر به الإمام الحسين عليه السلام؟ ولكن الإمام السّجّاد عليه السلام نظر إلى النّصر من زاوية أخرى فقال عليه السلام: ((**إذا أذّن المؤذّن تعرف من الغالب**))[2].

إنّ منهج الإمام عليه السلام منهجٌ يبحث عن نبوّة حقيقيّة حاولوا إجهاضها، ومنهجٌ يريد أن يرجع العدالة بعد أن انحرفت، وذاك منهجٌ يبحث عن مُلك الريّ، ومنهجٌ يبحث عن مُلكٍ زائل، ومنهجٌ يبحث عن أطماع ويبحث عن دنيا وعن شهوات وعن خمور وخنازير وقردة.

لذلك أُلْفِت النَّظر إلى قضيّة، وهي أنّ الإمام الباقر عليه السلام الذي كان أحد الشّهود على واقعة الطّفّ، عندما زار جدّه الحسين عليه السلام بزيارة عاشوراء، كثيرٌ من الأمور في زيارة عاشوراء قلبتْ بعض الأفكار المنحطّة والمنحرفة، فالإمام الباقر عليه السلام أراد أن يُبيّن بعد أن بَيّن الإمام

١ – روضة الواعظين وبصيرة المتعظين: ١/ ١٩١، الاحتجاج على أهل اللجاج: ٢/ ٣٠٧.
٢ – بحار الأنوار: ٤٥ / ١٧٧.

السّجّاد وبعد أن بيّنت زينب عليها السلام واقعيّة الإمام الحسين من خلال الزّيارة، واستمرّ نهجُ الأئمّة الأطهار بالحثّ على زيارة الإمام الحسين عليه السلام وإذكاء المآتم والإبقاء على ذكر سيّد الشّهداء عليه السلام حتّى أنّهم كانوا يُمارسون هذا العمل بأنفسهم الشّريفة.

ولذلك أنصح جيلنا؛ وخاصّة جيل الشَّباب لابُدّ أن ترتكز في ذهنه قضيّة إقامة الشَّعائر والمآتم، فهذا التراث لابُدّ لهذا الجيل أن يعرفه عندما يحضر مجلس العزاء، ولابُدّ أن يعرف أنَّ هذا الحضور المبارك امتثالٌ لأوامر الأئمّة عليهم السلام، والإمام الصادق عليه السلام يقول: ((**وَأَحْيُوا أَمْرَنَا**))[1]، أي احضروا المجالس، والإمام الرّضا عليه السلام يقول: ((**إِنَّ يَوْمَ الْحُسَيْنِ أَقْرَحَ جُفُونَنَا**))[2]، هذا الجيل لابُدّ أن يعلم أنّه بعد أربعة عشر قرناً هناك جهدٌ كبيرٌ بُذل من كلّ الطبقات الاجتماعيّة في أن يبقى ذكرُ الحسين عليه السلام إلى ما وصل إليه الآن، وهذه مجالس الذّكر ومجالس العزاء ومجالس اللطم على الصدور كلّها هي إحياءٌ حقيقيّ لقضيّة سيّد الشهداء عليه السلام.

مِن أدوارِ الأئمّة عليهم السلام

إنَّ مسألة عاشوراء تتجدّد بتجدّد الأيّام، ولاحظوا كيف انطلق الإمام الباقر عليه السلام بالزيارة إلى قضيّةٍ غير معهودة، في الوقت الذي يقولون هؤلاء قد قتلنا خارجيًّا، وفي الوقت الذي يتغنّى أميرُهم بأنّه «لا خبرٌ جاء ولا وحيٌ نزَلْ»، وفي هذا الجوّ الذي استمرّ فيه ولاتهم في الحصار على أهل البيت عليهم السلام، والإمام الباقر عليه السلام يقلب الحقائق في زيارة عاشوراء؛ إذ يقول وهو يخاطب جدّه عليه السلام: ((**يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ لَقَدْ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ وَجَلَّتْ وَعَظُمَتِ الْمُصِيبَةُ بِكَ عَلَيْنَا وَعَلَى جَمِيعِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ**))[3]، فهؤلاء الذين قالوا أنّه خارجيّ لم يفهموا شيئاً، وزينب عليها السلام تُخاطب أميرهم: ((**إِنْ كنت تدين بديننا**))[4]؟

١ – الأمالي، للطوسي: ٦٠.
٢ – الأمالي، للصدوق: ١٢٨.
٣ – مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ٢/ ٧٧٤.
٤ – ينظر: الأمالي، للصدوق: ١٦٧.

يعني أنت ليست لك علاقةٌ لا بالنبيّ ولا بأمير المؤمنين ولا بنا أصلاً، إنّما أنت سلطانٌ تمكّنتَ ببعض الجند الأقزام وبعض الأدوات فسخّرتهم لقتلنا، لكن أتعلم ماذا صنعت؟ أيّ أمرٍ ارتكبت؟ وأيّ كبدٍ لرسول الله ﷺ فريتم[1]؟! والإمام الباقر يقول: ((**يا أبا عبد الله لقد عظُمت الرزيّةُ وجلّت وعظُمت المصيبةُ بك علينا وعلى جميع أهل الإسلام**))، ثمّ يقول: ((**وَجَلَّتْ وَعَظُمَتْ مُصِيبَتُكَ فِي السَّمَاوَاتِ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ فَلَعَنَ اللهُ أُمَّةً أَسَّسَتْ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْت**))[2].

تأمّلوا الانتقالة التي مارسها الإمام الباقر عليه السلام في زيارة عاشوراء، وهؤلاء يزعمون أنّ المعركة انتهت وصفا لهم المُلك، وأنَّ الإمام الحسين قتل وبقي على رمضاء كربلاء، وأخذت العائلة بهذا المظهر والإمام السجّاد معهم، ودخلوا على يزيد بمظهر ظاهره الذّلّة، وكما تقول له زينب عليها السلام: ((**نظرت في عطفيك جذلان فرحا**))[3]، وكان يتوقّع أنّ الأمر قد انتهى، هؤلاء هكذا كانوا يعتقدون.

فتدبّروا ماذا صنع سيّد الشّهداء عليه السلام، وماذا صنعت عترته بعده، فها هي زينب تُخاطب يزيد بهذا الخطاب الذي أصبح شعاراً ((**فَكِدْ كَيْدَكَ وَاسْعَ سَعْيَك**))[4]، فهذه القضيّة ليست قضيّة ارتجاليّة بل قضيّة مسبوقة بعِلم وفهم، ومسبوقة بطريقة أنَّ هذا دينُ النّبيّ لا أنت ولا غيرُك ولا عشرات من أمثالك يستطيعون أن يُجهضوا هذه القضيّة.

ولهذا الأمور وغيرها فإنَّ لقضيّة سيّد الشهداء حسابٌ آخر واتجاهات أخرى ونتائج متعدّدة، وبيان ذلك يحتاج منّا الكثير من الوقت؛ ولكن النَّتيجة النّهائية أنَّ الله تعالى أبى إلّا أن يبقى ذكرُ الحسين عليه السلام دائماً، ولذلك جميعُ الطّواغيت كلّما حاولوا أن يقضوا على قضيّة الحسين عليه السلام خذلهم الله تعالى شرّ خذلان؛ لأنَّ قضيّة الإمام الحسين

---

١ – اللهوف في قتلى الطفوف: ٨٧.

٢ – مصباح المتهجد وسلاح المتعبد: ٢/ ٧٧٤.

٣ – اللهوف على قتلى الطفوف: ١٨٥.

٤ – م.ن: ١٨٥.

عليه السلام لها حساباتها الخاصّة، ولها وضعها الخاصّ، والإنسان فعلاً إذا أراد أن يدخل إلى معرفة الله تعالى عليه أن يلج إلى سيّد الشهداء عليه السلام، ففي الزيارة الجامعة: ((**أَنْتَ بَابُ اللهِ الْمُؤْتَى**))[1]، والإنسان إذا أراد معرفة الله تعالى يجب أن يلتفت إلى أنَّ قضيّة الحسين عليه السلام نبويّة خالصة، ((**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْن**))[2]، وتعرفون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لا يتكلّم جُزافًا، ولذلك الإمام الحسين عليه السلام بحمد الله تعالى خالد على مدى الدّهر.

سِرُّ النَّجاحِ

نحن كلّما أردنا أن نطوّر أنفسنا وقابليّاتنا ونفهم أكثر نطرق باب الإمام الحسين عليه السلام عسانا أن نحصل على بركات وعلى علم وعلى فكر وعلى تقوى من سيّد الشهداء عليه السلام، والإنسان في كلّ يوم عليه أن يزداد من ذلك، وكلّما تأمّل في سيّد الشهداء عليه أن يزداد، وكلّما كان الإنسان سيّئ الحظّ وكان بعيداً عن الحسين عليه السلام قلّ حظّه من المعرفة، وقلّ حظّه من الفكر، وقلّ حظّه من كلّ المكرمات، والإمام الحسين عليه السلام يمكن أنْ يُقرأ من أكثر من زاوية، ولكن تبقى الزاوية العاطفيّة وزاوية الدَّمعة هي الأرجح، والأئمّة عليهم السلام مارسوا هذه القضيّة بهذا المعنى، فالإمام الحسين عليه السلام طاقةٌ من الكمال، وتشدّد الرّواياتُ الكثيرة على قضيّة الإبكاء والبكاء وإقامة مجالس الحسين عليه السلام.

فهؤلاء ينظرون إلى الدَّمعة التي تسكب في مجلس سيّد الشهداء على أنّها شرارة وشعلة، ويعدونها خطرة، وهي فعلاً خطرة، فهي دمعةٌ حارّة فيها رفض، فهذه دمعة للحسين عليه السلام وهذا معناها: ((**لَا وَاللهِ لَا أُعْطِيكُمْ بِيَدِي إِعْطَاءَ الذَّلِيلِ وَلَا أَفِرُّ فِرَارَ الْعَبِيد**))[3]. لذلك حافظوا على دمعة سيِّد الشّهداء في عاشوراء وفي غير عاشوراء، واهتموا بالمجالس؛ لأنّها من جانب مواساة للنبيّ صلى الله عليه وآله، ومن جانب آخر فإنَّها محلّ لنزول الملائكة والرّحمات.

١ – بحار الأنوار: ٩٩/ ٢٧٢.

٢ – كامل الزيارات: ٥٢.

٣ – الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: ٢/ ٩٨.

مِن أسرارِ البقاءِ

لقد شاء الله سبحانه وتعالى أن يبقى صوتُ الإمام الحسين عليه السلام هو الصَّوت الخالد، وتبقى قضيّة سيّد الشّهداء عليه السلام هي الخالدة، ولا نعلم متى يأذن الله تبارك وتعالى بانتهاء الدّنيا؛ لكنَّنا نعلم أنَّ هذا صوت سيبقى إلى أبد الآبدين.

هناك سؤال دائماً يتردّد في ذهني: ما السّرّ في بقاء قضية الإمام الحسين عليه السلام، والكلام هنا ليس له علاقة بالموازين والأمور الغيبية، ومما لا شكّ فيه أنَّ وراء ذلك كانت اليد الغيبية، وستبقى؛ لكن أحب أن أطلّ على هذا المشهد من طريق بيان قضيتين:

القضيّة الأولى: إنَّ للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله كلمة خالدة طالما نردّدها؛ وهي: «**حسينٌ منّي، وأنا من حسين**»[1]؛ وهذا الحديث على وجازته لكنه يتضمّن سِرًّا عصيًّا على الفهم لأمثالي؛ فلو فرضنا أنَّ معنى أنَّ الحسين عليه السلام من النّبي صلى الله عليه وآله إشارة إلى الوضع النّسبي فهو أمرٌ بيّن وجليّ وواضح، وليس من داعٍ للتركيز على هذا الأمر الواضح للعيان والمعروف، وأمّا كون النّبي من الحسين عليه السلام فممّا لا شكّ فيه هنا إشارة إلى قضيّة غيبيّة، ولكنها لم تُدرك في وقت صدورها من البعض، ولكنّنا نجزم أنَّ هذا الخلود هو خلود نبويّ، ولم يكن لهذا الدِّين أي استقامة كانت بعد أن تعرّض إلى تشويه وانحراف لولا سيّد الشّهداء عليه السلام؛ فلذا نُؤكِّد أنّ قضية سيّد الشّهداء عليه السلام، والاهتمام بشعائر عاشوراء هو امتثال لهذه المقولة، ونحن على العهد للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وأن نقول يا رسول الله نحن لا نزال متمسّكين، وسنبقى -إن شاء الله تعالى- على هذا النّهج؛ وما الحسين عليه السلام إلّا امتداد لهذا الخطّ النَّبوي.

---

١ - بحار الأنوار: ٣٤، ٢٧١.

إنَّ سيّد الشّهداء عليه السلام صنع شيئًا غريبًا ومهمًّا وملفتًا للنظر، وقد نستشعر بعضه ونحن في عالم الدّنيا، ولكن الدَّار الآخرة كفيلة بأن تُرينا العمل الذي جاد به سيّد الشّهداء عليه السلام مع النّخبة من أهل بيته والخيرة من أصحابه البررة الكرام الذين جاهدوا في سبيل سيّد الشّهداء، فلذا هذا الجانب أُعبّر عنه بالجانب الإيجابي؛ أي إنَّ سيّد الشّهداء عليه السلام كان يُمثّل هذا النّبع الحقيقي كون النّبي صلى الله عليه وآله منه.

من انعكاسات الرَّفض الحسينيّ

القضيّة الثّانية: وأستطيع أن أُعبّر عنه بالجانب السّلبي؛ ألا وهو إنَّ موقف سيّد الشّهداء عليه السلام عندما عرضت عليه بعض إغراءات الدّنيا؛ وخصوصاً البيعة؛ فأعلنها صريحة :« **ومِثلي لا يُبايع مثله**»[1]. وقال عليه السلام:« **لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد**»[2].

إنَّ تكرار كلمة (لا) الحسينية لها دلالات؛ منها إنَّ الإمام الحسين عليه السلام لم يقل نعم لأيّ انحراف، ولأيّ تغيير سلبيّ، ولأيّ محاولة للانحراف عن خطّ النّبوّة مهما كان الأمر.

إنَّ هذا الشّعار يعني شعار لا للفساد، ولا للانحراف، ولا للادعاء، ولا للتزييف، ولا للباطل، ولا لسرقة المناصب.

إنَّ كلمة (لا) التي قالها الإمام الحسين عليه السلام خلّدها التاريخ إلى يومنا هذا، وستبقى، وأعبّر عنها جانب الرّفض السّلبي؛ وقد كانت مهمة في حياة سيد الشهداء عليه السلام؛ لأنها تمثّل نفس وعين الكلمة التي قالها ويقولها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله لأنّها نابعة من كلمته صلى الله عليه وآله:« **حسين مني وانا من حسين**»[3].

وبعبارة أخرى إنّ هذه الكلمة التي قالها الامام الحسين عليه السلام وصدح بها أمام طغيان

١ - بحار الأنوار :ج ٤٤، ٥٢٣.

٢ - م. ن: ٥٤، ٧.

٣ - بحار الأنوار : ٣٤، ٢٧١.

بني أمية ووجوهم الزائفة هي (لا) النبي ﷺ وستبقى (لا) الحسين عليه السلام أبد الدهر؛ لأنّها متعلّقة وممزوجة بشخصيّة النّبي ﷺ؛ فما يتعلّق بسيّد الشّهداء عليه السلام له واقعية، وله حقيقة، وله أثر يبقى إلى الأبد؛ إنّها صرخة كانت في يوم عاشوراء، واستمرّت عند الأئمّة عليهم السلام إلى أن وصلتنا؛ ورأينا بأمِّ أعيننا عندما تصدّى أبناء الحسين عليه السلام، وقالوا (لا) لكلّ زيف، ولكلّ باطلٍ، ولكلِّ محاولة للتعدّي على البلاد وعلى العباد.

إنّ حقيقة ما أُريد الوصول إليه وأوصله إلى كلِّ أحرار العالم، وإلى كلِّ المؤمنين أينما كانوا:

مادام في قلوبنا شيء اسمه الحسين عليه السلام فإنَّ كلمة (لا) ستستمر إلى نهاية الدّنيا -إن شاء الله تعالى-.

أيّها المؤمنون في كلِّ العالم.

أيّها الأحرار

أيّها الحسينيون

يا من تحيون أيّام عاشوراء على طريقتكم، وفي كلّ العالم، وفي كلِّ البلاد، وفي كلِّ الأزمان لابُدَّ أن نحافظ على هذه الجذوة، ولابُدَّ أن نُحافظ على الارتباط بسيّد الشّهداء عليه السلام.

إنَّ هذا الوجود المبارك له فضلٌ علينا، فوجود الإمام الحسين عليه السلام -ولا أقول فقط في يوم عاشوراء، وإنّما في كلّ مجالات حياتنا- نعمة تحتاج إلى الشُّكر، وخاصّة نعمة حرارة ذكر الحسين عليه السلام في قلوبنا.

إنَّها نعمة تستحقُّ الشَّكر؛ ولذا نجد الأئمّة صلوات الله عليهم كانوا يُركّزون على هذه الحرارة؛ فهذا الإمام الرضا عليه السلام يقول: « **إِنَّ الْمُحَرَّمَ شَهْرٌ كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ فِيهِ الْقِتَالَ ! فَاسْتُحِلَّتْ فِيهِ دِمَاؤُنَا ، وَ هُتِكَتْ فِيهِ حُرْمَتُنَا ، وَ سُبِيَ فِيهِ ذَرَارِيُّنَا وَ نِسَاؤُنَا ، وَ أُضْرِمَتِ النِّيرَانُ فِي مَضَارِبِنَا ، وَ انْتُهِبَ مَا فِيهَا مِنْ ثِقْلِنَا ، وَ لَمْ تُرْعَ لِرَسُولِ اللهِ حُرْمَةٌ فِي أَمْرِنَا .**

إِنَّ يَـوْمَ الْحُسَـيْنِ أَقْـرَحَ جُفُونَنَـا ، وَ أَسْـبَلَ دُمُوعَنَـا ، وَ أَذَلَّ عَزِيزَنَـا بِـأَرْضِ كَـرْبٍ وَ بَـلَاءٍ، أَوْرَثَتْنَـا الْكَـرْبَ وَ الْبَـلَاءَ إِلَى يَـوْمِ الِانْقِضَـاءِ .

فَعَلَى مِثْلِ الْحُسَيْنِ فَلْيَبْكِ الْبَاكُونَ ، فَإِنَّ الْبُكَاءَ عَلَيْهِ يَحُطُّ الذُّنُوبَ الْعِظَامَ .

ثُـمَّ قَـالَ (عليـه السَّـلام) : كَانَ أَبِي إِذَا دَخَـلَ شَـهْرُ الْمُحَـرَّمِ لَا يُـرَى ضَاحِـكاً ، وَ كَانَـتِ الْكَآبَـةُ تَغْلِـبُ عَلَيْـهِ حَتَّـى يَمْـضِيَ مِنْـهُ عَـشَرَةُ أَيَّـامٍ ، فَـإِذَا كَانَ يَـوْمُ الْعَـاشِرِ كَانَ ذَلِـكَ الْيَـوْمُ يَـوْمَ مُصِيبَتِـهِ وَ حُزْنِـهِ وَ بُكَائِـهِ ، وَ يَقُـولُ هُـوَ الْيَـوْمُ الَّـذِي قُتِـلَ فِيـهِ الْحُسَـيْنُ صَـلَّى اللهُ عَلَيْـهِ»[1].

إنَّ هـذا الوجـود المبـارك مـن أسباب؛ بـل مـن أهـم الأسباب في تمسّكنا بولايـة أمير المؤمنين عليه السلام، وهـذه الولايـة هـي أصـل وأسـاس كلّ خـير في الدنيـا والآخـرة.

إنّ نهضـة هـذا الوجـود المبـارك منعـت الانحـراف والزّيـغ عـلى الرّغـم مـن محـاولات الظالمين المتكـررة، وأن يقفـوا حائـلاً بين الشـعوب وبين ذكـر الإمـام عليه السلام، فصلـوات الله وسـلامه عليـك يـا مـولاي يـا أبـا عبـد الله وعـلى تلـك الأرواح التي حلّـت بفنائـك.

١ - بحار الأنوار: ٤٤ / ٣٨٢.

المبحث الرابع

العِبرُ بين

دعاةِ الخيرِ ودعاةِ الشَّر

الحديث عن عاشوراء ليس حديثًا سهلاً لعظم ما جرى ما قبل عاشوراء، وما في عاشوراء، وما بعد عاشوراء؛ فأنتم تعلمون أنَّ الإمام الحسين عليه السلام في واقعة عاشوراء كان هو الإمام المعصوم وخليفة النّبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، وهذه المعركة التي دارت رحاها في كربلاء كانت تُمثّل انعطافة تاريخية مهمّة جدًّا، وأسست لما بعد عاشوراء أشياء عديدة؛ فالظّالم أراد بعد عاشوراء أن يظلم المؤمن؛ ولكن المؤمن استفاد من عاشوراء، وازداد صلابة وقوَّة؛ وإن أدَّت الصّلابة والقوّة والشَّجاعة إلى سفك دمه.

مفاهيمُ من عاشوراء

لقد أنتجت عاشوراء عاشوراءات متعدّدة، وكلّها منبثقة من الإمام الحسين عليه السلام، ولا زالت نهضة الإمام الحسين عليه السلام تسير في طريق الجهاد في سبيل الله تعالى، وإعلاء كلمة الله سبحانه بقوة؛ لا يوقفها شيء؛ ولم يبق الظّالم مكتوف الأيدي أمام هذه القافلة التي تريد إعلاء كلمة الحقّ، وإنَّما أخذ يحشّد كلَّ ما أوتي من قوّة للوقوف بوجه هذه الحالة الحسينية المهدّدة لإزالة كيانه.

من القضايا القطعية أنَّ الظّالم لا ينتصر، ولا يمكنه أن يحرز ما يبقيه؛ فالظّلم زائل ولو بعد حين؛ فحبّ البقاء بالطّرق السّلبية، وأساليب الشّيطان، ومحاولة تكميم الأفواه لا تُعطي ثمارها وإن أمهل الظّالم؛ لكن الله تعالى لا يُهمل.

لذلك سوف نسلّط الضّوء حول بعض المفاهيم العظيمة التي نستفيدها من عاشوراء ضمن مجموعة من المحاور:

المحور الأوّل: هناك منهجان في عاشوراء؛ إذ كثير من الأشياء برزت، وظهرت حتّى قبيل أن يقع القتال؛ ولكن الوقت لا يتّسع للوقوف عند هذه المرحلة؛ ولكن ما لا يدرك كلّه لا يترك جلّه؛ فمن جملة الأمور التي يمكن أن يستفيدها الإنسان من مرحلة قبل نشوب الحرب في يوم عاشوراء أنَّ من تربّى قبل عاشوراء استفاد

من يوم عاشوراء، ولم يتزلزل، ولم يخذل إمامه، وفي المقابل كذلك التّربية الفاسدة أنتجت هذه الجرأة التي بيَّنها الإمام ﷺ، وسنتعرض لها بشكلٍ موجزٍ؛ أمّا ما يمكن أن نستفيده من يوم عاشوراء، وما هي الحقائق التي أفرزتها عاشوراء؛ من جملتها؛ قوّة وصلابة المجموعة الحسينيّة؛ وعلى الرّغم من مواجهتها للموت إلّا أنّها لم يساورها الشّك ولو للحظة بأنَّهم على الحقّ، وأنَّ سبيلهم هو سبيل الصّدق؛ والمعنى نفسه نجده عند عائلة وأهل بيت الإمام الحسين ﷺ؛ مع أنَّ المعروف أنّ النّساء في مواطن الشّدَّة قد تُصاب بالضّعف؛ ولكن هذه العائلة الكريمة لم تضعف حتّى بعد الأسر، ولم نجد ولا امرأة واحدة قد صدر منها النَّدم أو العتاب أو اللوم أنَّ في حصول الواقعة وحصول الأسر والوقوف أمام الطغاة؛ بل على العكس وجدنا التّسليم الذي لا حدَّ له للمعصوم ﷺ.

ومن يُتابع المسيرة يجد أنَّ القضية على منهجٍ واحدٍ من ابتداء المسيرة إلى يوم عاشوراء وإلى نهاية المسيرة؛ وهذا في الواقع موقف قلَّ نظيره وأن تكون الأمور بهذه الطّريقة من دون أن يصدر أيّ نحو من العتاب أو من النّدم؛ فهذا إطلاقًا لم يحدث مع قسوة واقعة الطَّفّ.

المحور الثاني: الخضوع للحقّ بعد معرفته؛ فالإنسان إذا عرف الحقّ لا بُدَّ أن يُعطي للحق ما يبتنى عليه؛ ولا يبقى منتظرًا شيئًا بعد أن عرف الحقَّ؛ والحقّ في يوم عاشوراء كان واضحًا؛ وأجلى من نور الشّمس أنَّه مع المجموعة الحسينية المتكوّنة من قائد الرَّكب؛ ألا وهو الإمام الحسين ﷺ إلى أهل بيته ﷺ؛ وأصحابه الذين كان شعارهم: **(لا نبالي وقع الموت علينا أم وقعنا على الموت ما دمنا على الحق)** فمضمون هذا الشّعار رفع في كربلاء؛ بل قبل كربلاء؛ ويجب على أهل الحقّ أن يكون هذا دائماً وأبداً هذا شعارهم؛ لأنَّ الحقَّ إذا عرف لا شيء بعده ممكن أن ينتظر؛ فالله تعالى يجري الأمور بأسبابها؛ سواء كان ذلك في حكومة العدل الإلهي

كما عند الإمام المهدي ﷺ أو الشّهادة بعد أن يعرف الإنسان الحقّ أيضًا.

المحور الثّالث: من المواقف التي تُسجّل قبل يوم عاشوراء وفي يوم عاشوراء، وقد ظهر وبصورة قويّة وواضحة قوّة العلاقة ما بين الإمام ﷺ، وصحبه، وقوّة العلاقة ما بين أهل البيت ﷺ وأصحابهم؛ بل نجد حالة واضحة من الإيثار كانت في يوم عاشوراء؛ فأصحاب الإمام الحسين ﷺ قدَّموا أنفسهم على عائلة الإمام الحسين ﷺ، وكانوا يثبتون ولاءهم للإمام الحسين ﷺ ويتسابق بعض على بعض في قتال الأعداء؛ بعد أخذ الإذن من الإمام الحسين ﷺ وحينما يقدم كان يقدم وهو مطمئنّ النَّفس مع معرفته أنّه سيلحق بمن مضى من أصحاب الإمام وأهل بيتهﷺ.

التَّوبةُ النَّصوحةُ

المحور الرَّابع: ومن الدّروس التي ظهرت لأهل الحقّ في يوم عاشوراء؛ مفهوم التّوبة؛ وكان هذا الموقف قد ظهر جليًّا في توبة الحرّ الرّياحيﷺ؛ والملفت في النّظر أنّ توبة الحرّ لم تكن في ظرفٍ عاديٍّ؛ إذ الإنسان في بعض الحالات يذنب، ويحاول أن يتوب لكن تأخذه العزّةُ بالإثم؛ ويصيبه أحياناً الخجل أن يقلع عمّا هو فيه من الأعمال؛ ويوسوس له الشّيطان؛ ولكن في ذات الوقت هناك مثال يعطي إرادة قويّة لمن يريد أن يتوب؛ وهذا المثال قد تجسّد في شخصيّة الحرّ الرّياحيﷺ؛ فقد كان الحر شخصية قويّة ومعروفة وذات نفوذ واسع، وقد قدّمت له إغراءات قويّة، ودنيا من اللذائذ إلّا إنّه ترك كلّ ذلك، وترك الزّعامة على ألف فارس؛ وأعلن توبته أمام ذلك الملأ، وتحوّل من معسكر الأعداء إلى معسكر سيّد الشّهداء ﷺ، وكان شعاره في ذلك ويجب أن يكون أمام أعيننا في كلّ المواقف المصيرية: « **إنّي – وَاللهِ – أُخيّرُ نفسي بينَ الجنّةِ والنّارِ، ولا أختارُ على الجنَّة شيئاً، وَلَو قُطِّعتُ وحُرِّقت**»[1].

١ – الإرشاد: ٢ / ٩٩.

توبة الحر في يوم عاشوراء لا بد من تسليط الضوء عليها، وفهم حيثياتها، والاعتبار بها أن الإنسان يجب عليه إذا أذنب أن يتوب؛ ولا يسمح لكلّ مغريات الحياة أن تثنيه عن التّوبة والرّجوع الى الله تعالى؛ فالحرّ عندما تاب يعلم أنَّ هذه التّوبة ستجعله يخسر كلّ المغريات التي حظي بها، لكنّه سيأتي يوم القيامة وقد حشر في رحاب الأنبياء والأوصياء والصّديقين والشّهداء عليهم السلام، وسيسعد بلقاء الإمام الحسين عليه السلام.

إنّ الدّرس الأهم في توبة الحُر أن يعرف الإنسان أنّ قدرته على التّوبة أعظم من قدرته على المعصية.

جولةٌ في معسكرِ الطُّغاةِ

وإذا كانت هذه بعض الدّروس قد تجسدت في معسكر الإمام الحسين عليه السلام؛ فلننتقل إلى معسكر أعدائه، ونأخذ العبرة من سلوكهم؛ وأولى تلك العبر الخوف من الحقّ؛ فقد خطب الإمام الحسين عليه السلام عدّة خطب في يوم عاشوراء وقبل عاشوراء؛ ولكنّهم كانوا يصنعون الضّجّة والضّوضاء؛ لأنّهم يخافون من الحق، ويخافون من مواجهة الحقّ حتّى وإن كان على شكلِ لفظ وكلمات؛ لأنَّ الجبن كان قد تجذّر في نفوسهم؛ ولا يملكون إلَّا السّبّ والفحش؛ فقد ذكرت النّصوص التّأريخية أنَّ شمر بن ذي الجوشن -لعنه الله تعالى- نادى بأعلى صوته: يا حسين أتعجّلت بالنّار قبل يوم القيامة؟

فقال الإمام الحسين عليه السلام: **(من هذا؟ كأنّه شمر بن ذي الجوشن)**، فقالوا: نعم، فقال: **(يا بن راعية المعزى، أنت أولى بها صليًّا)** ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فمنعه الإمام الحسين عليه السلام من ذلك، فقال له: دعني حتّى أرميه، فإنّه الفاسق من أعداء الله وعظماء الجبّارين، وقد أمكن الله منه، فقال له الإمام الحسين عليه السلام: **(لا ترمه، فإنّي أكره أن أبدأهم بالقتال)**[1].

١ - بحار الأنوار: ٤٥، ٥.

لقد كان الجبن الشّديد يُخيّم على معسكر هؤلاء القتلة؛ ولذا يقول الرّواة: «فَوَاللهِ ما رَأَيتُ مَكثوراً قَطُّ، قَد قُتِلَ وُلدُهُ، وأهلُ بَيتِهِ وأصحابُهُ، أربَطَ جَأشاً ولا أمضى جَناناً مِنهُ عليه السلام، إن كانَتِ الرَّجّالَةُ لَتَشُدُّ عَلَيهِ فَيَشُدُّ عَلَيها بِسَيفِهِ، فَتَنكَشِفُ عَن يَمينِهِ وشِمالِهِ انكِشافَ المِعزى إذا شَدَّ فيهَا الذِّئبُ»[1].

وقالَ بَعضُ الرُّواةِ: «وَاللهِ ما رَأَيتُ مَكثورًا قَطُّ، قَد قُتِلَ وُلدُهُ، وأهلُ بَيتِهِ وأصحابُهُ، أربَطَ جأشاً مِنهُ، وإنَّ الرِّجالَ كانَت لَتَشُدُّ عَلَيهِ فَيَشُدُّ عَلَيها بِسَيفِهِ، فَتَنكَشِفُ عَنهُ انكِشافَ المِعزى إذا شَدَّ فيهَا الذِّئبُ، ولَقَد كانَ يَحمِلُ فيهِم وقَد تَكَمَّلوا ثَلاثينَ ألفاً، فَيُهزَمونَ بَينَ يَدَيهِ كَأَنَّهُمُ الجَرادُ المُنتَشِرُ، ثُمَّ يَرجِعُ إلى مَركَزِهِ وهُوَ يَقولُ: لا حَولَ ولا قُوَّةَ إلّا بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ»[2]؛ فالإمام عليه السلام؛ حتّى لو أذعنا بأنّه شخص استثنائي؛ لكن أعداءه اعتمدوا على عددهم وغدرهم في مواجهة الحق ولذلك نعرف سرّ حفره للخندق خلف المخيم؛ لأنّه يعرف غدرهم وخيانتهم وجبنهم ومكرهم وخوفهم من مواجهة الحق؛ فالحقيقة التي لا شكّ فيها أنّ من يخاف مواجهة الحق يتخذ السُّبل المنحرفة والتي تتسم بالجبن.

لقد كان هؤلاء الأعداء يعرفون حقّ المعرفة شخصيّة ومقام الإمام الحسين عليه السلام، ويعرفون أخلاقه ومروءته وحميّته وغيرته؛ ولذا استغلوا هذه النّقاط في يوم عاشوراء لمصلحتهم؛ ومصداق ذلك عندما جاء الإمام الحسين عليه السلام، ونزل إلى الماء؛ فقد روى أبو مخنف عن الجلودي: أنَّ الإمام الحسين عليه السلام حمل على الأعور السّلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي، وكانا في أربعة آلاف رجل على الشّريعة، وأقحم الفرس على الفرات، فلمّا أولغ الفرس برأسه ليشرب قال عليه السلام: أنت عطشان، وأنا عطشان، والله لا أذوق الماء حتّى تشرب، فلمّا سمع الفرس كلام الحسين عليه السلام رفع رأسه ولم يشرب، كأنّه فهم الكلام، فقال الحسين عليه السلام: اشرب فأنا أشرب.

---

١ - الإرشاد، الشيخ المفيد: ٢، ١١١.

٢ - بحار الأنوار: ٤٥، ٥٠.

فمد الحسين عليه السلام يده فغرف من الماء، فقال فارس: يا أبا عبد الله! تتلذذ بشرب الماء وقد هُتكت حرمتك؟!

فنفض الماء من يده، وحمل على القوم، فكشفهم، فإذا الخيمة سالمة[1].

لقد قال أعداؤه هذا الكلام؛ لأنّه يعلم أنَّ هذه الكلمات ستؤثّر في الإمام الحسين عليه السلام؛ وسيترك الإمام عليه السلام الماء، ويرجع إلى المخيّم؛ وهذا الموقف يُمثّل منتهى الغيرة، ومنتهى الشّرف، ومنتهى الحميّة في عاشوراء.

وضوحُ الحقّ في عاشوراء

لقد كان أعداء الإمام الحسين عليه السلام يعلمون علم اليقين أنَّ أخلاقه خاصة، وأنَّه يريد مصلحتهم ونجاتهم، ولم يقاتل من أجل ملك أو دنيا، وقد أتمّ الحجّة عليهم في مواطن عديدة، ولكن شاهد وتأمّل كيف كانوا يتعاملون معه؛ فقد روى من صنّف لواقعة كربلاء؛ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام دعا براحلتهِ يوم عاشوراء فركبَها، ونادى بأَعلى صوته في كربلاء مقابل معسكر عمر بن سعد «يا أهلَ العراقِ ـ وجُلّهم يسمعونَ ـ فقالَ: « **أَيُّها النّاسُ اسمعَوا قَوْلي ولا تَعجَلوا حتّى أَعِظَكم بما يَحقُّ لكم عليّ وحتّى أَعْذِرَ إليكم، فإن أعطيتموني النّصفَ كنتم بذلكَ أسعدَ، وان لم تُعْطُوني النّصفَ من أنفسِكم فأجمعوا رأيَكم ثمّ لا يَكنْ أمرُكم عليكم غُمّةً ثمّ اقضوا إليَّ ولا تنظِرونَ، إنَّ وَلِيّيَ اللهُ الّذي نزّلَ الكتابَ وهو يتولّى الصّالحينَ** ». ثمّ حَمدَ اللهَ وأثنى عليه وذَكَرَ الله بما هو أهلُه، وصَلّى على النّبيِّ صلى الله عليه وآله وعلى ملائكةِ اللهِ وأَنبيائه، فلم يُسْمَعْ متكلِّمٌ قطُّ قبلَه ولا بعدَه أبلغ في منطقٍ منه، ثمّ قالَ:

« **أمّا بعدُ: فانسبوني فانظروا مَن أنا، ثمّ ارجِعوا إلى أنفسِكم وعاتِبوها، فانظروا هل يَصلُح لكم قتلي وانتهاكُ حرمتي؟ ألست ابنَ بنتِ نبيِّكم، وابنَ وصيِّه وابن**

١ – مناقب آل أبي طالب: ٣، ٢١٥.

عمِّه وأوّل المؤمنينَ المصدِّقِ لرسولِ الله بما جاءَ به من عندِ ربِّه، أَوَليسَ حمزةَ سيدُ الشُهداءِ عمِّي، أَوَليسَ جعفر الطّيّارُ في الجنّةِ بجناحَيْنِ عَمِّي، أوَلم يَبْلُغْكم ما قالَ رسولُ الله لي ولأخي: هذان سيِّدا شبابِ أهلِ الجنّةِ؟! فان صدَّقتموني بما أقولُ وهو الحقُّ، والله ما تعمّدْتُ كذِباً منذُ عَلِمْتُ أنّ اللهَّ يمقُتُ عليه أهلَهُ، وإن كذّبتموني فإنّ فيكم (مَنْ لو) سألتموه عن ذلكَ أخْبَركم، سَلوُا جابرَ بنَ عبدِالله الأَنصاريّ وأبا سعيدٍ الخُدْريّ وسَهْلَ بن سعدٍ الساعديّ وزيدَ بنَ أرقَمَ وأنسَ بنَ مالكٍ، يُخْبروكم أنّهم سمعوا هذه المقالةَ من رسولِ اللهِّ ﷺ لي ولأخي، أمَا في هذا (حاجز لكم) عن سَفْكِ دمي؟! ».

فقالَ له شمرُ بنُ ذي الجوشن: هو يَعْبدُ اللهَ على حَرْفٍ إن كانَ يدري (ما تقولُ) فقالَ له حبيبُ بنُ مُظاهِرٍ : والله إنِّي لأراكَ تَعْبُدُ اللهَ على سبعينَ حرفاً، وأنا أشهدُ أنّكَ صادقٌ ما تدري ما يقول، قد طبَعَ اللهُ على قلبِكَ.

ثمّ قالَ لهم الحسينُ عليه السلام: «**فإن كنتم في شكٍّ من هذا، أفتشكّونَ أنّي ابن بنتِ نبيِّكمْ! فوالله ما بينَ المشرقِ والمغرب ابن بنتِ نبيٍّ غيري فيكم ولا في غيرِكم، ويحكم أتَطلبوني بقتيلِ منكم قَتلتُه، أومالٍ لكم استهلكتُه، أو بقِصاصِ جراحةٍ؟!**» فأخَذوا لا يُكلِّمونَه، فنادى : «**يا شَبَثَ بنَ ربْعيّ، يا حَجّارَ بنَ أَبجرَ، يا قيسَ بنَ الأشْعَثِ، يا يزيدَ بن الحارثِ، ألم تكتبوا إليّ أنْ قد أيْنَعَتِ الثِّمارُ واخضَرَّ الجَنابُ، وانّما تَقدمُ على جُندٍ لكَ مُجَنَّدٍ؟!**» فقالَ له قيسُ بنُ الأَشعثِ : ما ندري ما تقولُ، ولكنِ انْزِلْ على حُكمِ بني عمِّكَ، فإنّهم لن يُرُوْكَ إلا ما تُحِبُّ. فقالَ له الحسينُ عليه السلام «**لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاءَ الذّليل، ولا أَفِرُّ فِرارَ العبيدِ**». ثمّ نادى : «**يا عبادَ الله، إنِّي عُذْتُ بربِّي وربِّكم أن ترجمون، أعوذُ بربِّي وربِّكم من كلِّ مُتكبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بيومِ الحسابِ** »[1]؛ فلاحظ كيف يتعاملون مع الحقّ؟

لا يملكون جواباً إلّا أن قالوا: لا ندري ما تقول.

١ - بحار الأنوار:٤٥، ٧.

التّضليلُ الإعلاميّ

فهؤلاء لم يأتوا إلى قتال الإمام الحسين عليه السلام وفق هدف، وإنَّما مجموعة من المغفّلين المنحرفين الذين لا يعرفون لماذا يقاتلون؛ ولكن الدّافع الوحيد للقتال طاعة للأمير الفاسق.

جاء ليقتصّ من الإمام عليه السلام ويثأر لأجداده الظّالمين الكافرين الذين قتلوا بسيف الحقّ؛ وقد أعلنوا ذلك جهارًا حينما قال لهم الإمام عليه السلام: «يا ويلكم! عَلَامَ تقاتلوني، على حقّ تركته، أم على سُنّة غيّرتها، أم على شريعة بدّلتها؟! فقالوا: بل نقاتلك بغضًا منّا لأبيك! وما فعل بأشياخنا يوم بدر وحنين! فلمّا سمع كلامهم بكى[1]. لقد كانوا يتعاملون مع النّاس عن طريق إثارة الحميّة الجاهليّة، لا عن طريق الحقّ ومصادر الحقّ؛ حتّى قال ابن شهر آشوب ومحمد بن أبي طالب: ولم يزل يقاتل حتّى قتل ألف رجلٍ وتسعمائة رجلٍ وخمسين رجلاً سوى المجروحين، فقال عمر بن سعد لقومه:

الويل لكم أتدرون لمن تقاتلون؟

هذا ابن الأنزع البطين، هذا ابن قتّال العرب...»[2].

فلاحظوا الأسلوب الأموي في تشوية الحقائق واستغلال بعض الأمور حتَّى في ساحات الوغى، وقد اعترفوا للإمام الحسين عليه السلام بأنّهم يعرفوه حقَّ المعرفة، ولكن مع هذا لن نتركك حتَّى تذوق الموت عطشا.

وخاصّة بعد أن خطب الإمام عليه السلام بخطبته المشهورة التي قال فيها: «**الحَمْدُ لله الّذي خَلَقَ الدُّنْيا فَجَعَلَها دارَ فَناءٍ وَزَوالٍ، مُتَصرِّفَةً بِأَهْلِها حالاً بَعْدَ حالٍ، فَالْمَغْرُورُ مَنْ غَرَّتْهُ، والشَّقِيُّ مَنْ فَتَنَتْهُ، فَلا تَغُرَّنَّكُمْ هذِهِ الدُّنْيا، فَإِنَّها تَقْطَعُ رَجاءَ مَنْ رَكَنَ إِلَيْها، وَتُخَيِّبُ طَمَعَ مَنْ طَمِعَ فيها، وأراكُمْ قَدْ اِجْتَمَعْتُمْ على**

---

١ - مقتل الحسين عليه السلام لابي مخنف: ١٣٢، ينابيع المودة ٤١٦.

٢ - بحار الأنوار: ٤٥ / ٥٠.

**أَمْرٍ قَدْ أَسْخَطْتُمُ اللهَ فيه عَلَيْكُمْ، وَأَعْرَضَ بوَجْهِهِ الكَريمِ عَنْكُمْ، وَأَحَلَّ بِكُمْ نِقْمَتَهُ، وَجَنَّبَكُمْ رَحْمَتَهُ، فَنِعْمَ الرَّبُّ رَبُّنا، وَبِئسَ العَبيدَ أَنْتُمْ، أَقْرَرْتُم بِالطّاعَةِ، وَآمَنْتُمْ بِالرّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ثُمَّ إنَّكُمْ زَحَفْتُمْ إلى ذُرِيَتِهِ وَعِتْرَتِهِ تُريدُونَ قَتْلَهُمْ، لَقَدِ اسْتَحوَذَ عَلَيْكُمُ الشّيْطانُ، فَأَنْساكُمْ ذِكْرَ اللهِ العَظيمِ، فَتَبّاً لَكُمْ وَلِما تُريدُونَ، إنّا للهِ وَإنّا إلَيْهِ راجِعُونَ، هؤُلاءِ قَوْمٌ كَفَرُوا بَعْدَ إيمانِهِمْ فَبُعْداً لِلْقَوْمِ الظّالِمينَ...»[1].

وفي هذه الخطبة خشى ابن سعد أن تقع الفتنة؛ فأمر بأن يقطع عليه الكلام؛ حتّى تبقى النّاس على جهلها وعماها، فقد أغلقوا كلّ منافذ الحقّ؛ ولم ييأس الإمام عليه السلام منهم فطلب المحاورة مع عمر بن سعد حتّى يتمّ الحجّة على الكل من دون استثناء؛ فقد روي أنَّ الإمام عليه السلام قال:« أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر! فدعي له، وكان كارهًا لا يحب أن يأتيه فقال: يا عمر أنت تقتلني؟ تزعم أن يوليك الدّعيّ بن الدّعي بلاد الرّيّ وجرجان، والله لا تتهنّأ بذلك أبدًا، عهدًا معهودًا، فاصنع ما أنت صانع، فإنَّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأنّي برأسك على قصبة قد نصب بالكوفة، يتراماه الصّبيان ويتخذونه غرضًا بينهم. فاغتاظ عمر من كلامه، ثم صرف بوجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنتظرون به؟ احملوا بأجمعكم إنَّما هي أكلة واحدة، ثم إنّ الحسين دعا بفرس رسول الله المرتجز فركبه، وعبّأ أصحابه[2].

فتقدّم عمر بن سعد فرمى نحو عسكر الحسين عليه السلام بسهم، وقال: اشهدوا لي عند الأمير أنّي أوّل من رمى! وأقبلت السّهام من القوم كأنَّها القطر! فقال عليه السلام لأصحابه: قوموا رحمكم الله إلى الموت الذي لا بُدَّ منه، فإنَّ هذه السِّهام

١ - بحار الأنوار:٤٥، ٦.

٢ - م. ن:٥٤، ١٠.

رسل القوم إليكم.

فاقتتلوا ساعة من النهار حملة وحملة حتّى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة فعندها ضرب الحسين عليه السلام بيده إلى لحيته، وجعل يقول: اشتدّ غضب الله تعالى على اليهود إذ جعلوا له ولداً، واشتدّ غضب الله تعالى على النّصارى إذ جعلوه ثالث ثلاثة، واشتدّ غضبه على المجوس إذ عبدوا الشَّمس والقمر دونه، واشتدّ غضبه على قوم اتفقت كلمتهم على قتل ابن بنت نبيّهم، أما والله! لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتّى ألقى الله تعالى وأنا مخضّب بدمي[1].

هكذا أصرَّ هؤلاء على السّير في مشروعهم الخبيث إلى آخر ما حدث في يوم كربلاء، والدّروس والعِبر كثيرة حينما نقارن بين المعسكرين في واقعة الطّف؛ وما علينا إلّا أن نتأمّل، ونتدبّر في يوم عاشوراء، وسنفهم كيف تجسّدت القيم النبيلة في معسكر الإمام الحسين عليه السلام، وكيف تعامل هؤلاء الأوغاد بكلِّ ما أتوا من خبث مع ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته وأصحابه صلوات الله عليهم.

١ - اللهوف: ١٠٠.

المبحث الخامس

النَّهضةُ الحسينيّةُ

بَين الوسائِلِ والأهدافِ

ورد حديث عن رسول الله ﷺ في كتب الخاصّة والعامَّة؛ وهذا الحديث الشّريف يُبيّن المقام العظيم للإمام الحسين عليه السلام وننطلق منه لبيان المضمون الذي نودّ أن نُبيِّنه؛ وهذا الحديث ذكره البخاري، وابن حنبل، وغيرهما من أئمّة الحديث في كتب السنة، وكذلك ذكرته كثير من كتب الحديث للطائفة الإمامية ألا وهو: «**حسين منّي، وأنا من حسين؛ أحبَّ الله من أحب حسينًا؛ الحسين سبط من الأسباط**»[1] وهذا الحديث في الواقع إذا أردنا أن نتأمّل فيه نجد أنَّ هناك مضامين عميقة مرتبطة بنهضة الإمام الحسين عليه السلام، ومبادئها التي استشرقها رسول الله ﷺ منذ ذلك الوقت؛ ومنذ بدء الرّسالة المحمدية؛ لذلك سنحاول التّعرّض لبعض هذه المضامين:

المضمون الأوّل: إنَّ هذا الحديث لا يتضمّن فقط بيان العلاقة الجسمانية بين النّبي الأكرم ﷺ والإمام الحسين عليه السلام بل يرتبط بأمرٍ أساسيٍّ يتعلّق بمستقبل الرّسالة الإسلامية وخلودها وبقاء هذه الرّسالة، فالحديث يقول: «حسين منّي، وأنا من حسين»؛ أي إنَّ قوام الإمام الحسين عليه السلام بمبادئه ونهجه وسلوكه ومواقفه هي مستقاة من النّبي ﷺ؛ وعلى ضوء ذلك فإنَّ الحقّ يدور مع الإمام الحسين عليه السلام بكلّ ما صدر منه سلوك، أو تصرّف، أو سيرة، أو موقف اتخذه الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّ الحق يدور مع النّبي ﷺ من قول، أو فعل، أو سيرة، أو تصرّف، أو سلوك، أو موقف.

المضمون الثّاني: إنَّ الإسلام بمبادئه ورسالته المحمّديّة الأصيلة بفكرها ونهجها وسيرتها ومناهجها المختلفة ومواقفها، وكلّ ما تضمّنته من مناهج للحياة؛ علمية أو عمليّة؛ فإنَّ هذه الرِّسالة دوامها وبقاءها وحياتها وامتدادها وعزّتها وشرفها وكرامتها وسؤددها مرتبط بالإمام الحسين عليه السلام؛ وكذلك يُفهم من هذه العبارة إنَّ الإسلام والقرآن الكريم تبعاً لذلك مرتبط بقاؤه وحياته وديمومته بما نزل على النبي ﷺ من تفسير له وبيان لأحكامه ومناهجه كما أرادها الله تعالى وبيَّنها النبي ﷺ، وكل ذلك منوطٌ بالإمام الحسين عليه السلام؛ ولذلك حينما

١ - صحيح الترمذي: ٢ / ٣٠٧.

نقول بقاء الرّسالة المحمّديّة الأصيلة وحياتها ودوامها وعزّها وشرفها وكرامتها؛ نعني بذلك إنَّ القرآن الكريم بعزّته وحياته وشرفه وكرامته وبقائه حيًّا أيضًا منوطٌ بنهضة الإمام الحسين عليه السلام والمبادئ والمواقف التي اتخذها الإمام الحسين عليه السلام.

المضمون الثالث: إنَّ حبّ الإمام الحسين عليه السلام الوسيلةُ التي توصل إلى الله تعالى؛ لأنَّ الإمام الحسين عليه السلام هو الذي يُوصِل للنبي صلى الله عليه وآله بما مثَّله من تبليغ وتطبيق لرسالة السَّماء؛ لذلك فإنَّ الوسيلة التي توصِلنا إلى الله تعالى هو حبّ الإمام الحسين عليه السلام، والولاء له؛ ولكن هنا لا بُدَّ أن نعرف أيّ حبّ وأيّ ولاء هذا الذي إذا أتّبع يكون موصلاً إلى الله تعالى.

هل هو الحب الذي يُدعى، أم أنّه الحُب الذي يستلزم الاتّباع لمنهج الإمام الحسين عليه السلام، والتّطبيق لمبادئه.

إنّ ادّعاء الحُب وحده لا يكفي؛ لأنَّ القانون الإلهي الذي بيّن المعيار في الحب الحقيقي كما في الآية القرآنية ﴿ **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ﴾[1] فالحبّ الذي يوصل إلى محبّة الله تعالى؛ إنَّما هو منوط بالاتباع للمنهج والمبدأ، والاقتفاء بالسّيرة والسّلوك والأثر للإمام الحسين عليه السلام، لذلك حينما نقول: إنَّ حبَّ الإمام الحسين عليه السلام هو الذي يوصل إلى الله تعالى فإنَّ هذا هو الحبّ الحقيقيّ الصّادق؛ الذي يستلزم الاتباع لمنهج الإمام الحسين عليه السلام ومبادئه وسيرته وسلوكه ومواقفه.

مسؤوليتنا اتجاه الإمامِ الحسين عليه السلام

بعد بيان بعض المضامين من هذا الحديث الشّريف؛ لا بُدَّ لنا أن ننطلق لبيان ما هو مطلوب منّا اتجاه سيّد الشّهداء عليه السلام.

من القضايا المعروفة أنَّ هناك وسائل وآليات بيَّنها النَّبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار

١ – آل عمران: ٣١.

صلوات الله عليهم وظيفتها إيصال العباد للارتباط والانشداد مع الإمام الحسين عليه السلام، وتجديد الولاء مع الإمام عليه السلام؛ وأجلى مصداق لذلك هذه المجالس الحسينية، وهذه الشّعائر الحسينية؛ من بكاء، ولطم، وإقامة مجالس العزاء بمختلف أشكالها؛ فهذه ليست أهدافاً وغايات؛ وإنَّما هذه وسائل وآليات توصلنا لهدف وغاية أسمى وأكبر ألا وهو الارتباط بالإمام الحسين عليه السلام، والانشداد إلى مبادئه وتضحياته وأهدافه؛ بحيث نجد أنَّ هذه المبادئ والسيرة والسلوك والمواقف تتجسّد في حياتنا؛ لذلك علينا أن نكون على انتباه ويقظه، ولا نكون على غفلة واشتباه وجهل بحقيقة الثّورة الحسينية؛ فهناك وسائل، وهناك أهداف، والوسائل مطلوب منها أن توصلنا إلى هذه الأهداف؛ ومن هنا لابُدَّ أن نُشخّص ما هي الأهداف التي ابتغاها الإمام الحسين عليه السلام، وما هو الهدف الحقيقي من وراء هذا الحديث (**حسينٌ منّي وأنا من حسين**)، وما هي الوسائل التي توصلنا لتحقيق هذا الهدف.

إنَّ هذه الشَّعائر التي يحييها جميع المؤمنين والمؤمنات والمواكب والهيئات وكل المؤسسات أمر بها النَّبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار عليهم السلام، ولكن ليس هذا هو الهدف الذي نقف عنده؛ بل هذه وسائل، وأمّا الأهداف التي يجب أن نُحقّقها من هذه الوسائل هي التي نادى وأرادها الإمام الحسين عليه السلام.

إنَّ هذه الشّعائر وإقامة هذه المجالس وإحياء هذا الجانب العاطفي الذي لابُدَّ منه مشروع محبوب عند الله تعالى وعند النّبي صلى الله عليه وآله والأئمّة الأطهار؛ فالبكاء مطلوبٌ على الإمام الحسين عليه السلام في جميع الأيّام؛ خاصّة في هذه الأيّام؛ أيّام الفاجعة والمصيبة، وإقامة المجالس الحسينية مطلوبة، وإقامة مواكب اللطم والعزاء وغير ذلك من الوسائل التي تُعبّر عن هذه الشعائر، لكن هذه الوسائل يراد منّا الانشداد إلى مبادئ الإمام الحسين عليه السلام والوصول إلى الالتزام بهذه المبادئ والتّطبيق العملي لها كمنهاج حياة في جميع ميادين الحياة التي نحياها.

هذا أمر نودّ أن نلفت النّظر؛ وأن لا ينسينا الجانب العاطفي أهمّيّة الالتزام الدّيني الذي يتمثّل بأمور متعدّدة؛ وسأذكر بعضاً منها؛ لذلك نحن نشكر، ونثمن هذا الدّور الذي يقيمه أتباع أهل البيت عليهم السلام ومحبّو الإمام الحسين عليه السلام بإقامة هذه الشعائر وإحيائها.

إنَّ إقامة هذه الشعائر أمر ضروري جدّاً، ولابُدَّ منه؛ لأنَّه الوسيلة القويّة، والكبيرة التي تشدنا للإمام الحسين عليه السلام، وتربطنا به، وتربطنا بثورته وتضحيته ومبادئه وسيرته وسلوكه وأخلاقه؛ لكي نصل منها إلى تطبيق هذه الأهداف والغايات في حياتنا.

هذا هو الهدف الأساسي الذي أراده النّبي صلى الله عليه وآله؛ وإلّا حينما نُفكّر بعقولنا، ونُفكّر بمنطق الشّريعة؛ هل إنَّ النّبي صلى الله عليه وآله قدَّم هذه التضحيات من أبنائه؛ وهم شرف الإسلام وعزّته وكرامته الكبيرة من أجل البكاء فقط، ومن أجل أن نلطم ويعزّي بعضنا بعضاً؛ أم أنَّ الهدف أسمى من ذلك؛ وهو واضح للجميع؛ وهو أن نبقي تلك المبادئ الحقيقية للرسالة المحمدية الصّحيحة؛ وأن نُبقيها حية في حياتنا ما حيينا، وأن يكون موتنا مات محمدٍ وآل محمد صلوات الله عليهم، وأن يكون مماتنا مات الإمام الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه؛ لذلك لابُدَّ أن يراقب كلّ واحد منّا حينما يؤدّي هذه الشَّعائر هل إنَّ أداء هذه الشّعائر ينعكس إيجاباً على مستوى التزامه الدّيني وتقواه وورعه وحسن المعاشرة، وغير ذلك من المبادئ التي نادى بها الإمام الحسين عليه السلام فانعكست إيجاباً ووجدها تطبيقاً صادقاً في ولائه وحبّه للإمام الحسين عليه السلام وإن لم يكن مطبقًا لذلك لهذه المبادئ والالتزام الدّيني والتقوى والورع والأخلاق القويمة وسيرة الإمام الحسين عليه السلام فهو كاذب في حبّه وولائه للإمام الحسين عليه السلام؛ والإمام الحسين بريءٌ منه؛ حتّى لو جاء بهذه الشّعائر في كلّ يوم وليلة ونهار ولكن لم يلتزم بمبادئ الإمام الحسين عليه السلام، والأهداف التي من أجلها ضحّى. لابُدَّ أن يكون هدفنا إحياء ثورة الإمام الحسين عليه السلام بمبادئها وأخلاقها وسيرتها في حياتنا؛ ومن جملة الأهداف المهمّة

والتي ذكرنا بعض مفرداته مسألة طبيعة العلاقة بيننا وبين الله تعالى وأن تكون مبنية على الإخلاص، خالية من كلّ شائبة من شوائب الدّنيا، وهكذا إقامة هذه الشعائر، وإطعام الطعام، والبكاء، واللطم، وإحياء هذه المناسبات لابُدَّ أن تكون خالصة لله تعالى بعيدًا عن طلب الجاه والمنزلة والثّناء والمفاخرة والمباهاة بين البعض والبعض الآخر؛ فإنَّ ذلك يضرّ في صدق النّيّة؛ بل لابُدَّ أن تكون النّيّة خالصة لله تعالى وللإمام الحسين عليه السلام، ولابُدَّ أن نراقب نيّاتنا وأعمالنا وما يصدر منّا من تصرّفات حينما نقيم هذه الشّعائر، ونحاول الاقتداء بسيرة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه الكرام عليهم السلام.

كذلك من جملة العبادات المهمّة مسألة أداء الصلوات في أوّل أوقاتها، وكثيراً ما تؤكِّد المرجعية الدّينية العليا على هذا الأمر؛ لذلك هناك توصية مهمة للغاية؛ يامحبو الإمام الحسين عليه السلام أينما كنتم؛ رجالاً ونساءً، كبارًا وصغارًا؛ إذا كنتم تُحبّون الإمام الحسين عليه السلام حقاً، وأردتم من خلال إحياء هذه الشّعائر إحياء الثّورة الحسينية فإنَّ ذلك يتجسّد بأنّكم تهبون مسرعين لأداء الصّلاة في أوّل وقتها، وتتركون كلَّ شيء؛ خاصّة في هذه الأيّام؛ لكي نُبيّن للعالم أنّنا نُحيي هذه الشّعائر من أجل أن تبقى صلاة النّبي صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام حيّة في حياتنا ومجتمعنا؛ وبمجرد أن يؤذّن هذا المنادي بهذا النّداء؛ نداء التّكبير والشّهادتين لابُدَّ أن تهبّوا جميعاً، وتتركوا كلَّ شيء حتّى لو كان ذلك شعيرة من الشّعائر الحسينية؛ هبوا لأداء هذه الصّلوات؛ صلاة الفجر؛ صلاة الظّهرين، وصلاة العشاءين؛ هبّوا لأدائها في وقتها وأقيموها جماعة؛ لكي تبيّنوا للعالم أجمع ما هو هدفكم من إقامة هذه الصّلوات.

إذا أردنا أن ندرس مبادئ الثّورة الحسينيّة ومواقفها ادرسوا جيّدًا هذه المواقف، وخذوا منها العِبرة كما تأخذون منها العَبرة؛ وكيف أنَّ الإمام الحسين عليه السلام في ذلك الموقف العصيب

الصعب وقد نبَّه بعض أصحابه إلى حلول وقت صلاة الظهرين وهنا توجَّه الإمام وصلى الخوف لأصحابه، ووقف ذلك الصحابي سعيد بن عبد الله الحنفي يقي الإمام بصدره، وجسده، وقلبه السهام التي كانت تنهال على الإمام الحسين عليه السلام حتّى سقط صريعاً، ثم تأمّلوا مقالته تلك الشّهيرة للإمام عليه السلام أَوَفيت يا ابن رسول الله[1] حينما قدمت جسدي قرباناً؛ لكي أحافظ على هذه الصلوات، وصلى الإمام الحسين عليه السلام بأصحابه، وكذلك يقع عليكم التطبيق الحقيقي لنهضة وثورة الإمام الحسين عليه السلام هو أن تهبّوا جميعاً إذا أردتم أن تكونوا متّبعين للإمام الحسين عليه السلام عندما ينادي المؤذن نداء التّكبير لأذان صلاة الظّهرين أن تهبّوا لأداء هذه الصّلاة جماعةً، وكما تأتون هرولةً إلى الإمام الحسين عليه السلام وجزاهم الله خيرًا هؤلاء الحسينيون عشّاق الإمام الحسين عليه السلام في ركضة طويريج؛ لكي يعبّروا عن انشدادهم وولائهم للإمام الحسين عليه السلام؛ ولكن قدّموا صلاتكم بين يدي هذا العزاء لكي يرى الله تعالى والملائكة والنبي صلى الله عليه وآله والإمام الحسين عليه السلام وأولاده وأصحابه وأبو الفضل العباس عليه السلام وزينب الكبرى عليها السلام ما يرفع هذا العمل الحسيني؛ وقد رفع قبله الصلاة، وقد أدّيتموها جماعة، وجميعاً.

هذه من المسائل المهمّة؛ لا بُدَّ أن يكون تعبيرًا عن الحبّ الحقيقيّ للإمام الحسين عليه السلام وأن تؤدّوا، وأن تحافظوا على الصلاة، وتؤدّوها في أوّل وقتها، وأن تلتزموا بحدودها وآثارها من كونها ناهية عن الفحشاء والمنكر.

١ - ينظر: بحار الأنوار: ٤٥، ٢٢.

حسنُ الخُلُق

من المسائل المهمّة التي ينبغي الانتباه لها مسألة الأخلاق وحسن المعاشرة، وكيف يتعامل الإنسان المؤمن المحب للإمام الحسين عليه السلام مع أبناء مجتمعه وأبناء أسرته، وأن يكون تعامله بأخلاق حسنة مبنيًّا على التَّسامح، وعدم التجاوز والإساءة، وقبول العذر من الآخرين إذا ما طلبوا العفو والمسامحة، وأن تكون الحياة مبنيّة على الحوار الهادئ، والتّعامل الحسن بين الجميع بعيداً عن أيّ وسيلة من وسائل العنف والشّدّة .

حينما وقف الإمام الحسين عليه السلام وأنصاره عليهم السلام؛ فقد كان ذلك الموقف تعبيرًا لشعورهم بالمسؤولية أمام الله تعالى، وأمام النّبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأمام الأمّة الإسلامية حينما عبّروا عن هذا الشّعور باتخاذ ذلك الموقف المليء بالتّضحيات بالنَّفس والأولاد والأموال في سبيل إبقاء الإسلام حيًّا.

إنَّ الشّعور بالمسؤولية لا يكتفى فيه، ولا يقتصر فيه على الشّعور بالمسؤولية الدّينية فقط؛ بل هذا جزء مهمّ من المسؤولية التي أمرنا الله تعالى بها؛ بل الشعور بالمسؤولية اتجاه شعبنا وبلدنا ووطننا واتجاه الآخرين؛ فالمسؤول الأوّل في الدّولة لابُدَّ أن يستشعر هذه المسؤولية والذي أدنى منه، والمواطن، والطالب، والموظف، والأستاذ، وكلّ فرد من أفراد المجتمع عليه استشعار المسؤولية الدّينية، واستشعار المسؤولية الاجتماعية والوطنية الملقاة على عاتقه؛ خصوصًا في مثل هذه الظّروف الصّعبة والاستثنائية التي نمرّ بها.

أصحابُ المواقف

كذلك من الأمور المهمّة الشّعور بسموّ الهدف ونُبل الغاية؛ وهذا الشّعور لو جسّدناه في أعماق قلوبنا وأرواحنا لاندفعنا بهمّة وإرادة صلبة وعزيمة لا تلين لتحقيق هذه الأهداف.

لا شكّ أنَّ الهدف الذي ضحّى من أجله الإمام الحسين عليه السلام، وعلينا أن نُضحي من أجله هو هدف مقدّس وسامٍ، وأن تكون لنا الإرادة التي نواصل من خلالها الصّمود والثّبات على تحقيق هذه الأهداف.

ليس من الصّحيح أن يكون الإنسان الحسيني غير مكترث، ولا يبالي بما يدور من حوله من قضايا وأمور هامَّة تخص مجتمعه وبلده؛ بل عليه أن يكون له موقف يقف فيه لنصرة الحقّ ومساندة الحق، والدّفاع عنه، وعدم الوقوف مع الباطل؛ وهذه النّقطة في غاية الأهمّيّة؛ فقد كان هناك كثير ممن تخلّف عن الإمام الحسين عليه السلام؛ لأنَّهم لم يستطيعوا استشعار المسؤولية، ولم يتّخذوا ذلك الموقف المطلوب منهم.

لكلّ ظرفٍ موقفٌ خاصّ

من المسائل المهمّة في نجاح السّعي استخدام الطرق المناسبة والوقت المناسب للوصول الى الهدف؛ وقد يقول قائل كيف نعرف أنَّ هذا الأسلوب مناسب لكي نصل من خلاله الى الهدف الذي نرجوه، أو أنَّ هذا الوقت مناسب لكي نتبع هذا الأسلوب للوصول الى الهدف المناسب؟؛ هذه الأمور تحتاج الى شيء من الحكمة، والدّقة، والمعرفة بخفايا الأمور، والمعرفة بالأمور المحيطة بالمجتمع، وهذا يتوقّف على معرفته بحقيقته على ما يُبيّنه المعصوم، فإن غاب المعصوم كانت الأوامر المتوجّهة إلينا من أئمّتنا عليهم السلام الى أن نرجع إلى من جعله المعصوم نائباً عنه؛ لذلك في جميع هذه المسائل المهمّة ليس من الصّحيح فرض قناعاتنا ورأينا، ونقول: إنَّ هذه القناعة

والرّأي هو المناسب لكي نصل من خلاله إلى الهدف؛ فاختيار الوسيلة، والأسلوب المناسب، والوقت المناسب لاتخاذ هذا الأسلوب إنَّما يحدّده من هو نائب عن الإمام المعصوم ﷺ؛ ولابُدّ هنا من الامتثال والانقياد لما تُبيّنه المرجعية الدّينية العليا وما تتخذه من وسائل مناسبة، وما تختاره من وقت مناسب للوصول الى الأهداف؛ ولذا نلاحظ إنَّ الإمام الحسين ﷺ إنّما قام بثورته بالأسلوب المناسب، والوقت المناسب؛ ولو كان الإمام الحسن ﷺ في وقت الإمام الحسين ﷺ لقام بالثورة نفسها، واتخذ الموقف نفسه الذي اتخذه الإمام الحسين ﷺ، وكذلك لو أنَّ الإمام الحسين أيضاً هو الإمام الذي يُفترض الطّاعة في وقت الإمام الحسن ﷺ لأتخذ الموقف نفسه الذي اتخذه الإمام الحسن ﷺ، فهنا إذن علينا الرجوع إلى الجهة القادرة على تشخيص الأسلوب المناسب والوقت المناسب الذي يطبق فيه تلك الوسيلة.

نشرُ العِلْمِ

من القضايا المعلومة أنَّ مجتمعنا حرم من العلم والثّقافة وساد الجهل بين أوساطه، لذلك ينبغي الاهتمام بهذه المسألة فيما يتعلق بالجامعات والكليات والمعاهد والمدارس، وأن يكون هناك اهتمام بنشر العلم، وكذلك الاهتمام بالجانب التّربوي والأخلاقي من قبل الجامعات؛ فهذه من القضايا الرّئيسة التي بيَّنها الأئمّة ﷺ في بيان المصداق الحقيقي، والواضح لإحياء أمر أهل البيت ﷺ كما بيّنه الإمام الرضا ﷺ **في رواية عبد السلام بن صالح الهروي قال: سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا ﷺ يقول: رحم الله عبدا أحيا أمرنا فقلت له: وكيف يحيى أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا**"[1] لذلك من الواجب علينا أن نزجّ بأنفسنا وأولادنا وبناتنا؛ لكي ينهلوا من علوم أهل البيت ﷺ، والوقت اليوم ملائم للغاية؛ حيث هناك

١ – عيون أخبار الرضا ﷺ، ابن بابويه، محمد بن علي(ت: ٣٨١هـ)، نشر جهان، طهران١٤٢٠هـ، الأولى:٢، ٥٧٢.

وسائل كثيرة نستطيع من خلالها التّعرّف على أحكام الإسلام والأحكام الفقهية وغير ذلك من مناهج الإسلام، وقبل كل ذلك الاهتمام بنشر ثقافة القرآن الكريم ونشر علومه، وتعلّم القراءة الصحيحة للقرآن الكريم، ونشر علوم القرآن وأحكامه وأخلاقه وما فيه من سير ونهج وموعظة، ولا تقولوا ليس من الصّحيح أن تحدّدوا المسؤولية في رجال الدّين وأهل القرآن فقط؛ بل هي مسؤولية الجميع من دون استثناء إحياء القرآن الكريم بعلومه وأخلاقه بين أفراد مجتمعنا.

الحياةُ الحقيقيّةُ

من جملة الأمور المهمّة التي يجب أن نتعلّمها من ثورة الإمام الحسين عليه السلام أنَّ الحياة الدّنيا وسيلة للوصول إلى الحياة الحقيقيّة، وليست هي الهدف من إحياء الحياة وإحياء الخلق؛ وهذا درس نأخذه من الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه حينما استرخصوا هذه الحياة من أجل الوصول إلى الحياة الحقيقيّة، وهذا يستدعي الزّهد في هذه الحياة الدّنيا، واتخاذها وسيلة لتحقيق رضوان الله تعالى والوصول إلى الهدف.

هذا ما تؤكّده المرجعية الدينية العليا، وأن لا ينسينا الجانب العاطفي تلك الأهداف المقدَّسة التي أراد الإمام الحسين عليه السلام تحقيقها في المجتمع وفي حياتنا ما حيينا، وهذه الأهداف هي الهدف الأساس، وهذه الأمور من الشّعائر ما هي إلّا وسائل توصلنا لتحقيق ذلك الهدف، وعلينا أن نسعى للوصول الى ذلك الهدف، وليست هذه الشعائر فقط جزى الله تعالى خيرًا الجميع الذين يحيون هذه الشّعائر وحشرهم مع الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، لكن هذه الوسائل ليس من الصّحيح الوقوف عندها؛ بل هي وسائل وطرق توصلنا الى الهدف الأساس وهو إبقاء تلك المبادئ للإمام الحسين عليه السلام حيَّةً في حياتنا، وفي كلِّ مناحي الحياة .

المبحث السادس

إضاءاتٌ حولَ النَّهضةِ الخالِدَةِ

لا شكّ أنَّ مصيبة الإمام الحسين عليه السلام وما حلّ به بأرض كربلاء، والقصة المعروفة والمشهودة والمكرّرة في كلّ سنة تستوجب منّا وقفة تأمل وتفكّر إزاء ما حدث في واقعة الطَّفّ وما قبلها وما بعدها، ولا نريد الدّخول في تفصيلات تحليلية لواقعة الطّفّ، لكن لا بُدّ أن لا تمر علينا هذه الذّكرى ونحن نتفرّج عليها، بل لا بُدّ أن يستتبع هذه الرّؤيا نظر، ويستتبع هذا المشهد تأمّل وتفكّر في مجموعة قضايا.

إنّ نهضة الإمام الحسين عليه السلام نهضة عالمية؛ بمعنى إنَّ العالم الآن توجّه لسيّد الشّهداء الحسين عليه السلام وأحبابه في كلّ مكان ليجعلوا هذه الأيّام أيّامًا لها خصوصيّة، ولهم فيها شعائر تختلف عن سائر الأيّام.

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام يملك هذه القوّة التي جلبت وجذبت هذه القلوب إليه بحيث يعطي كلّ منّا ما عنده، ويشعر بالتّقصير أمام عظمة الإمام الحسين عليه السلام، وهذه المساحة الصّغيرة التي عاشتها واقعة الطّفّ في أرض كربلاء في سنة ٦١ للهجرة اتّسعت وأصبحت الآن تطوّق الدّنيا، وجعلتها تعترف بحقّ الإمام الحسين عليه السلام أنّه قائد الدّنيا، وهو من مَلَكَ قلوب الآخرين، وبدأت حالة من حالات التّرقّب لانتظار يوم العاشر من المحرّم؛ ففي هذا اليوم ستصل ذروة المأساة، والنّاس تتفاعل مع مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وهذا ممّا لا ريب فيه يُعطي لمن كان مع الإمام الحسين عليه السلام قوّة.

إنَّ شجاعة الإمام الحسين عليه السلام وقوّته مع قلّة النَّاصر الذي ذكره عليه السلام، ومع قلّة العدد كانت مفقودة عند الآخرين، ولاحظوا كثيرًا من قرارات التاريخ تحتاج إلى شجاعة، والأمم عندما تمرّ بمأزق قد تقف أمام طرفين؛ إمّا الاستسلام والاستكانة، وإمّا الانتفاضة بمقدار رؤيا واضحة، فهو ليس أمرًا سهلًا وقد تكون هناك عشوائيّة، لكن تحتاج إلى شجاعة، والإمام الحسين عليه السلام عندما ندرسه كرجل مقاتل شجاع عالم جريء مُصلح؛ فإنَّ هذه الصّفات في هذا الزّمن نحتاج أن

نطرحها ونضعها بين أيدينا، وحقيقة مدرسة الإمام الحسين عليه السلام من هذه الزّاوية مدرسة في غاية الأهمّيّة.

هناك حالة بين الخوف والشّجاعة، وأرجو الالتفات لهذه النّقطة؛ فالخوف ليس مسألة رديئة؛ وإنّما الخوف مسألة غريزية وحاله حال الجوع والعطش؛ ولذلك الإنسان يخاف، وحتّى المعصوم كما في قصة نبيّ الله موسى عليه السلام: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ**﴾[1]، والجبن رذيلة من الرّذائل يُنزّه عنها المعصوم عليه السلام، والإمام الحسين عليه السلام ليس وحده الذي امتاز بجانب الشّجاعة، بل فاضت فضيلة الشّجاعة عليه وعلى أهل بيته وأصحابه، ولم يذكر لنا التاريخ مع مأساة واقعة الطّف شخصًا جبن بحيث تخلّى؛ بل خلاف ذلك هناك مواقف في منتهى البطولة، وبعض أهل بيت الإمام الحسين عليه السلام كان لا يكترث بالعدو كما في قضية القاسم بن الحسن عليه السلام.

إنَّ هذه الجوانب مع غضّ النّظر عن جوانب العاطفة والمأساوية التي حدثت في كربلاء شيء لم ولن يكرّره التاريخ في بشاعة صورة العدو، وعملية الزّيف الذي كان عنده، وفي المقابل الجانب البطولي والشّجاع والحق الذي تميّز به أصحاب الإمام الحسين عليه السلام.

في بعض الحالات قد يكون الإنسان على حقٍّ، لكن غير شجاع، والإمام الحسين عليه السلام يرفض هذا المقياس، فمشهد الطّفّ العاشورائي كان مشهدًا مكتمل الصورة وواضحًا عند سيّد الشّهداء عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام.

---

١ - طه: ٦٧-٦٨.

اهتمامُ المعصومينَ عليهم السلام بالإمامِ الحسين عليه السلام

هناك صناعة للتاريخ حدثت في العاشر من محرّم، شئنا أم أبينا، والتاريخ غبط هذا الحق، وتأمّلوا بإيجاز ما حدث بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، من مبايعة الناس الإمام الحسن عليه السلام، وحدثت حالة من الاضطراب، والإمام الحسين عليه السلام مرّ بمشكلات وعندما تحصل حالة من العمى لدى الأمّة ولا ترى أنَّ الإمام الحسين عليه السلام خرج لضرورة، وإنّ الظّروف المحيطة بالإمام الحسين عليه السلام جعلته عليه السلام يُفكّر بطريقة لا بُدّ أن ينتصر بعد واقعة الطّف؛ لذلك جاء الحشد من الأئمّة المعصومين عليهم السلام للتركيز على واقعة الطّفّ، وهذه أيضًا قراءة جديدة ومهمّة؛ فبعد استشهاد الإمام أعطى الأئمّة الأطهار عليهم السلام جزءًا مهمًّا من وقتهم الشريف للتركيز على قضيّة الإمام الحسين عليه السلام، وهذا منحها ديمومة استمرّت إلى نهاية حياة الإمام العسكري عليه السلام، وكل إمام يتعامل مع قضية الإمام الحسين عليه السلام إمّا بشدّ الرحال للزيارة، أو تحفيز الناس على الزيارة؛ وإن كان بعيدًا يكفيك أن تصعد إلى السطح، وتتوجّه صوب كربلاء وتقول: السلام عليك يا أبا عبد الله. أو إحياء الشّعائر واستذكار لمصيبة الإمام الحسين عليه السلام لدرجة أنَّ الأئمة عليهم السلام هيّأوا جوًّا نفسيًّا واجتماعيًّا لقضية أبي عبدالله الحسين عليه السلام، فأخذت واقعة الطف حيزًا مهمًّا من حياة كلّ الأئمة عليهم السلام؛ وعلى سبيل المثال كرّس الإمام الصادق عليه السلام في سجوده فقرة دعاء للإمام الحسين عليه السلام، ولزواره، ولكلّ من جاء مقبلاً على قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام بحيث عندما يكمل الإمام الصادق يقول لمعاوية: **((فَمَا الَّذِي يَمْنَعُكَ مِنْ زِيَارَتِه))**[1]، قال عليه السلام: **((جُعِلْتُ فِدَاكَ لَمْ أَدْرِ أَنَّ الْأَمْرَ يَبْلُغُ هَذَا كُلَّهُ))**[2]، يقول معاوية بن وهب لم أتوقّع هذا الثواب لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، قال: **((يَا مُعَاوِيَةُ وَمَنْ يَدْعُو لِزُوَّارِهِ فِي السَّمَاءِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْعُو لَهُ فِي الْأَرْض))**[3]، وهذا الجو الذي خلقه الإمام الصادق عليه السلام،

---

١ – المزار الكبير، ابن مشهدي، محمد بن جعفر،(ت: ٦١٠هـ)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم، قم ١٤١٩هـ، الأولى: ٣٣٥.

٢ – م. ن: ٣٣٥.

٣ – م. ن: ٣٣٥.

والإمام الكاظم(عليه السلام)، ومن قبلهم الإمام الباقر (عليه السلام) جميعاً فضلًا عن الإمام السجاد (عليه السلام) الذي كان يستعبر دائمًا إبقاء قضية الإمام الحسين(عليه السلام)؛ لذلك يمكن الجزم وبمنتهى الوضوح لولا قضية الإمام الحسين(عليه السلام) وما واكبها من قبل ومن بعد من هذا الزّخم من الأئمّة المعصومين (عليهم السلام) لكان الحال غير هذا الحال؛ ومن هنا أعطونا شخصًا واحدًا يشترك فيه العالم بهذه الكيفية التي يشهدها الإمام الحسين (عليه السلام)، والآن في كلّ العالم يوجد هناك ذكر للإمام الحسين (عليه السلام)، بل في مناطق قد لا تتوقعها، ولا تخطر على بالك. أنا أتذكر أحد الإخوة تبرّع بعمل كسوة لأبي الفضل (عليه السلام) وموجودة فعلاً الآن على الضّريح الشّريف، وهذا الرجل يقول: ذهبت إلى الهند فوجدت عند الطّائفة السيخية بعض المنشدين على الإمام الحسين (عليه السلام) من الدّيانة السّيخية في قرى نائية. أقول: هذا الإمام الحسين (عليه السلام) بهذه الطّاقة، وبهذه القوّة أصبحت قضية عالمية؛ بل لا أبالغ إن قلت: هي حالة استنفار حتّى خارج الكرة الأرضية، وأهل السّماء يدعون أكثر من أهل الأرض، هذه الحالة تجعل قضيّة الإمام الحسين (عليه السلام) خالدة، وتُعطي انطباعًا لمحبّي الإمام الحسين (عليه السلام) من جهة، ولأعدائه -وما أكثرهم- من جهة، أمّا لأحباب الإمام الحسين (عليه السلام) فإنّ هذا طريق حقٍّ تمسّكوا به (عليه السلام) لأنّه صاحب حقّ، ورسالته رسالة حقّ، وهو واضح، ونحن يجب أن ندخل في مشروع الإمام الحسين (عليه السلام)، أمّا لأعداء الإمام الحسين (عليه السلام) فدونك صور التاريخ المقزّزة، وأقزام حاولوا الاقتراب من نور أبي عبدالله الحسين(عليه السلام) فاحترقوا. هذه هي المعادلة يبقى الإمام الحسين (عليه السلام) رمزًا وقدوة، وهذه المعالم الكبيرة كلّها تنحني للإمام الحسين (عليه السلام). وإزاء هذا أرى من الضّروري أن أعرض عليكم -على نحو الاختصار- بعض الوصايا بما يتعلّق بنا من أجل الإمام الحسين (عليه السلام) كوظيفة شرعيّة، واعتقد لا بُدّ أن نُبيّن بعد هذا الكم الهائل اهتمام الأئمّة (عليهم السلام) بقضية الإمام الحسين(عليه السلام)، والتركيز على مسألة الإكثار من التّواصل مع الحسين(عليه السلام)، والاهتمام بالشّعر.

أساليبُ التَّعاملِ مع نهضةِ كربلاء

أوّلًا: لا بُدَّ من الحفاظ على قدسيّة هذه الممارسات ونزاهتها وعدم الخروج بها عن الضّوابط الشّرعيّة وحسن سلوك القائمين بها والتزامهم الدّيني والخلقي؛ وقد أكّد أئمتنا الأطهار عليهم السلام ذلك، بل قد ورد عنهم عليهم السلام في بيان آداب الزيارة.

ثانيًا: التّأكيد على جانب الحزن وما هو الأوفق والأحرى باستثارة العاطفة والحسرة، واستدرار الدّمعة في مناسبات الأحزان ومجالس العزاء، وليكن الإبداع واستعمال الطاقات منصبًّا على هذا الجانب ومعنيًّا به، ولا يكون لغرض التّفنّن، والتّجديد من دون مراعاة هذه الجهة، فإنّ بذلك خروجًا بهذه المناسبات والممارسات عن أهدافها السّامية التي أكّدها أئمّتنا الأطهار عليهم السلام؛ بل وتحجيمًا لدورها في خدمة مذهب أهل البيت عليهم السلام، وقد تنقلب إلى مباريات فنيّة عقيمة.

كذلك إبعاد هذه الشّعائر عن أن تكون مسرحًا لإبراز العضلات والتّسابق والتّشاحن من أجل إظهار المميزات والقدرات الشخصية أو نحوها لإلفات الأنظار وحبًّا في السّمعة والجاه ونحو ذلك مما لا يناسب قدسيّة هذه الممارسات وسموّ أهدافها وشرف انتسابها لأهل البيت عليهم السلام، وليكن في مرتكز القائمين بها وقرارة نفوسهم أنّ المعصومين عليهم السلام ولاسيّما إمام العصر والزّمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف) يشرفون على هذه النشاطات والممارسات، أو يشاركونهم فيها ليكون سلوكهم وأداؤهم مناسبًا لذلك، ومنسجمًا معه، بل الله تبارك وتعالى لا تخفى عليه خافية ﴿**وَاللهُ مِنْ وَرائِهِمْ مُحِيطٌ**﴾[1]، وبيده أسباب التّوفيق.

ثالثًا: عدم الخروج بهذه الممارسات عمّا شرّعت له من إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام في التّفكير بمظلوميّتهم، ورفيع مقامهم، ونشر تعاليمهم، وما جرى هذا المجرى إلى أمور خارجة عن ذلك، لتكون معرضًا للشعارات المختلفة، ومسرحًا

١ - البروج: ١٩.

للصراعات الحادة والاتجاهات المتباينة التي لا يخلو منها زمان ولا مكان، فإنّ ذلك يشوه صورته ويوجب الزّهد فيها، بل قد يتّخذ ذريعة لمنعها ومبررًا للقضاء عليها كما مرّت لنا في ذلك تجارب سابقة، وبذلك نكون قد خسرنا أضخم دعامة لمذهب أهل البيت عليهم السلام حملت اللواء على مرّ العصور وتعاقب الدّهور وشدّة المحن وظلمات الفتن، ونتحمل مسؤولية ذلك أمام الله تعالى وأهل البيت عليهم السلام ومبادئهم السّامية، بل ينبغي نسيان الخلافات في سبيل وحدة الهدف من هذه الممارسات وشرفه، وتكون المناسبات المذكورة محفزّة على التّقارب والتّركيز على الثّوابت والمشتركات.

إنَّ هذه المسؤوليات إنّما ذكرت تأكيدًا ورغبة منكم أيضًا للحصول على الأجر والثواب من خلال هذه الممارسات، ولا شكّ ولا ريب أنَّ الأجر يحتاج إلى عوامل الثّواب، ويحتاج إلى عوامل، ولا يكون القصد إلّا رضى الله تبارك وتعالى.

المنهجُ العاشورائيُّ بين النَّظريّةِ والتَّطبيقِ

إنَّ الصراعَ بين الحقّ والباطل هو صراع قديم منذ اللحظة الأولى التي كلَّف الله تعالى فيها العباد بالعمل الصَّالح، وتلك اللحظة التي تمرَّد فيها بعض الخلق تكبّرًا وعنادًا، بدأت هذه المعركة الشّرسة بين الحقّ والباطل، ومهما أوتي الباطل من قوّة واستعداد لم يستطع أن يجهض الحقّ، بل ما زال الحقّ بين فترة وأخرى تارة ينمو نموًّا سريعًا وتارة يَفتُرُ، لكنه لم ولن يموت.

من جملةِ الصّراع التاريخي المهمّ الذي نحتاج أن نفهمه بشكلٍ واضحٍ، هو ذلك الصّراع الذي حدث في كربلاء، صراع بين جهة الإمام الحسين عليه السلام صاحب الخطّ المرتبط بأمير المؤمنين عليه السلام، بوصفه امتداد للنّبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله بلا فاصلة، وبين خطٍّ آخر ارتكب ما ارتكب من أجل تشويه معالم الدّين إلى أن وصلت النّوبة إلى الصّراع العسكري أو المعارك أو القتال وأفرزت واقعة كربلاء، فما قبل كربلاء من

صراعات قد أنتجت كربلاء، وكربلاء أنتجت ما بعدها من الأحداث، والمسألة ليست ما قبل كربلاء، فتلك الفترة تعنينا الآن، وإنَّما ما يعنينا بعد كربلاء، فما الذي حصل بعد واقعة كربلاء؟ وكيف نتعامل؟ لابُدّ من تشخيص قضيّة وهي أنَّ معركة كربلاء ليست معركة بين جهتين، إذ قد يبدو للقارئ أنَّ هاتين الجهتين اشتبهتا أو بعض منهما اشتبه في التّطبيق، ينبغي أن لا تُفهم مسألة كربلاء صراع بين طرفين: الإمام الحسين عليه السلام من جهة، مع جهة مشتبهة في الطّرف المقابل، والجهة التي كانت أمام الحسين عليه السلام لم تكن جهة مشتبهة وإنَّما كانت جهة عالمةً بما تصنع وملتفتة لما سترتكب، وهي غير متورِّعة ولم تُقدّم رضا الله تعالى على مطالبها، وليس هناك مجال للمصالحة بين خطَّين مختلفينِ تمام الاختلاف؛ فالخطّ الذي نهجة الإمام الحسين عليه السلام واضحٌ، وذكرنا إنَّه يرتبط بالنبي صلى الله عليه وآله بلا واسطة، والخطّ المقابل للإمام الحسين عليه السلام منحرفٌ، ويريد أن يقضي على الدِّين بشكلٍ أو بآخر، فهذا خطٌّ نبوّةٍ، وذلك خطُّ مُلكٍ، وقد عبَّرَ هذا الخطّ عن رغبته بالملك في أكثر من مورد، وهذا خطٌّ يتفاعل مع الدّين ويتفاعل مع القرآن ويهتم بشؤون الآخرة، وذلك خطٌّ لا يعتقد بهذه الأمور، وشِعرُهم يقول:

لَعِبَتْ هَاشِمُ بِالْمُلْكِ فَلَا خَبَرٌ جَاءَ وَلَا وَحْيٌ نَزَل[1]

فهو غير قابل للتصالح، وإنَّما خطُّ الإمام الحسين عليه السلام واضحٌ وصريحٌ، يحتاج الآخر أن يفهم الإمام الحسين عليه السلام وأن يقفَ مع الإمام الحسين عليه السلام وقفة المتأمّل، وأمَّا أن يكون مع الإمام الحسين عليه السلام، أو يختار أن يكون مع الخط المنحرف.

يجب أن تُقرَأَ واقعةُ الطَّفِّ قراءة عميقة ودقيقة؛ حتى تُفرَزَ هذه الأمور، وبقيت واقعة الطَّفّ إلى يومنا هذا انعطافة تاريخية أثّرت في بقاء وخلود الدّين الإسلامي، -بعبارة أخرى-: «الوجود المبارك للرسالة الإسلامية مرَّ بولادته الأولى بالنّبي صلى الله عليه وآله

١ - ينظر: الاحتجاج على أهل اللجاج، الطبرسي، أحمد بن علي(ت: ٥٨٨هـ)، نشر المرتضى، مشهد١٤٠٣هـ، الأولى: ٢/ ٣٠٧.

وبعثته المقدّسة، ومرَّ بالولادة الثانية في كربلاء»؛ وهذا المعنى الذي يشير إليه النّبي ﷺ بقوله: ((**حُسَيْنٌ مِنِّي وَأَنَا مِنْ حُسَيْن**))[1]، وهذا المعنى ليس معنى نسبيًّا نقف عنده فقط، بل معنى آخر، فالبُعد الدّيني والثّقافي والاجتماعي، إذا لم يمر بواقعة الطّف سيواجه علامات استفهام كبيرة يصعب أن يتخلّص منها.

إنَّ واقعة الطّفّ وجودٌ حقيقيّ لرسالة النبي ﷺ، وانظروا العوامل التي ساعدت على جعل واقعة الطّف تنتج هذا الإنتاج الحق:

استشهد الإمام عليه السلام في يوم العاشر من محرّم، واستمرّت الأحداث إلى يوم العشرين من صفر، وقد شهدت الكثير من المواقف مع كون العائلة الشّريفة في وضع السّبي والأسر؛ وهذا يعني أنَّ السّيّدة زينب عليها السلام تتحدّى الصعاب بعبارة قويّة حتى أصبح التاريخ إلى الآن يخلدها.

إنَّ الأيام أجبرتها أن تُخَاطِب إنسانًا منحرفًا، وإنسانًا جعل نفسه في قبال النّبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام؛ ولذلك مولاتنا زينب عليها السلام عندما تتعامل مع هذا الشّخص على ما يرى في نفسه من عظمة السّلطان؛ ولكنها تتعامل معه على مقولة: (**فَكِدْ كَيْدَكَ وَاسْعَ سَعْيَك**)؛ وهذا نوع من التّحدّي، ثم أردفته بيمين الواثق من نفسه والمتثبّت؛ لأنَّ رسالة النبي ﷺ رسالة خالدة، ولابُدّ أن تنتصر.

لقد كانت المعوّقات أمام وجه الرّسالة عن طريق من يدّعون الإسلام غير ضائرة بالرسالة، وقد يصيب بعض الناس نوع من سوء الفهم في قراءة الواقع، لكن هذا لا يضر، وعندما تقول: ((**فَكِدْ كَيْدَكَ وَاسْعَ سَعْيَكَ وَنَاصِبْ جُهْدَكَ فَوَ اللهِ لَا تَمْحُو ذِكْرَنَا**))[2] والمقصود أنَّ محو أثر الأئمّة وأمرهم عليهم السلام هذا أمر غير خاضع لموازين طرف منحرف عن رسالة النبي ﷺ؛ ولذلك كلُّ موازين الانحراف لمن يقرأ واقعة الطّف

١ - كامل الزيارات: ٥٢.

٢ - اللهوف على قتلى الطفوف: ١٨٥.

حدثت في الطّرف المقابل، حتّى موازين الشّهامة التي كانت عند العرب في الجاهلية تنازلت عنها ؛ منها: سلب النساء، والتّمثيل بأجساد القتلى، ورضّها بسنابك الخيل، وتركها في العراء، حتّى الجاهلية لم يعملوا هذا، لكن الإنسان عندما يصل إلى حالة الانحراف يفعل كلَّ ما يحلو له.

إنَّ الذي يريد فهم دين النّبي صلى الله عليه وآله وواقعية ما جاء به صلى الله عليه وآله، لابُدّ أن يمر بواقعة الطّف، وواقعة الطّفّ لم تكن واقعة هامشية، وعندما نتحدّث عن أحداث سنة (٦٠ - ٦١هـ) نقول: «حدث هذا الأمر» هذه قراءة مخطئة، وقراءة ناقصة، وقراءة مجتزأة، إذ إنَّ واقعة الطّف واقعة تستجلي أن نقف إجلالاً أمام أبطال واقعة الطّفّ؛ أولئك شخصيات مهمّة سارت مع ركب الإمام الحسين عليه السلام، أولئك شخصيات كبيرة تركت بصمات حقيقية في تاريخنا الإسلامي.

عُمقُ الرّسالةِ

من جملة ذلك -مثلاً- الإمام السّجّاد عليه السلام عندما يكون في هذا المنظر الذي يحسبه الجاهل منظرَ أسرٍ، ومنظر توهين للإمام عليه السلام، ولكن تعامل الإمام السجاد عليه السلام مع خصمه وعدوّه ونظر إلى عمق الرسالة التي جاء بها الإمام الحسين عليه السلام، وجاء بها أبوه عليه السلام عندما ارتقى المنبر وتكلّم في الشام بِمَرْأى وَمسْمَع البلاط الذي يُمثّل الهرم للانحراف هو وحاشيته وزبانيته؛ لكن الإمام عليه السلام يلوِّحُ إلى قضيّة مهمّة، ماذا قال؟ قال: ((**أَنَا ابْنُ مَنْ بَكَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ أَنَا ابْنُ مَنْ نَاحَتْ عَلَيْهِ الْجِنُّ فِي الْأَرْضِ وَالطَّيْرُ فِي الْهَوَاء**))[1]، وتأمّلوا هذه الرّسالة التي يُبيّنها الإمام عليه السلام فهذا إخبار لا يمكن للإنسان أن يخبر به ما لم يكن مرتبطاً بالسّماء، فالإمام عليه السلام يقول: (**أَنَا ابْنُ مَنْ بَكَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ**) والفاصل الزّمني بين

١ - مناقب آل أبي طالب عليه السلام، ابن شهرآشوب المازندراني، محمد بن علي(ت: ٥٨٨هـ)، علامة، قم١٤٢١هـ، الأولى: ٤/ ١٦٨.

واقعة الطّفّ وبين حديث الإمام أيّام معدودة، غير أنَّ هؤلاء يفرحون بقتل الإمام الحسين عليه السلام والإمام يُبيِّنُ صرخةً مدوّية؛ فأنتم لم تحاربوا الإمام الحسين عليه السلام بل أنتم تحاربون الله سبحانه، والدليل أنَّ الإمام الحسين عليه السلام: **(أَنَا ابْنُ مَنْ بَكَتْ عَلَيْهِ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ أَنَا ابْنُ مَنْ نَاحَتْ عَلَيْهِ الْجِنُّ فِي الْأَرْضِ وَالطَّيْرُ فِي الْهَوَاء)**، إذن المسألة ليست مرتبطة بواقعة جزئيّة، وهذه المنظومة العقائدية الأخلاقية الفقهية التاريخية لابُدّ أن تمرَّ عن طريق كربلاء، ولذلك كلُّ المسلمين لابُدّ أن يمرّوا بكربلاء، فكربلاء ليست حدثاً، ومن القضايا المؤسفة أنَّ هذا التأريخ نتيجة الاضطهاد الكبير لم يُكتب بالشّكل الواقعي، وإنَّما نمرُّ عليه مروراً، ثم نطوي الصفحات تلوا الصّفحات، وكأنَّنا نستأنس بواقعة تأريخية، بيد أنَّ المسألة ليست بهذا الأمر الهيِّن؛ وإنَّما عاشوراء حجّة، وبهذه الحقيقة تحدّث الإمام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء مع الجند والولاة، والساسة، وهكذا تكلّم الإمام زين العابدين عليه السلام في قصر الإمارة، وتحدّثت السيدة زينب وفاطمة عليهما السلام في مركز الحكم؛ لأجل إثبات مركزيّة وحجية واقعة كربلاء.

المبحث السابع

وحدةُ الأهدافِ

بينَ سيّدِ الشُّهداءِ ومهديّ آلِ مُحمَّد

من باب المقدّمة وتأكيد ما سبق نحبّ التّنويه إلى التّركيز على المسائل المتعلّقة بفكر أهل البيت عليهم السلام وأنّها من المسائل الأساسية؛ بمعنى إنّ التّعامل مع الإمام عليه السلام لا يقتصر على التّعامل مع النّبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله؛ وذلك لأنّ وجود الإمام وارتباطنا به سواء الإمام الحاضر في زمن الحضور أو الإمام الغائب أمثال زماننا هذا ممّا لا غنى لكلّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ عنه عليه السلام؛ لأنّ هذا التّأصيل ونوعيّة الارتباط ليس من الأمور الكمالية التي إن أخذ بها الإنسان زاد فضلاً، وإن لم يأخذْ بها لا يضرّه شيء كالأمور المستحبّة مثلاً، وإنّما هو من الأمور الضّروريّة التي يتوقّف عليها قبول العمل والتي يتوقّف عليها أخذ معالم الدّين، فالتّعامل مع شخصية الإمام عليه السلام لابُدَّ أن يكون تعاملاً خاصًّا وفيه التفاتة، وخاصة في زماننا هذا، ويجدر بنا أن نستشعر أمرًا خاصّاً في حياته صلى الله عليه وآله، وأن نستشعر حالة خاصّة في طريقة التعامل والارتباط، فبيننا الآن وبين نبيّنا صلى الله عليه وآله حقبة طويلة، وعندما نحاول تصفّح التاريخ سنرى أنَّ هناك مشكلات هائلة حدثت، وبعض هذه المشكلات ولّدت قناعات تحوّلت إلى أفكار، وتحوّلت إلى مدارس، وإزاء هذا وذاك تحكّم بعض السلاطين، وروّجت بعض الأفكار على حساب أفكارٍ أخرى؛ وخاصَّة مع قساوة بعض الحكّام وتمكّنهم بكثيرٍ من أسباب التَّمكين، وعدم وجود رادعٍ كافٍ؛ الأمر الذي جعل كثيرًا من الأفكار تنضج وبعض الأفكار توشك أن تغيب، والحفاظ على شيءٍ أصيل وفق هذه الضّبابية التاريخية والمشاكل التاريخية ليس بالأمر الهيّن.

إنّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام تبنّت موضوعًا ومشروعًا بحمد الله تعالى لا يزال إلى الآن قويًّا وصامداً ببركات الأئمّة الهداة عليهم السلام الذين ما فتئوا يُبيّنون ويوضّحون ويعلّمون، وأصبح عندنا تراثٌ ضخمٌ؛ وهذا التراث يصل إلى الأئمّة الهداة عليهم السلام، والمعاهد العلميّة والحوزات المباركة -أدامها الله تعالى- كفيلة بتوضيح هذه المسألة بأوضحِ بيان.

لا يكفي في علاقتنا جميعًا بشخصية الإمام عليه السلام أن نتذكّر الإمام في أوقات خاصّة حيث إنَّ هناك حاجة يوميّة وحاجة مُلِحّة، مثلما أنّي أتعامل مع الصلاة بشكلٍ يوميّ، وأتعامل مع الفضيلة بشكلٍ يومي، وأبتعد عن الرَّذيلة بشكلٍ يومي فلابُدّ أن أتعامل مع أصلٍ من أصول الدين بشكلٍ يوميّ، فالصّلاة، والصّيام، والحجّ، والأمر بالمعروف؛ هذه فروع، وقيام الدّين يحتاج الى أصلٍ، ويحتاج الى فرع، ولاشكّ في أنَّ الارتباط بالأصل لابُدّ أن لا تشوبه أيّ غفلة، والإمام السّجّاد عليه السلام، يتعامل مع الإمام ويُبيّن نكتاً حتى يُشعرَنا بأهمّيّة القضية، فمثلاً النّبيّ صلى الله عليه وآله عندما يتحدّث عن أمير المؤمنين ويكشف عن قضية كبيرة، ومفادها أنَّ الناس لو علموا ما عند علي عليه السلام لأخذوا التراب من تحت قدميه[1]، فماذا تكشف هذه العبارة؟

الاستفادةُ مِن وجودِ المعصوم عليه السلام

إنَّها تكشف عن عمق هذه الشّخصيّة وأمثال ذلك من كلمات للنبي صلى الله عليه وآله أو لأمير المؤمنين عليه السلام أو للأئمّة في حقّ شخصيات أخرى كثيرة، والإمام السّجّاد عليه السلام يريد أن يُبيّن أنَّ الإمام عليه السلام يواجه مشكلة، فالمشكلة ليست في شخصية الإمام، وإنَّما المشكلة في أنَّ وجود الإمام عليه السلام لا يستفيد منه الكلّ؛ فالبعض يُحاول تزييف الحقائق ويُحاول نقل صورٍ غير الصور التي جاء بها النّبي الأعظم محمد صلى الله عليه وآله.

وهذه مسألة ليست مختصّة فقط بالإمام عليه السلام، فهذا ابن أبي العوجاء -حسبما يذكر الرواةُ- اتُّهِمَ بالزّندقة، وعندما أُلقي القبض عليه قال من باب المبالغة أو من باب الواقع: أنا وضعت أربعة آلاف حديث حلّلتُ فيه الحرام، وحرّمتُ

١ - عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) - لعلي (عليه السلام) -:" والذي نفسي بيده، لولا أن يقول فيك طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم، لقلت فيك اليوم مقالا لا تمر بأحد من المسلمين إلا أخذ التراب من أثر قدميك يطلبون به البركة".الإرشاد: ١ / ١٦٥.

فيه الحلال[١]، وهذا رقمٌ كبير، عشرة آلاف حديث، لكن بالنّتيجة هناك محاولات وبعضها محاولات نجحت، وبعض الكتب الآن مليئة بأشياء باطلة وليس لها واقعية، ولكنّها موجودة وفيها مبتنيات وفيها أفكار؛ وهذه المسألة معلومة، والتّزوير ممكن أن يحدث، وقد حاول كثير أن يتلاعب؛ فتارةً يتلاعب بالقرآن لكن لحرص المسلمين الكبير على القرآن نجا من محاولات تزييف الحقائق حتّى على شخصيّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وعلى الأئمّة وعلى الصّلحاء من المسلمين من الصّحابة، ومن هذه النّقطة نُعرج إلى الإمام السّجّاد عليه السلام في دعائه لإمامنا عليه السلام وقد أراد بيان هذه في دعوته للإمام عليه السلام وأن يعينه الله تعالى على تصحيح ما حُرّفَ عن جادّة الشّريعة، قال: (**وأَحْيِ به ما أماته الظالمون من معالم دينك، واجلُ به صَدَأ الجور عن طريقتك، وأبنْ به الضّرّاء من سبيلك...**).[٢] فالإمام عليه السلام يُعبّر عن حياة وموت، ومعالم الدّين التي ماتت بمعنى أنّه لا يعمل بها أحد وإلّا فهي محفوظة لكن النّاس لا تعمل بها؛ إمّا لأنَّ العمل فيه مشكلة وقد يدفع الإنسان حياته ثمناً أو أنَّ هذه الحقيقة قد غلبتها بدعةٌ يعبّر عنها بـ(**أحيِ ما أماته الظالمون**) فهناك سعيٌ من الظّالم لأجل إماتة هذا الدّين، وسبب ذلك واضح والأسباب كثيرة لكننا لسنا في معرض مناقشة الأسباب بالفعل، وإنَّما الإمام عليه السلام يُبيّن حالة موت أو حياة، وهناك جهة تحاول أن تُميت وهناك جهة تحاول أن تُحيي، وسنضرب مثلاً يوضّح الفكرة؛ من المعارف الواضحة أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله عاش في مكة والمدينة، وعمره الشريف (٦٣) عاماً قضى بعضه في مكة وبعضه في المدينة، وأمير المؤمنين والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام أيضاً عاشوا في المدينة، وفيهم المهاجرون والأنصار، وهذا كمٌّ كبير، والبعض فدى النبيَّ في

١ - ينظر: بحار الأنوار: ٥٨، ٣٥٧.

٢ ـ بحار الانوار: ٩٩/ ١٨٢.

معارك واستُشهِد، وبعضهم فدى أميرَ المؤمنين عليه السلام، وبعضهم في بدايات الدّعوة الإسلامية استُشهِدَ، وتتابعت الأحداث حتّى حدثت واقعةُ الطّفّ، وعندما حدثت واقعةُ الطّف التي كان رائدها الإمام الحسين عليه السلام وثلّةً طيّبة من أهل بيته ومن أصحابه، فنستنتج من ذلك أنَّ جوّ المعركة ومشهد المعركة وخارطة المعركة هي المدينة ومكّة، ولهما قداستهما في حياة المسلمين قديماً وحديثاً؛ والإمام الحسين عليه السلام جاء الى العراق وحدث الذي حدث، واستُشهِدَ الإمام الحسين عليه السلام والعائلة الكريمة، وبدأت مسيرة السّبي إلى أن رجعوا إلى المدينة، ويقول الإمام السّجّاد عليه السلام: «**لم يكن في مكّة والمدينة عشرون رجلاً يحبّنا**»[1].

وعندما نأتي الى الإمام الحسين عليه السلام والد الإمام السّجّاد عليه السلام نرى النّبيّ صلى الله عليه وآله في أكثر من مناسبة يقول: (**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة**)[2] ويقول في أمّه الزّهراء: (**فاطمة روحي التي بين جنبيّ**)[3] و(**فاطمة يرضى الله لرضاها...**)[4] وكلام النّبيّ صلى الله عليه وآله واسع جدًّا، وأمّا أمير المؤمنين عليه السلام فالأحاديث التي في شأنه أكثر من أن تُعدّ، فلماذا يصل الحال إلى أنَّ الإمام السّجّاد عليه السلام يقول هذه المقولة؟. وهم عائلةُ علمٍ وعائلةُ نبوّة؛ ولهم اليدُ الطّولى علميًّا وسلوكيًّا، والنّبيّ صلى الله عليه وآله الذي -بحسب الفرض- يسمعه المسلمون جميعاً يُعظّم أهل بيته، فلماذا لا يحبّ الإمام السجّاد عليه السلام وأهل بيته عشرون رجلاً؟

لاشكّ في أنَّ هناك مشكلة كبيرة، وهذه المشكلة عندما يتحدّث الإمام السّجّاد عليه السلام عنها يترك ما وراء ذلك، ويشير إلى المشكلة التاريخية وهي مشكلة الظّلمة، ومشكلة الانحراف، ومشكلة الاعوجاج الذي حدث، وإلّا فالإمام السجّاد

١ ـ بحار الانوار: ٣٤/ ٢٩٧.
٢ – م. ن: ٤٣/ ص ٢٦٣.
٣ – م. ن:: ٢٧/ ٦٣.
٤ –م. ن: ٤٣، ٢٢.

عليه السلام يذهب مع العائلة إلى الشّام، والشّام عندهم فرح وعيد، لا يعرفون شيئاً، طبع الله على عقولهم وإنَّهم لا يعرفون شيئاً، ويظنّون بأبناء رسول الله صلى الله عليه وآله خوارج خرجوا على أميرهم، وإذا كان هذا الجوّ سائدًا في أروقة السلطة ومن لفّ لفّهم، بلا شكّ أيُّ دينٍ يبقى لدين علي عليه السلام بعد ذلك؟ وأيُّ حقيقةٍ تقولها السّيّدة الزّهراء عليها السلام في خطبتها كي تبقى عند الشّاميّين؟ في ذلك الظّرف لا شيء بل قضية الصّلاح انقلبت، فأميرُ المؤمنين الذي هو صالحُ المؤمنين عليه السلام في كثير من النّصوص؛ وهذا العنوان العظيم الذي يتصدّق في ركوعه يُلعن تقرّباً الى الله، وهذه حقائق[1]، إلى درجة أن تصبح سُنّة عند جميع أئمة الجمعة في ذلك الوقت؛ وعنوان هذه السّنّة: لعن أبي تراب.

لقد اجتمعت السّلطة والإمكانيّات المادّيّة والإعلاميّة، وكانت النّتيجة قطعُ الرّؤوس للّذين لا يرضون بهذه السّنّة الآثمة، وعانى الإمام السجاد عليه السلام وبقية الأئمّة الأطهار الكثير مع هذا العِداء المعلن والصّريح، بحيث وصل إلى القتل، ووصلت القضية إلى قتل الإمام الحسين عليه السلام، ومن قبل قضية الإمام الحسين عليه السلام شُرّد حجر بن عدي وغيره، وكلّ أحدٍ فيه نَفَسٌ لأمير المؤمنين عليه السلام لابُدّ أن يكون خارجًا عن القانون ويُقتل، فأراد الإمام السّجّاد أن يُلفت النّظر أنَّ هذا الإمام الذي أيّده الله تعالى بقوله: (**أيّدت به دينك في كلّ أوان**)[2]، وأنّ هناك مشكلات ستواجهه، وهذه المشكلات تحتاج الى مَنْ عنده القدرة العالية الكبيرة لإحياء ما أماته الظّالمون، فهنا مطلبان:

المطلب الأوّل: هناك حقائق أشبه بالميّتة لا يُعمل بها.

المطلب الثاني: هذه الحقائق التي يعبّر عنها الدّعاء بأنّها أمور ميته تحتاج

---

١ - راجع الأمالي للطوسي: ١٧١، ٢٨٧.

٢ - الصحيفة السجادية، دعاء رقم (٤٧).

لشخصيّة قويّة ولها القدرة على إحيائها، وهذا الذي يُحيى ليس فقط في القول، وإلّا فالإمام الصادق عليه السلام أحيى شريعة جدّه بشيء كبير حتّى كُتِبَت في الصّحف ونقلتها الرّكبان، فلابُدّ من وجود مكنة من ذلك، ووجود إنسان يتمكّن من إحياء ما أماته الظّالمون، والإمام السّجّاد عليه السلام في دعائه للإمام المهديّ عليه السلام ونحن أيضاً ندعو للإمام المهدي أنَّ الله تعالى يُمكّنه من إحياء ما أماته الظّالمون من معالم دين الله تعالى.

يا إلهي، (**واجلُ به صدأ الجور عن طريقتك**..)، اكشف صدأ الجور عن طريقتك، وتُلاحظون الآن الصّدأ إذا حلّ على سطحِ شيءٍ، فذلك الشّيء لا يُرى وإنّما الذي نراه الصدأ والرَّيْن، لكن حقيقة الأمر هو خلاف ذلك، ولعلّ أفضل شاهد على ذلك السّيف؛ فحافّته الحادّة عندما يمرّ بها الصّدأ لا يرغب الإنسان بها، لكن إذا جُلي هذا الصّدأ سيراها شيئاً آخر، وهذه الطّريقة طريقة الله تبارك وتعالى وطريقة الأئمّة الأطهار مرّ بها الصّدأ نتيجة الظّلم والبدع، ونتيجة الأشياء التي أُضيفت وهي ليست من الدّين، وابتعدت الناس وأصبحت لا تَرى واقعها، ولا ترى ما دون أو ما بعد الصّدأ، وإنَّما ترى الشَّيء الذي يصدأ، وهذا الشيء الذي يصدأ طارئ ولا يُمثّل الحقيقة، والإمام عليه السلام يدعو للإمام عليه السلام قال: (**واجلُ به صدأ الجَور عن طريقتك، وأبنْ به الضرّاء من سبيلك**...) و(أبِنْ) من باب البُعد، يعني: أبعدْ عن الإمام عليه السلام كلّ ضررٍ يقع في سبيله.

نحن قد ندعو للإمام المهديّ عليه السلام وهكذا إذا حلّت بنا مصيبة ولكن في الواقع هناك شيء آخر وراء ذلك، وهناك لذّة في طريقة عيش الإنسان تحت حكم الله تعالى، وهذه اللذّة فيها بركات؛ فخليفة الله تعالى ليس شخصيّة اعتيادية، وإنّما هو شخصيّة مدّخرة، ومعنى مدّخر إنّه شيءٌ ثمين وغالٍ، وهو مدّخر لإصلاح هذا الاعوجاج، وما دام هناك شيءٌ معوجّ يُصلح، وسترى حالة السّكينة والطّمأنينة

وحالة العدل الذي يُحقّقه الإمام المهدي عليه السلام والواقع نحن نحتاج إلى عدلٍ، وحالة العدل مفقودة، وقد تكون ناشئة من قصورٍ لا تقصير، وليس من السّهل أن يدّعي الإنسان أنّه سيحكم بالعدل، وإنّما تحتاج إلى طاقة هائلة، والإمام عليه السلام عندما يدعوه الإمام السّجاد عليه السلام لذلك نتحسّس لذّة أن يستظلّ الإنسان في حُكْمٍ زعيمه الإمام المهدي عليه السلام، وهذه النّقطة قد تكون مفقودة عندنا، فنحن قد نُفكّر في (كشف الضّرّ عنّا) ونُفكّر في أنّ هناك ظلماً ندعو الله تعالى أن يزيحه؛ ولكن ما وراء الإزاحة أن يعيش الإنسان في كنف الإمام المهدي عليه السلام، وهذا يعني أنّه ريّان فكرًا وجسماً وقوّةً وكلّ شيء بلا شكّ، وهذه رحمة أن يعيش الإنسان أو المجموعة البشرية في هذا الظّلّ، واقرأ القرآن الذي تحدَّثَ عن حكمِ سليمان ويتحدّث عن حكم داود وهم أنبياء، ومدّة الحكم التي حكموها كانت مدّة طويلة، والنّبيّ يحكم لكن تبقى مسألة في مقطع جغرافي محدّد، لكن عندما تُبشّر أنت وأنا بأنّنا سنعيش نأمل من الله تعالى أن يكحل أعيننا في ظلّ الإمام المهدي عليه السلام، ونتفاعل مع هذه الأدعية التي يُبيّنها الإمام عليه السلام، ويكون توجّهنا توجّهًا خاصًّا ليس من باب كشف الضّر فقط، وإنّما البحث عن الالتذاذ بذلك الحكم الذي يكون زعيمه هو الإمام المهدي عليه السلام.

من أهدافِ الظّهورِ المبارك

هناك علاقة مهمّة على الزّائر الكريم أن يستفيد منها؛ ألا وهي علاقة الإمام المهدي عليه السلام بجدّه الإمام الحسين عليه السلام، وهي علاقةٌ خارج إطار العلاقة النّسبية؛ وإنّما علاقةٌ مبنيّة على استمرارية نهج الإمام الحسين عليه السلام ومحاولة تحقيق الأهداف والمطالب التي من أجلها سعى الإمام الحسين عليه السلام.

الإمامُ المهديّ - عجل الله تعالى فرجه - وإكمال المسيرةِ الحسينيّة

إنَّ استشهاد الإمام الحسين عليه السلام أحدث ثورةً كبيرةً وصحّح كثيرًا من الأهداف، ولاشكّ في أنَّ الإمام المهدي عليه السلام هو المكمِّل لهذا المشروع، ولذا وردت بعض زيارات الإمام الحسين عليه السلام وكثيرٌ منها تُعبّر عن الإمام الحسين بأنّه (**ثأر الله**)[1]، وقلنا إنَّ المراد من هذه الجملة الشّريفة أنَّ الثأر نُسِبَ الى الله تعالى، والثأرُ عندما يُنسب الى الله تعالى فلابُدّ أن ينهض به شخصٌ له نسبةٌ الى الله تعالى، والإمام الصادق عليه السلام عندما يزور جدَّه يعلّمنا أن نزور الإمام الحسين عليه السلام بهذه الألفاظ التي لم تصدر جُزافًا، وإنَّما فيها نكات علميّة رصينة مهمّة حقٌّ علينا أن نتوجّه لها، وأن تكون هذه الشخصية لها علاقة بالله تعالى حتى يتحقّق الثأر، وبقيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام لم تظهر هذه الخاصية عندهم في تثبيت قواعد الإمام الحسين عليه السلام بمقدار الإصلاح العام إلّا عند الإمام المهدي عليه السلام، الذي يملأ الدّنيا قسطاً وعدلاً، وهذا الملء بهذا العنوان الشّامل يتحقّق في شخصيّة سبط النّبيّ صلى الله عليه وآله المدَّخر لذلك الذي هو الإمام المهدي؛ لذلك كَثر التّثقيف الرّصين من الأئمّة جميعهم عليهم السلام لهذه الشّخصيّة، فهو شخصٌ مدَّخر، وهو شخصٌ له القدرة على أن يُحقّق الأهداف التي جاء بها جميع الأنبياء والرّسل.

قال الإمام السّجّاد عليه السلام، وهو يتحدّث عن المهدي عليه السلام قال: (**اللهُمَّ إِنَّكَ أَيَّدْتَ دِينَكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ بِإِمَامٍ أَقَمْتَهُ عَلَماً لِعِبَادِكَ**)[2] ثم بيّن عليه السلام بقوله: (**فَهُوَ عِصْمَةُ اللائِذِينَ وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ وَعُرْوَةُ الْمُتَمَسِّكِينَ وَبَهَاءُ الْعَالَمِينَ اللهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَآ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الاعَزِّ وَاشْدُدْ أَزْرَهُ وَقَوِّ عَضُدَهُ وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ وَاحْمِهِ**

---

١ - بحار الأنوار :٨٩، ٢٥١.

٢ ـ الصحيفة السجادية ، دعاء رقم (٤٧).

بِحِفْظِكَ ...)[1] فلاحظوا الإمام السجاد عليه السلام، وهو في ربوع ذكر ابنه الإمام المهدي عليه السلام يستعمل هذه الألفاظ **(وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الاعَزِّ وَاشْدُدْ أَزْرَهُ وَقَوِّ عَضُدَهُ وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ وَانْصُرْهُ بِمَلائِكَتِكَ وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الاغْلَبِ وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ وَشَرَآئِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَحْيِ بِهِ مَآ أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ وَاجْلُ بِهِ صَدَآءَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ وَأَبِنْ بِهِ الضَّرَّآءَ مِنْ سَبِيلِكَ وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَآئِكَ وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَآئِكَ وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ وَإِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ....)**[2] إلى آخره، وفي الواقع أرغّب الإخوة الأعزاء أن يقرأوا ما جاء بلسان الأئمّة الأطهار عليهم السلام في حقّ الإمام المهدي عليه السلام، وهذا مطلبٌ -أعتقده- مهمٌّ لتثبيت العقيدة من جهة ووضوح الطّريق من جهة أخرى، فإنّ الإنسان يرتبط مع إمامه، وإنّ هذه الجموع الغفيرة التي قصدت الإمام الحسين عليه السلام تتأمّل في صفات كثيرة؛ فزائر الإمام الحسين عليه السلام وحثّه الخطى من مسافات بعيدة داخل العراق أو خارجه عندما يقصد الإمام الحسين عليه السلام يتأمل المعاني الكثيرة عند الإمام الحسين عليه السلام، فبأيّة زيارة من الزّيارات يتأمّل الإنسان فيها فيرى هذه المعاني بوضوح، لكن هناك معنى ربما لا يلتفت الإنسان له لأوّل وهلة؛ ألا وهو الارتباط بالإمام المهدي عليه السلام، فهذه العلاقة ما بين شخصٍ حاضرٍ، وحيّ ادّخره اللهُ تبارك وتعالى، والأئمّة الأطهار عليهم السلام يدعون له بل بعض الأئمّة يتمنّى أن يكون في زمانه ويبشّر بعلاماتٍ في ظهوره

١ - الصحيفة السجادية ، دعاء رقم (٤٧).

٢ - م. ن: دعاء رقم (٤٧).

المبارك، وهو يرعانا الآن على ما هو عليه من الغيبة وعلى حرماننا من النَّظر إلى محضره المقدّس، وعلاقة هذا الإمام المفترض الطاعة -الإمام المهدي- بجدّه الإمام الحسين عليه السلام علاقةٌ لابُدَّ أن لا تغيب عنّا، كما أنّ الزَّائر عندما يقضي وقتاً إلى أن يصل إلى الإمام الحسين عليه السلام فجزءٌ من هذا التّفكير له علاقة بمن يستطيع أن يُحقّق أهداف الحسين عليه السلام بشكلٍ كامل، وهذه المسألة مرتبطة بالله تبارك وتعالى، فالله تعالى أيّد -كما يقول الدعاء- دينه في كلّ أوانٍ بإمام، وهذا الدِّين عندما يؤيَّد بإمام هناك وظيفة للإمام عليه السلام، وتكون لنا وظيفة.

المعصومُ عصمةُ اللائذين

للأئمّة الأطهار عليهم السلام كمّيّة هائلة من الرّوايات التي تُشجّع على زيارة الإمام الحسين عليه السلام، ونقلنا من قبل روايات مؤدّاها أنَّ الملائكة تستأذن أيضًا لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، والإمام يقول: ليس من نبيٍّ أو ملك إلّا ويستأذن الله تعالى في زيارة الإمام الحسين عليه السلام، فهذا الاهتمام الكبير بزيارة الإمام يتوفّق عندما يزور الإمام الحسين عليه السلام، ولاشكّ في أن يضع أمامه شخصيّة عالميّة إلهيّة أيضاً تزور الإمام الحسين عليه السلام ألا وهو الإمام المهديّ عليه السلام، وهذه العلاقة ما بين زائر الإمام الحسين عليه السلام وما بين إمامٍ زائر وإمامٍ يُحقّق أهدافَ الإمام الحسين عليه السلام تحتاج إلى تأمّل، وتحتاج إلى توقّف، وتحتاج إلى نظرٍ دقيق من الزّائر، وأن يُفكّر في ذلك، وأن يُعطي من وقته اليومي للتفكّر في هذا الجانب، فيأتي الإمام السّجّاد عليه السلام يقول (**فَهُوَ عِصْمَةُ اللائِذِينَ**...)[1] واللائذ هو الإنسان الذي يلوذ، أيْ يبحث عن ملجأ وعمّن يلوذ به، ونحن إذا مررنا بمشكلةٍ وبمصيبةٍ أو بحالةٍ، فالإنسان يضعف ويشعر أنَّه يحتاج إلى مَنْ يُعينه على ذلك، والله تبارك وتعالى

١ - الصحيفة السجادية، دعاء رقم (٤٧).

هو مُسبّب الأسباب، والأسباب كلّها بيد الله تبارك وتعالى، والله تعالى جعل من أوليائه مَنْ يرفع الشّبهات، ومن يقوّي الإنسان إذا ضعف، ومن إذا احتاج أحد يجد حاجته عنده وجده، فهو نِعْمَ الملاذ، ولذلك كلّما آمن الإنسان بالله تعالى وانكشفت له حقائق القلب اطمأنّ ولجأ الى ركنٍ ركين، ألا وهو الإمام عليه السلام، لذلك يقول الإمام: **(فَهُوَ عِصْمَةُ اللائِذِينَ وَكَهْفُ الْمُؤْمِنِينَ)**[١] والعصمة المنع، والإنسان يقول: هذا عصمتي، يعني أنا اعتصمت به، ويعني منعت نفسي به من أن يصيبني أذى، وأنا لائذ وأنا هارب أبحث عن ملجأ، وأبحث عمّن ألوذ به، وهو نِعْمَ الملاذ، فالإمام عليه السلام يقول: الإمام هو عصمة اللائذين، ولو قرأتم الزّيارة الجامعة الكبيرة سَتَرَوْن أنَّ المعرفة الإلهية ليس من السّهل أن يدّعيها الإنسان، وإنّما هناك طرق وهناك أبواب، فالإنسان يعيش في الدّنيا مرّة واحدة، ولابُدّ أن يكون حريصًا جدًّا على أن لا يُخطئ وعلى أن لا تتيه به السّبل، وأن لا يتّبع السبل التي تفرّقه عن السّبيل الصّحيح، ولذلك حصر النّبيّ صلى الله عليه وآله طرق الهداية وطرق المعرفة في أكثر من موطن، **(الحقّ مع عليّ وعليّ مع الحق يدور الحقُّ معه أنّى دار)**[٢]، **(أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها)**[٣] وفي آية إذهاب الرّجس **(اللهم إنَّ هؤلاء أهلُ بيتي و خاصّتي فأَذهِب عنهم الرّجسَ ، و طَهِّرهم تطهيراً ، اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصّتي فأذهِب عنهم الرجسَ و طَهِّرهُم تطهيراً...)**[٤] فهذه إشارات إلى مصاديق خاصة، وعندما نأتي الى الأئمّة عليهم السلام فإنَّهم يكملون هذا المشوار، وفي حديث جابر بن عبدالله الأنصاري في حديث الصّحيفة الخضراء[٥] المشهور؛ يقول جابر: دخلتُ على الزَّهراء عليها السلام وكان

١ – الصحيفة السجادية ، دعاء رقم (٤٧).
٢ ـ بحار الانوار: ٣١/ ٣٧٦.
٣ ـ م.ن: ١٠/ ١٢٠.
٤ – مسند احمد بن حنبل: ٦ / ٢٩٢ ، طبعة: بيروت.
٥ – ينظر: بحار الأنوار:٦٣، ٢٠٢.

في يدها شيء، وقالت إنَّ هذه تحفةٌ أتحفها الله تعالى نبيّه والنّبيُّ بيّنها لي، وفيها أسماء الأئمةعليهم السلام واحداً واحداً، ونظر جابر إلى الصّحيفة ولم يمسكْها واستنسخ منها هذه الأسماء، بحيث أنّه في زمن الإمام الباقرعليه السلام جاء بالمستنسخة والإمام الباقرعليه السلام عنده الصحيفة، ويقرأ، ويطبّق، ويقول: لم يزد منها حرفاً واحداً، وهذه المعرفة بشخصية الأئمّة الأطهارعليهم السلام واحداً واحداً الى أن تصل النّوبة إلى الإمام المهديعليه السلام فيها عزّةٌ وطمأنينةٌ للإنسان.

المعرفةُ مقدّمةُ الطّمأنينة

إنَّ الإنسان يعيش مرّةً واحدةً، ويفترض عليه أن يكون على بصيرةٍ من أمره وعلى بيّنةٍ من أمره، وعندما تأتي تلك السّاعة وتلك اللحظة التي تخرج النّفس فيها بلا عودة يكون الإنسان مطمئنًّا امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي**﴾[1]، والعلاقةُ بين الإمامينعليهما السلام ليست علاقةً كمالية، وإنَّما علاقةٌ ضروريّة، ومن مكمّلات النّعمة وإتمامها وكمال الدّين العلاقةُ مع الإمام المهدي، والإمام السّجّادعليه السلام يقول عنهعليه السلام: (**وكهف المؤمنين...**) وواضح أنَّ الكهف حالة الاستقرار وحالة اللجوء إلى كهفٍ حصين، والكهف أيضًا بمعنى الملجأ، ثمّ قال: (**وعروة المتمسّكين وبهاء العالمين...**)[2] ثمّ قال: (**اللهُمَّ فَأَوْزِعْ لِوَلِيِّكَ شُكْرَ مَآ أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْهِ وَأَوْزِعْنَا مِثْلَهُ فِيهِ وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الاعَزِّ وَاشْدُدْ أَزْرَهُ وَقَوِّ عَضُدَهُ...**)[3]، فلو كلُّ واحدٍ منَّا يلتفتُ الى النِّعَم الإلهية التي منَّ الله تعالى بها عليه لعجز عن ذلك، ونحن

١ ـ الفجر: ٢٨.

٢ – الصحيفة السجادية، دعاء رقم (٤٧).

٣ – م.ن.

نُـردّد: ﴿**وَإِن تَعُـدُّواْ نِعْمَـةَ للَّـهِ لَا تُحْصُوهَـآ**﴾[١]، فالإنسـان في بعـض الحـالات يحتـاج أن يتأمّـل في النّعـم، فقـد تُعطـي الإنسـان هـذه الجملـة نظـرة إجماليـة وهـي أنَّـه إذا أراد أن يُعـدّد النّعـم فـلا يمكـن أن يُحصيهـا، لكـن لا يُلتَفَـت إلى النّعـم نفسـها، ونحـن مطلـوبٌ منَّـا أن نلتفـت إلى النّعـم، فهـذه النّعـم وكلُّ نعمـةٍ منهـا تحتـاج إلى مـا شـاء الله تعـالى مـن الشّـكر، ونحـن قطعًـا نعجـز عـن الشّـكر، العجـزُ عـن الشـكر للنعـم هـو هـذا الشّـكر بنفسـه، فـإنَّ الإنسـان عندمـا يعـدّد النِّعـم يـرى نفسـه عاجـزًا عـن ذلـك، فيقـرّ ويقـول: يـا إلهـي إنَّ نعمـك عنـدي كثـيرة، إنَّ نعمـك عنـدي جسـيمة، وأنـا عاجـزٌ عـن تعدادهـا، أعـترف بالعجـز عـن تعـداد هـذه النِّعـم، ولذلـك يقـول الإمـام عـلي بـن الحسـين عليه السلام في دعـاء أبي حمـزة الثـمالي: « **اَنَـا لا اَنْسـى اَيادِيَـكَ عِنْـدي**»[٢].

أيـادي النّعـم، وهـذا الحضـور مفـاده أنَّ كلّ خطـوة فيهـا تذكـير بالنّعمـة، نعمـة البـدن والنَّفـس ونعمـة الدّيـن، وعلاقتنـا مـع الإمـام عليه السلام تدخـل في نعمـة الدّيـن، وليـس كلّ أحـدٍ يتوفّـق إلى ذلـك، وهـذه نعمـةٌ تجـرّ إلى نعمـة خالـدة ألا وهـي نعمـةُ الخلـود يـوم القيامـة، فقـد تكـون عنـد الإنسـان نعمـة والنّعمـة تـزول، لكـن هنـاك نِعَـماً تبقـى آثارهـا، وهـذا المدخـل يـؤدّي إلى بـاب تُفتـح لـه أبـواب في درجـات النّعيـم وهـذه نعمـة مهـما يـؤتَ الإنسـانُ فيهـا مـن قـوّةٍ فإنّـه يعجـز عـن الشّـكر، والإمـام يقـول: (**فَـأَوْزِعْ لِوَلِيّـكَ شُـكْرَ مَـآ أَنْعَمْـتَ بِـهِ عَلَيْـهِ**)[٣]، وهـو دعـاءٌ يلتفـت الى أنَّ النّعـم كثـيرة وهـي غـير غائبـة عـن الإمـام لـذا قـال: (**وَأَوْزِعْنَـا مِثْلَـهُ فِيـهِ**) وتوضيـح هـذه الفقـرة؛ إنَّ الإنسـان تمـرّ بـه نعـمٌ فيقـول: أللهـم إنّي أشـكرك عـلى هـذا المـال، وأشـكرك عـلى هـذا البيـت، وأشـكرك عـلى هـذا الـرّزق وهـذه علامـةٌ مـن علامـات الشّـكر، لكـن الإنسـان عندمـا يُفكّـر بطريقـةٍ أخـرى، ويقـول: اللهـم إنّي أشـكرك عـلى نعمـة الدّيـن،

١ – سورة النحل: الآية ١٨.

٢ – بحار الأنوار: ٩٥، ٨٨.

٣ – الصحيفة السجادية، من دعائه يوم عرفة، رقم ٤٧.

ويجعل هذا ورداً له، ويشكره على نعمة الصّلاة ويشكره على نعمة الصّوم، ويشكره على نعمة القرآن الكريم؛ لأنَّ هذه أبوابٌ، ونحن نشكر الله تعالى على نعمته لنا في حقّ الإمام المهدي عليه السلام، وهكذا يقول الإنسان: اللهم إنّي أشكرك على النّبيّ صلى الله عليه وآله، وأشكرك على العترة الطّاهرة، لأنّه لولاهم لم أهتدِ إلى طريق الحقّ وإلى طريق الصّواب، وهذا فهمٌ آخر للشكر. وفهمٌ آخر للمعتقد، وفهمٌ آخر لانطواء القلب على يقين، هذه أبعد ما يكون عن الشكر لنعمٍ جزئية، نحن نشكر الله على النّعم الجزئية وهذه النعم لولاها لا يبقى الإنسانُ، لكن هناك حالة من التّرقّي، وحالة من الفهم، وحالة من وجود بصيرة، والناس تتفاوت فيما بينها، والإمام السّجّاد عليه السلام عندما يدعو فإنّه يدعو الى مسائل هي من صلب العقيدة، فالإمام عندما يقول: **(وأوزعنا مثله فيه)** يعني أيضاً أن نشكر الله تبارك وتعالى كثيراً على نعمة الإمام المهدي عليه السلام، ويكون ورد الإنسان شكر الله تعالى على المهدي، وهذه العقيدة بشكر الله على الأئمّة الأطهار عليهم السلام، فالحمد لله على الأئمّة، والحمد لله على الإمام المهديّ، وتأمّلوا هذا الفهم والارتباط بالإمام المهدي عليه السلام من خلال الدّعاء لله تبارك وتعالى؛ لأنَّ فيه حالة أخرى، وهي أنَّ الإنسان جزءٌ من اهتمامه هو الجانب العقيدي عند الإمام المهدي، فإذا عزّز ذلك بشكرٍ متواصلٍ للتوفيق لزيارة الإمام الحسين عليه السلام، وهو في طريقه إليه لا يغيب عن فكره الشّكر لله أوّلاً، لتوفيقه لزيارة الإمام الحسين عليه السلام والشّكر أيضاً للإمام المهدي عليه السلام لأنَّه نعمة من نعم الله تبارك وتعالى.

قال: **(وَآتِهِ مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَاناً نَصِيراً وَافْتَحْ لَهُ فَتْحاً يَسِيراً وَأَعِنْهُ بِرُكْنِكَ الاعَزِّ وَاشْدُدْ أَزْرَهُ وَقَوِّ عَضُدَهُ وَرَاعِهِ بِعَيْنِكَ وَاحْمِهِ بِحِفْظِكَ وَانْصُرْهُ بِمَلائِكَتِكَ وَامْدُدْهُ بِجُنْدِكَ الاغْلَبِ وَأَقِمْ بِهِ كِتَابَكَ وَحُدُودَكَ وَشَرَآئِعَكَ وَسُنَنَ رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَحْيِ بِهِ مَآ أَمَاتَهُ الظَّالِمُونَ مِنْ مَعَالِمِ دِينِكَ وَاجْلُ بِهِ**

صَدَآءَ الْجَوْرِ عَنْ طَرِيقَتِكَ وَأَبِنْ بِهِ الضَّرَّآءَ مِنْ سَبِيلِكَ وَأَزِلْ بِهِ النَّاكِبِينَ عَنْ صِرَاطِكَ وَامْحَقْ بِهِ بُغَاةَ قَصْدِكَ عِوَجاً وَأَلِنْ جَانِبَهُ لِأَوْلِيَآئِكَ وَابْسُطْ يَدَهُ عَلَى أَعْدَآئِكَ وَهَبْ لَنَا رَأْفَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَتَعَطُّفَهُ وَتَحَنُّنَهُ وَاجْعَلْنَا لَهُ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ وَفِي رِضَاهُ سَاعِينَ وَإِلَى نُصْرَتِهِ وَالْمُدَافَعَةِ عَنْهُ مُكْنِفِينَ وَإِلَيْكَ وَإِلَى رَسُولِكَ صَلَوَاتُكَ اللهُمَّ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذَلِكَ مُتَقَرِّبِينَ)[1].

١ – الصحيفة السجادية، من دعائه يوم عرفة، رقم ٤٧.

المحتويات

المحتويات

المقدمة ٧

الفصل الأول: من أهداف الشعائر الحسينية ١٥

المبحث الأول: إعلانُ الحُزْنِ ١٧

المبحث الثاني: تأمُّلاتٌ جديدةٌ في مَشْهَدِ البُكاء ٣١

المبحث الثالث: قَتِيْلُ العَبْرَة ٤٥

المبحث الرابع: عَاشُوْرَاءُ وَكَشْفُ الزَّيْفِ ٥٧

المبحث الخامس: سِرّ التَّركيزِ على النَّهضةِ الحُسينيّة ٧١

الفصل الثاني: أساليب النصر الحسيني ٨٧

المبحث الأول: عَوامِلُ نُصرةِ الإمامِ الحُسين عليه السلام ٨٩

المبحث الثاني: الإمامُ السَّجّادُ عليه السلام والمنظومةُ العاشورائيّة ١٠٩

المبحث الثالث: أَنصارُ الحقِّ ١١٩

المبحث الرابع: حقيقةُ النَّصرِ الإلهيّ ١٢٩

المبحث الخامس: تجدُّدُ عَاشوراء ١٤٣

المبحث السادس: قِراءَةُ الأَحدَاث ١٥٣

الفصل الثالث: من نتائج النهضة الحسينية ١٧١

المبحث الأول: قضايا تَتعلّقُ بالأَهْدَافِ ١٧٣

المبحث الثاني: إحياءُ الدِّيْنِ ١٨٩

المبحث الثالث: مِن أَسْرارِ عظمةِ سيِّدِ الشُّهداءِ عليه السلام ١٩٩

المبحث الرابع: العِبرُ بين دعاة الخيرِ ودعاةِ الشَّر ٢١٥

المبحث الخامس: النَّهضةُ الحسينيّةُ بَين الوسائِلِ و الأهدافِ ٢٢٧

المبحث السادس: إضاءاتٌ حولَ النَّهضةِ الخالِدَةِ ٢٣٩

المبحث السابع: وحدةُ الأهدافِ بينَ سيّدِ الشُّهداءِ و مهديّ آلِ مُحَمَّد عليهم السلام ٢٥١